

سراج الملوك للامام العالم العلامة النبت الثقة
الحجة الفهامة العارف بالله أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
المالكى نفعا الله به
آمين

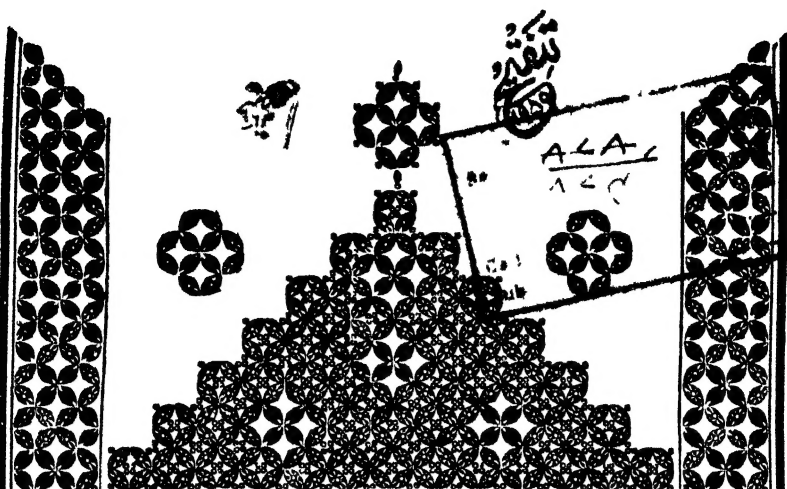
* (فهرسة سراج الملوك) *

صفحة	
٦	الباب الاول في مواعظ الملوك
٢٩	الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والولاة
٣٩	الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر
٤٣	الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهم السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يرقى لاحد من بعده
٤٤	الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا
٤٦	الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غائب وخاسر غير رابح
٤٧	الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض
٤٨	الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره
٤٩	الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية
٥٠	الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها انظام الملك والدول
٥١	الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا يثبت له دونها
٥٤	الباب الثاني عشر في التنصيص على الخصال التي زعم الملوك أنها بازلت دوائهم وهدمت سلطانهم
٥٦	الباب الثالث عشر في الصفات الراتبية التي زعم الحكماء أنه لا تدوم معها المملكة
٥٨	الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان
٥٩	الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان
٥٩	الباب السادس عشر في ملالا أمور السلطان
٦٠	الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان
٦١	الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن
٦١	الباب التاسع عشر في خصال جامعة لامر السلطان
٦٢	الباب العاشر في العشرين في الخصال التي هي أركان السلطان
٦٣	الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم
٦٤	الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٦٥	الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث
٦٩	الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم
٧٢	الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم
٧٤	الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي حال السلطان
٧٨	الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة
٨٠	فصل في النصيحة

الباب الثامن والعشرون في الحلم	٨١
الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب	٨٧
الباب الثلاثون في الجود والسخاء	٨٨
الباب الحادي والثلاثون في بيان الشج والبخل وما يتعاقبهما	٩٥
الباب الثاني والثلاثون في الصبر	٩٦
فصل في أقسام الصبر	٩٧
الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر	١٠٣
الباب الرابع والثلاثون في بيان الخلة التي هو رهن بسراياها ولوزيم بالمزيد من النعمة ما رآه الأعداء من ذي الجلال	١٠٥
فصل في الشكر على الجوارح	١٠٧
فصل في الكلام على الزيادة	١٠٧
الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمر وأما هو ويستريح إليها الرئيس والمرؤس مستخرج من القرآن العظيم	١١١
الباب السادس والثلاثون في بيان الخلة التي فيها غاية كمال السلطان وشأنه وور وراحة القلوب وطبقة النفوس	١١٢
الباب السابع والثلاثون في بيان الخلة التي فيها علم الملوك عند الشدائد ومقتل السلطان عند اضطراب الأمور وتغير الوجوه والأحوال	١١٣
الباب الثامن والثلاثون في بيان الخلة الموجهة لزم الرعية للسلطان	١١٤
الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل بالخيار	١١٤
الباب العاشر وأربعين فيما يجب على الرعية إذا جازاها لطان	١١٥
الباب الحادي والأربعون في كتمان كونه أي في علمكم	١١٦
الباب الثاني والأربعون في بيان الخلة التي تصلح بهم الرعية	١١٦
الباب الثالث والأربعون في علمك السلطان من الرعية	١١٨
الباب الرابع والأربعون في التحذير من صحة السلطان	١١٩
الباب الخامس والأربعون في صحة السلطان	١٢٠
الباب السادس والأربعون في سيرة السلطان مع الجند	١٢٢
الباب السابع والأربعون في سيرة السلطان في استنماء الخراج	١٢٣
الباب الثامن والأربعون في سيرة السلطان في بيت المال	١٢٤
فصل في قسمة ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر	١٢٦
الباب التاسع والأربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال	١٢٩
الباب العاشر والخمسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الأرزاق وسيرة العمال	١٣٣

١٣٥	الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة
١٣٧	فصل فى تقضى الذمى العهد
١٣٨	فصل فى تقدير الجزية
١٣٨	الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعبرة فى الولاية
١٤١	الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال
١٤٣	الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات
١٤٤	الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق
١٤٩	فصل فى الفرق بين المداينة والمدارة
١٥٠	الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته
١٥٢	الباب السابع والخمسون فى تحريم السعاية والتمسجة وقبحهما وما يؤتى اليه أمرهما من الأفعال الرديئة والعواقب الذميمة
١٥٧	الباب الثامن والخمسون فى القصاص وحكمته
١٦٠	الباب التاسع والخمسون فى القرح بعد الشدة
١٧١	الباب الستون فى بيان الخصلة التى هى أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس
١٧٣	الباب الحادى والستون فى ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها
١٨١	الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر والتوكل والطلب
١٨٥	الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكايائهم
١٩١	فصل من نوادر بزرجمهر الخ
١٩٢	فصل ومن حكم شافى السندى الخ
١٩٤	فصل قال غيره لا ينبغي للملأ أن يكون له أيام معلومة يظهر فيها الخ
١٩٤	فصل من نوادر كلام العرب
١٩٦	الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منشورة

سراج الملوك للامام العالم العلامة الثبت الثقة
الحجة الفهامة العارف بالله أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
المالكى نفعنا الله به
آمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الإغنيان والآثار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالحقائق وما تنطوي عليه الأرضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وسابغ بالنهار ألا يعلم من خلقه وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصصهم بعشيتته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقهم معين ولا في تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن أو يستظهر من تقدس عن الذل بمن دخل تحت ذل التسكين ثم كافهم معرفته وجعل علم العالمين بهجزهم عن ادراكه ادراكا كالهيم ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكر الهيم كما جعل اقرار المقرين بوقوف عقولهم عن الاطاحة بحقيقته ايمانا الهيم لا يلزمه لم ولا يجاوزه اين ولا يلاصقه حيث ولا يجمدهما ولا يبعده كم ولا يصهره متى ولا يحيط به كيف ولا يناله أى ولا يظله فوق ولا يثقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاوجه عند ولا يأخذه خلف ولا يبعده امام ولم يظهره قبل ولم يعينه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجد له كان ولم يفقده ليس وصفه لاصفة له وكونه لأأمده ولا تخالطه الاشكال والصور ولا تنفبه الايام والغير ولا تجوز عليه المعاسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معه اولوا كان له غيره علة يساوقه في الوجود وهو قبل جميع الاعدان بلا علة فقدرة اقله في الاشياء بلا مزاج وصنعه فيها بلا اعلاج وعلة كل شيء صنعه ولأعله اصنعه فان قلت أين هو فقد سبق المكان وجوده في أين الاين لم يفقر وجوده الى أين هو بعد خلق المكان غنى بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يعمل فيما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشأ وان قلت ما هو فلا مائية لوجوده وما موضوعة للسؤال عن الجنس والقديم تعالى لا جنس له لان

الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت المائبة وان قلت كم هو فهو أحد في ذاته منفرد بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه وان قلت كيف هو فن كيف الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه النعت وان قلت هو قائمها والواو واخلاقه بل ألزم الكل الحدث كما قال بعض الاشياخ لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالاداء اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يسميه غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم يطرقة فالتصوير يرتقي اليه ومن آوا محل أدركه أين ومن كان له جنس طلبه كيف وجوده اثباته ومعرفة توحيدته وتوحيده تمييزه من خلقه فالتصور في الاوهام فهو بخلافه لا تخالطه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصور له الاوهام ولا تخبط به الافهام ولا يقدر قدره الانام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصره امد ولا يسعه ولد ولا يجمعه عدد قربه كرامته وبعده اهاتة علوه من غير توكل ومجئته من غير تنقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وأشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعت الاوفى ألا اله الا خلق والامر تبارك الله رب العالمين وأمن بالله ولائكه وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وأشهد أن محمدا عبده المصطفى وأمينه المرتضى أرسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين (أما بعد) فاني نظرت في سير الامم الماضية والملوك الحالية وما وضعوا من السياسات في تدبير الدول والتزموا من القوانين في حفظ التخل فوجدت ذلك نوعين أحكاما وسياسات فاما الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبسوع والاحكام والانسكة والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شأمنها فأمر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شيء منه برهان ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن تدبر ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هي صادرة عن خزنة النيران وسدنة سوت الاصنام وعبدة الانداد والوثان وليس يعجز احد من خلق الله ان يصنع من تلقاء نفسه أمثاله أو أشباهها وأما السياسات التي وضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها وخالقها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها والتمسوا النصفة فيما بينهم على ما توجه به تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصرن الاعراض والحرم ككل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جليلة لا يتافى العقول شيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ تلك الاصول القاسدة كن زخرف كنيفا أو بني على صفت قصر امنيفا

ولوليس الحارث بن خازم * لقال الناس بالك من حار

فجئت محمدا ما انطوى عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول فوجدت ذلك في ست من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والسندهند فاما ملوك الصين وحكامهم فلم يصل الى ارض العرب من سياساتهم شيء كثير بعد المشقة وطول الميافة وأهل من عداها من الامم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرائع نافذة واذهان

ناقبة وانما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة فنظمت ما ألفت في كتبهم من الحكمة
 البالغة والسير المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل والاثر
 النليل الى ما رويته وجمعت من سير الانبياء عليهم السلام وآثار الاولياء وبراعة العلماء
 وحكمة الحكماء وفواد الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو بحر العلوم
 وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومفاصر الجواهر المكتونات ان اختصر فطبعة دالة
 وشارة خفية وان اطال فالفاظ بارعة وآيات مهيزة هو الهادي من الضلالة والحماوي
 لمحاسن الدنيا وفنائل الآخرة (ورتبته) ترتيباً أنيقاً وترجمته تراجم بارعة حاوية
 لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتولج التامور من غير استثمار
 الفاظها فراقب البلعانها ليس الفاظها الى السمع بأسرع من معانيها الى القلب فانظم الكتاب
 بحمد الله وعونه واحسانه غاية في باب غريب في فنونه واسبابه خفيف المحمل كثير الفائدة
 لم يسبق الى مثله اقلام العلماء ولا جات في نظمه افكار الفضلاء ولا حونه خرائط الملوك
 والرؤساء فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استعجبه ولا رئيس الا استحسنه
 واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من أولى الامر
 والسياسة وجمال لمن تجلى به من أهل الآداب والمحاضرة وعنوان لمن فاوض به من أهل
 المجالسة والمذاكرة (وسميته سراج الملوك) يستغنى به الحكم بدراسته عن مباحث الحكماء
 والملوك عن مشاورة الوزراء (واعلموا) وفقكم الله ان احق من أهديت اليه الحكم وأوصلت
 اليه النصائح وحلت اليه العلوم من آتاه الله سلطاناً فنفق في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله
 (ولما رأيت) الاجل المأمون ناج الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين خالصة أمير
 المؤمنين أباعبد الله محمد الاموى ادام الله لاهل اعزاز الدين نصره وأخلصه العالمين بالحق
 أمره وأوزع كافة الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضره فقد تفضل الله تعالى به على
 المسلمين فبسط فهم يده ونشر في مصالح أحوالهم كلمته وعرف الخاص والعام بینه وبركته
 وتقلد امور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية مقهر بالصواب راغب في الثواب طالبا
 سبيل العدل ومناهج الانصاف والفضل رغب ان اخصه بهذا الكتاب رجا لطف الله تعالى
 يوم تجدد كل نفس ما علمت من خير محضرا وما علمت من سوء تؤذون ان ينها ويبنه أمد أبديا
 ولند كرفضا لله ومحاسنه ما بقى الدهر كما قيل

الناس يمدون على قدرهم * لكنني اهدى على قدرى

يمدون ما بقى وأهدى الذى * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه ينفعهم من الظلم ويردهم
 الى الحلم ويصدقهم عن الادب ويعطقهم على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا حقيقه ويكرموا
 حلتهم ويستبقطوا آله (وهذه) أبواب هذا الكتاب وعدتها أربعة وستون بابا الباب الاول
 في مواضع الملوك الباب الثانى في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين الباب
 الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الفرر والخطر الباب الرابع في معرفة ملك
 سليمان بن داود ووجه طلبه للملك وسؤاله أن لا يؤتا أحد من بعده الباب الخامس في فضل

الولاة والقضاة اذا عدلوا الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغفون غير غائب وخاسر غير راجع الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلاطين في الارض الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره الباب التاسع في معرفة منزلة السلطان من الرعية الباب العاشر في معرفة خصال ورد الشرع بها في نظام المال والدول الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا يثبت له دونها الباب الثاني عشر في معرفة الخصال التي زعم المولود انها ازالته دولتهم وهدمت سلطانهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات الرتبة التي زعم الحكما انهم لا يلدوم معها للملكة الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان وقد اتفقت الحكما والعلماء عليها الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعزبها السلطان الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان الباب السابع عشر في معرفة خيرا السلطان وشرا السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لاهل السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والدهاء والمكر الباب الرابع والعشرون في الوزراء وأوصافهم الباب الخامس والعشرون في الجلساء وآدابهم الباب السادس والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه الباب التاسع والعشرون فيما يمكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون في معرفة الشجاعة والجلل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجبل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن لاسرار الخصال وزعيم بالمزيد من الآلاء والعصماء من ذى الجلال وهي الشكر الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير والمأمور وتسهيل صحة الثلاثين أجمعين الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطبقة النفوس الباب السابع والثلاثون في معرفة الخصلة التي هي ملجأ الملوكة عند الشدائد ومقفل السلاطين عند اضطراب الممالك الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصلة الموجبة لزم الرعية للسلطان الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والحاكم الباب الأربعون فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان الباب الحادي والأربعون في كائنات واولى عليكم الباب الثاني والأربعون في بيان الخصلة التي بها تصلح الرعية الباب الثالث والأربعون فيما يملك السلطان من الرعية الباب الرابع والأربعون في التحذير من حجة السلطان الباب الخامس والأربعون في حجة السلطان الباب السادس والأربعون في سيرة السلطان مع الجند الباب السابع والأربعون في سيرة السلطان في استجابة الخراج الباب الثامن والأربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال الباب التاسع والأربعون في سيرة السلطان في بيت المال الباب الحادي عشر في سيرة

السلطان في تدوين الدواوين وفرض الاوزاق وسيرة العمال الباب الحادى والخمسون
في أحكام اهل الذمة الباب الثانى والخمسون في بيان الصفات المتعبرة في الولاية الباب
الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشاء على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق
الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته الباب السابع والخمسون في السعاية
والنعمية وقصصهما وما يؤل اليه امرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن
والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون
في الشجاعة وفمراتها الباب الحادى والستون في الحروب وتدبيرها الباب الثانى والستون
في القضاء والقدر وأحكامهما الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم
وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشتمل على حكم منشورة وهو آخر الكتاب وكمل الابواب
(الباب الاول فى مواعظ الملوك)

لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا اعلم ايها الرجل وكذا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان
كانت بكارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعى من الموعظة ما يتولج على تلك الافكار
ويتغفل في مكان تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفك تلك الاكنة والاقفال ويصقل
ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع الدنيا بانه امتاع
قليل وأنت تعلم انك ما أوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعته به ولم تعص
الله فيه فهو له ولعب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ ايها العاقل لعبا قليلا يفي بجملة الابد حياة لا تنفنى
وشباب لا يسيل كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا ينفى وكان خطيلا آخرة خزف ياتي
لوجب ان تخطا خزف ياتي على ذهب ينفى فكيف وقد اخترنا خزف ينفى على ذهب ياتي تأمل
بعضك هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليه السلام حيث آناه ملك جميع الدنيا
والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو
أعظم منها فقال تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عداها نعمته
كما عدت قوتها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليبلوني
أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر أن يقول له ربه في معرض المننة هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدرأ من حيث لا يعلم
هذا وقد قال لك وليا أهل الدنيا فوريك لنساء منهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال وإن كان
من قال حبسه من خردل أتينا بها وكفى بأسا حسيين تأمل بعضك ما روى عن النبي عليه السلام انه
قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وألق سمكك الى ما تزل به
جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقل يا محمد ان الله يقول لك عش
ما شئت فانك ميت وأحب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به فانظر
ما اشتملت عليه هذه الكلمات من نصرم العمر وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم
ينزل من السماء غير هالك كانت كافية انظر بضمك الى ما رواه الحسين أن النبي عليه السلام مر

بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طلامطروح فقال اترون هذا هان على أهله فقالوا من هو انه
عليهم القوة قال فوالذي نفسي بيده لا الدنيا أهون على الله من هذا على أهله فجعل الدنيا أهون
على الله من الحقيقة المطروحة وقال أبو هريرة قال قال النبي عليه السلام ألا أريك الدنيا جعاً
بما فيها قلت بلى قال فأخذ يدي وأتى بي الى واد من أودية المدينة فاذا من به فيها رؤس الناس
وعذرائن وخرق البالية وعظام البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحصر على الدنيا
كحصركم وتأمل أمالككم ثم هي اليوم تساقط جراداً لا عظم ثم هي صائرة رماذير مرددا وهذه
العذرائن ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قد فو في بطونهم فاصبحت
والناس يتحامونهم وهذه الخرق البالية رباشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفيتها وهذه
العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها اطراف البلاد فمن كان يكا على الدنيا فيلبس
قال يا بريحنا حتى اشتد بكأؤنا (وقال ابن عمر) أخذ رسول الله صل الله عليه وسلم بعض جسدي
فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا أيها
الرجل ان كنت لا تدري متى يفجؤك الاجل فلا تقرب طول الامل فانه يقسي القلب
ويفسد العمل وقد عبر الله أقواماً مثلهم في الاجل فقتل منهم القلوب وطال منهم الامل
فقال تعالى يا الذين آمنوا ان تتخشعوا لربكم فكلوا من حيث يشاء الله ولا تكونوا كالبغايا
أو ثوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقتل قلوبهم وكثير منهم فاستقنوا
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تحف سوء ما يأتي به القدر
وسالمك اللبالي فأغمررت بها * وعند صفو اللبالي يحدث الكدر
يا أيها الرجل ألق الى سمعك وأرعى لبك

فلم كنت لا تدري متى الموت فأعلمن * بانك لا تبقي الى آخر الدهر

ابن آدم أين آدم أبو الاولين والآخرين أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع العالمين أين
ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلمته
رأس الزاهدين وأمام السائحين أين محمد خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وسيد الاولين
والآخرين أين أصحابه الابرار المنتخبون أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون
الخالفة أين الذين نصب على مفارقهم التيجان أين الذين اغتروا بالاجناد والسلطان أين
أصحاب السطوة والولايات أين الذين خففت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا
الجيوش والعساكر أين الذين عمرو القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في سواطين
الحروب والمواقف أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا في اللذات
والمارب أين الذين أسرفوا على الخلائق كبراً وعتياً أين الذين راوا في الحلال بكراً وعشياً
أين الذين استحلوا اللباس انا واوريا أين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخرأوعزا أين الذين
فرشوا القصور خراوبزا أين الذين تضعفت لهم الارض هيبة وهزا أين الذين استذلوا
العباد قهراً ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفنأهم والله مفقى الامم وأبادهم
مبيد الزم واخرجهم من سعة القصور وأسكنهم في ضلك القبور تحت الجنادل والعصور
فأصبحوا الأترع بالامساكنهم فعات الدود في أجسادهم واتخذ مقبلاً في ابدانهم فسالت

العيون على الحدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم يبقهم مابعدوا ولا غنى عنهم ما كسبوا أسلكت
الاحبة والاولياء وهجرنا الاخوان والاصفياء ونسيت القرباء والبعداء فامسيت ولونظقت
لانشدت قولنا في سكان الثرى ورهائن التراب والبلدا

مقيم بالخجون رهين ريس * وأهلى رانحون بكل واد
كأنى لم أكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعرجوا للسلام فان أيتم * فأوموا بالسلام على بعد
فان طال المدى وصف خليل * سوانا فاذا ذكر واصفوا الوداد
وذلك أقل مالك من حبيب * وآخره الى يوم التناد
فلو أنما جوقه ~~كم~~ وقفنا * سقينا التراب من مهج القواد

(وقال) مكرم بن يوسف العابد أوحى الله الى نبي من أنبياء بنى اسرائيل ان قف على المدائن
والحصون وأبلغهم عنى حرفين لاتأكلوا الاطيبا ولا تسكلموا الا بالحق ولما دخل يزيد
الرفاشى على عمر بن عبد العزيز قال عطفى يارزيد قال يا أمير المؤمنين اعلم انك أول خليفة يموت
فبكاهم وقال زدنى يارزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الأب ميت فبكاه وقال
زدنى يارزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بين الجنه والنار منزل فسطع مغشيا يا أيها الرجل لا تغفلن
عن تذكر ما تيقنه من خوف القضاء وتقصي المسارب ذهاب اللذات وانقضاء الشهوات وبقاء
التعبات وانتقلاهم احسرات وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من
لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له من صح فيها سقم ومن سلم فيها
هرم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها قن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها
عتاب من ساعاها فانتسه ومن قعد عنها أنته ومن نظرا اليها أعتته ومن بصرها بصرتنه
لا خيرها بدوم ولا شرها يبقى ولا فيها مخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تتخذ عن كاخدع من قبلك
فان الذى أصبحت فيه من النعم انما صار اليك يموت من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل
ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تنصر للجاهل ولو بقيت للأقيل لم تنتقل الى الآخر
يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلت عليك بالخلافة وأتقت اليك مقاليدها
وافلاذ كبدها ثم كنت طريدة الموت ما كان ينبغى لك ان تنهاى بعيش لا تفر فيما يزول ولا تغنى
فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال الاول قدر تغلى وكشف عيلا وكما قال الشاعر

ولقد سالت الدارع أخبارهم * فتبسمت عجا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد اصاب ابن السمك لما قاله الرشيد يا ابن السمك عطفى ويده شربة من ماء فقال يا أمير
المؤمنين أرايت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفقد بها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين
فلو حبست عنك خروجهما أكنت تفقد به بملكك قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوى شربه
ولا بولة أيها الشاب لا تغتر بشبابك فان أكثر من يموت الشباب والبلبل عليه ان أقل الناس
الشيوخ يا أيها الشاب كم من جمل في التنوير وأبوه يرى وكم من طفل في التراب وجدته يحيى

وقال علي بن أبي طالب وضوان الله عليه لاسقف قد أسلم عظمي قال يا أمير المؤمنين ان كان الله عليك في ترجو قال أحسنت فزدني قال ان كان الله معك في تخاف قال أحسنت فزدني قال أحسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين اليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبي حسبي وبكي أربعين صباحا وقال الحسن قدم صعدة يعني عم القرزق علي النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا أسمع آية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لجميد الطويل عظمي فقال ان كنت اذا عصيت الله طنت انه ير الذل فلقد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب عظيم وكتب علي بن الحسين رضي الله عنه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحمية لمسلم الين ويقسل سمها فاعرض عنها وما يجيبك منها القلة ما يجيبك منها ودع عنك همومها ما تيقنت من فراقها وكن امرئا تكون فيها أحد زمرات تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه وقال ابو العاتية

هي الدار دار الازي والقذا * ودار الفناء ودار الغير
ولونلتها بجحذا فيبرها * لمت ولم تقض منها وطير
أيام من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

ولما بلغ مراده من الدنيا افضل ما سمعت اليه نفسه ووقت اليه همته رفضها وبئذا وقال هذا سرور لولائه غرور ونعيم لولائه عديم وملاك لولائه هلك وغناه لولائه فناء وحسب لولائه ذم ومحمود لولائه مفقود وغنى لولائه مفقود وارتماع لولائه اتضاع وعسلاء لولائه بلاء وحسن لولائه حزن وهو يوم لو وثق له بغد يا أيها الرجل لا تكن كالخنزير يسل اطيب ما فيه ويسلك الخسالة واعلم ان من قسا قلبه لا يقبل الحق وان كثرت رذائله قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلمكم تهملون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او أشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب مائة من قبول الحق القلوب وولوج المواقف فيها قال الله تعالى كلاليل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غطاها وغشها فلا تقبل خيرا ولا تصح لموعظة جاء في التفسير اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ثم اذا اذنب نكتت نكتة سوداء حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالقفاذا اذنب العبد انقبض وقبض اصبعه ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعه أخرى ثم كذلك في الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخ الابرمة ثم كلما اذنب صار فيه كوخ الابرمة ثم كلما اذنب صار فيه كوخ الابرمة حتى يعود القلب كالخنزير وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم يجب الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قبل

ولا أرى أثر اللذكري في خلدي * والحبل في الصخرة الصمالة أثر
اذا فسا القلب لم تنفعه موعظة * كالارض ان سجت لم ينفع المطر

ويروي ان أبا العتاهية مر به كان الوراق وادأ كتاب فيه بيت من الشعر
 لن ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها الهازجر
 فقال لمن هذا فقيل لابي نواس قال وددت اني نصف شعري قال الاسمي ان العمان الذي
 هو امرؤ القيس الا كبر الذي بنى الخورنق أشرف على الخورنق يوما فاعجب به ما اوتي من الملك
 والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه فحواه فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيت فقال
 له حكيم من حكماء اصحابه اهذا الذي اوتيت شي لم يزل ولا يزال ام شي كان لمن كان قبلك زال عنه
 وصار اليك قال بل شي كان لمن قبلي زال عنه وصار لي وسيزول عني قال فسررت بشي
 تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فاين المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس
 امساحا وتلق بيجيل وتعبد ربك فيه وتفتر من الناس حتى ياتيك أجلك قال فاذا كان ذلك
 فيالي قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها وملك جديد لا يلى قال فاي
 خير فيما يقتنى والله لا طلعن عيشا لا يزول أبدا وملكا جديدا فاطلع من ملكه ولبس الاصباح
 وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبدان الله حتى ماتا وفيه يقول عدى بن زيد
 وتبين رب الخورنق اذ فكرو يوما وللهدى تذكير
 سره ما له وكفرة ما عيلاك والبحر معرضا والسدير
 فارعوى قلبه وقد قال ما غبطة حتى الى الممات يصير
 أين كسرى كسرى الملوك انوشير * وان أم ابن قبله سابور
 وبنو الاصفر الكرام ملوك السر وم لم يبق منهم مذكور
 لم يهبه ريب المنون فباد السم لك عنه فبابه مهجور
 وفيهم يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذي انباتني * ان السبيل سبيل ذى الاعواد
 ماذا أوئل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعث اباد
 أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد
 نزولوا بانقرة تسبل عليهم * ماء القرات يجي من أطواد
 أرض يحبوها الطيب مقلها * كعب بن مالك وابن أم دواد
 جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على معباد
 فأرى النعيم وكل ما يلهي به * يوما بصبر الى بلى ونفاد
 (وقال) وهب بن منبه أصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذى رزن بارض صنعاء اليمن وكان
 من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسند فترجم بالعربية واذا هي آيات جليلة وموعظة عظيمة
 بانواعي قلل الاجبال فخرسهم * غلب الرجال فلم يتفقههم القليل
 واستمزلوا بهد عز من معاقلهم * فاسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
 ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
 أين الوجوه التي كانت محجبة * من دونها تضرب الاستار والكلل
 فأنفخ القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتل

قد طال ما أكلوا وما شربوا * فأصبحوا بهذا الأكل قدأكلوا
قال شيخنا قرئ على القاضي أبي الوليد الباجي وأنا أسمع بعض الشعراء
ويحك يا اسماء ماشاني * أضللتني والله ماشاني
الموت حق فاعلمي نازل * قرب لي لحدي واكفاني
قد كنت ذامال فلا والذي * أعطاني العيش وأغناني
ما قررت العين به ساعة * الا تذكرت فاشجاني
عظمي بأني صائر للبلى * وفاقد أهلي وجبراني
وتارك مالي على حاله * ثم بالشیطان ابن شیطان
لامرأه ابني أول زوج ابنتي * يالك من غي وخسران
يسعدني مالي وأشقي به * قوم ذوو غل وشنان
ان أحسنوا كان لهم أجره * وخف من ذلك ميزاني

* ومن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وفتنها ووزواها ابراهيم بن آدم بن منصور من أبناء الملوك ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد عن ثمانين سريرا قال ابراهيم بن بشار ألت ابراهيم بن آدم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا قال غير هذا أولى بك قالت يرجك الله لعل الله ينفعني به يوما ثم سأله ثانية فقال ويحك اشتغل بالله تعالى ثم سأله ثالثة فقلت ان رأيت يرجك الله أن تخبرني لعل الله أن ينفعني فقال كان أبي من ملوك خراسان وكان من المياسير وكان قد حبس الى الصدف فينا أنارا ككب فرسا وكبني معي وأثرت أرضا أو نعلبا فركت فرسي فسمعت نداء من وراءني يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا به ذا أمرت فوقفت أنظر عنقوي سررتهم أنا حدا فقلت في نفسي اعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أقوى من الأول يا ابراهيم ليس لهذا اخافت ولا به ذا أمرت فوقفت فمشعر أنظر عنقوي وبسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قريوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا به ذا أمرت فوقفت وقت هيأت جاءني الذي من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصيتي بعد يوي هذا فتوجهت الى أهلي وخلقت فرسي وبحثت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساه وأقيت اليه ثيابي فلم أقل أرض قلتي وأرض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسأت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورية وهي المدينة فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسأت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات به هو العمل كثيرا فبينما أنا عاقد على باب البحر اذ جاءني رجل فاستكراني أنظر له بسما نا فتوجهت معه فمكنت في البستان أياما كثيرة فاذا أنا بجانب قد أطل معه أصحابه ولو علمت أن البستان لخادم ما نظرت به ففقدت في مجلسه ثم قال يا ناطور فأجبته قال فاذ به فأتينا ببرمان فقد ورع له وأطبعه فأتيت به برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا ناطور ما هذا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا كل من فاكهتنا ورماتنا لا تعرف الخلو من الحامض قلت وواقعته ما أكلت من فاكهتك شيئا وما أعرف الخلو من الحامض قال نعم فخذ الخادم أصحابه

وقال ألا تجيبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن آدم لم أزد على هذا فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد بالصنعة فجاء الناس عنقا إلى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان ابراهيم بن آدم يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ الدسائير والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كرمًا فز به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما أمر به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطأ رأسه وقال اضرب رأسا طاعا لصي الله فانجيز الرجل ومضى وقال سهل بن ابراهيم صعبت ابراهيم بن آدم فخرت فاتفق على نفقته فاشتبهت شهوة فباع حماره واتفق غنمه على فلما تاملت قلت يا ابراهيم أين الحمار فقال بعناه فقلت فعلام أركب قال يا أخي على عنق قال فخلني ثلاث منازل رحمه الله وأنشدوا شعرا

أيها المرء ان ذنبك بجعر * طافح موجه فلا تأمنها
وسبيل النجاة فيها مبين * وهو أخذ الكفاف واتقوت منها

* وبلغني أن بالهند يوم ما يخرج الناس فيه إلى البرية فلا يبقى في البلد بشرة من طين لا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة من يوم منسفه فاذا اجتمع الخلق في صعيد واحد نادى منادى الملك لا يبعدن هذا الحجر فهاك منصوب الامن حضر في المجمع الاول الذي قد خلا من مائة سنة فرمى بجاء الشيخ الهرم الذي قد ذهب قوته وعي بصره وفي شبابه وبقي الجوز تحف لم يبق منها الا رسمها وقد أخنى الدهر عليها فبعد ان على الحجر الذي هنالك يقول الشيخ حضرت المجمع الاول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش الماضية والامم الخالصة وكيف طعنهم البلى وداروا تحت أطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة القوت فيبكي القوم ويتوبون من المظالم ويكثر الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلون على ذلك محقة وقال وهب بن منبه يحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيئا فوجدوه مشغولاً عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفترم التفت إليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهدي في الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج كل خير فاخذ رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع إلى ربك أن يهب لك نتاج كل خير قال فكيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء فشبها بالماء المالح يغر ولا يروى ويضر ولا يقطع ويسحاب الصيف يغر ولا ينقع وبطل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع ينضرم ويصفر فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسلم الذعاف يغر ويقتل فتذرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت حرفا واحدا فشبهتها بالقول التي تم لك من أجابها وتترك من أعرض عنها فأتيت جدي في المنام وقال يا بني أشهدك مني وأنا منك هي والله القول التي تم لك من أجابها وتترك من أعرض عنها قلت فبأي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذ هاما فلا أراك خلقي الامتجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به قلت وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة أعظم من هذه الصفة فقال سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل

غيث أعجب الكفار بانه ثم هيج قترام مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد
والكفار ههنا الزراع كان الزرع يكون في أول نباته أخضر ناعما اهتزت الارض به بعد يسها
خفات في العيون كالمخ ما يكون ثم هيج قترام مصفرا أي يكبر ويستوى فيحب ويحترق ويتكسر
أعلاه ويستقل بسنبله ثم يداس فيكون حطاما أي تنشأ منكسرا متقطعا وهذا مثل ضرب الله
لبنى آدم اذ كانوا أطفالا أول الولادة وفي حال الطفولية كاحسن مرأى يعجبون الآباء ويقتنون
ذوى الاحلام والنهي ثم يكبرون فيصبرون شيوخا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب
حسنهم ونعمتهم وفي شباهم ورجالهم وذوق غضارتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم
والشيب ثم يموتون فيصبرون حطاما في القبور كالتب في الحريق هذا بعد ما وصفها بخمس صفات
مذمومة لعب ولهو وزيعة وتناسخ وتكاثر وكان الصدر الاول يسمى الدنيا خنزيرة ولوجودها
اسما أقبح منه لسموها به وكانوا يسمونها أم ذفر والذفر الثني وقال مالك بن انس بلغني أن ملكا
من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زى عظيم فنشرت له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر
برجل يعمل شيئا مكابليه لم يلبثت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك عليه وقال كل الناس
ينظرون الى الاآنت فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فبات هو ومساكين
فدفن الى جنبه في يوم واحد وكانا يعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كانا يعرفهما بقبورهما ثم نسفت
الريح قبورهما وكشفت عنهما فاخطلت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين فاذلك أقبلت
على عملي وترك النظر اليك وروى أن داود عليه السلام يمشي في الجبال اذ واني على
غار فاذا فيه وجل عظيم الخلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفوظ وفيه أنا رسم
الملك ملكت ألف عام وفكت ألف مدينة وهزمت ألف جيش واقتربت ألف بكر من بنات الملوك
ثم صرت الى ما ترى حصار التراب فراشي والحجارة وسادي في رأني فلا تعرفه الدنيا كما عرفتني وقال
وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار
مروا بزراع قد أمكن من القرية الواياني الله اناجيا عفا وحى الله اليه أن ائذن لهم في اقواتهم
فاذن لهم فقروا في الزرع يفركون ويأكلون فيبناهم كذلك اذا جاء صاحب الزرع وهو يقول
زرعي وأرضي ورتسه عن آبائي باذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى
جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة أو ماشاء الله رجلا أو
امرأة كلهم ينادون زرع وأرضي ورتسه عن آبائي فقزع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى
عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم أعرفك زرع وما لي لك
حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمرها ثم
اوقفوا عنها واأنت من تحمل عنهم اوبهم لاحق ليس لك أرض ولا مال وقال أبو العاتية

وعظمت أجدان صحت * ونعمت أزمنة خفت

وتكلفت عن أوجه * تبلى وعن صور سبت

وارتلك قبرك في القبور * ر وأنت حي لم تمت

* يا شامنا بعيني * ان المنية لم غت

ولربما انقلب السما * تغل بالقوم الشمت

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجدة بثوبها بكى حتى
رثى له ثم قال

اكل اجتماع من خيلين فرقة * وان الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا على كثرية * وصاحبها حتى الممات قليل
وان افتقادي واحد ابعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل
وقال

ألا أيها الموت الذي ليس تاركى * أرحنى فقد أنفيت كل خليل
أرا لك بصيرا بالذين أحبهم * كأنك تنحو نحوهم بدليل
ولما تنفض يديه من ترابها مثل يقول بعض بني أمية
أقول وقد فاضت دموعي حسرة * أرى الارض تبقى والاخلال مذهب
أخلاق لو غير الحام أصابكم * عتبت ولكن ماء على الموت معتب
وقال العتابي قلت للفرقدين واللبل ملق * سودا كفافه على الاطلاق
ابقيا ما بقيتا فسيرى * بين شخصيكما سهم القراق
غرم من ظن أن يفوت المنايا * وعراها قلائد الاعناق
كم صفيين متعابا اجتماع * ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للعراق لـكن دوام البقاء للخلاق
وأشدني بعض الادباء

أسعداني يا نخاعي حلوان * وارثياني من رب هذا الزمان
ولعمري لو قد تمسحوا بالقر * قة ابكا كما الذي أبكنا
واعلم ان بقيتا ان نحسا * سوف ياتيكما فتفتقران
ولما سافر الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حر أصابه فقال له الطبيب لا يبريك الاجار النخل
وكان نزولهم قريبا من هاتين النخلتين فامر بقطع جمارا إحدى النخلتين فلما مثل بين يديه أنشده
بعض البلهاء هذه الايات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتم جملها أمرت
بقطعهما ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بكونك وقال بعض
الحكام من أصحابه كان الملك أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أو عظم منه أمس فتظمه
أبو الائمة فقال

سكني حر لا بد منك ثم أتى * نضت تراب قبرك من يديا
وكانت من حياتك على عظات * فأت اليوم أو عظعتك حيا
ووجد مکتوبا على قبر قهرنا من قهرنا فصرنا لناظرين عبدة (وقال عبد الله بن المعتز)
نسبر الى الاجال في كل ساعة * وأيامنا تطوي وهن مراحل
ولم ارمش الموت حقا كانه * اذ ما تخطته الاماني باطل
وما أقبح التقریط في زمن الصبا * فكيف به والتبيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا برا من التقي * فـمـمـرك اليم تعد قلائل

ولم يدخل أبو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا قول أخكم ناسخ فاجتمعوا عليه فقال ملأوا
أراكم تبشرون ما لا تسكنون ونجـمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وأملوا
بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح ألمهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا وروى الحافظ
قال وجدته مكتوبا في حجر ابن آدم لورابت يسير ما بقي من أجلك لزهدي في طول ما ترجو من أمك
ولرغبتي في الزيادة من عمك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا منك لو قد زلت
بك قدمك وأسلك أهلك وحشمتك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت في
عملك زائد ولا الى أهلك عائد * وقال مالك بن أنس بلغني ان امرأتين أتتا عيسى عليه السلام
فقالا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج لنا أبانا فإنه هلك ونحن غائبتان عنه قال تعرفان قبره
فقالتا نعم فذهب بهما فأتيا قبره فقالا هذا هو فدعا الله فخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فردتم
دلائله على قبر آخر فدعا ان يخرج فخرج فاذا هو فلزمناه وسلمنا عليه ثم قالتا يا حي الله يا معلمي الخير
ادع الله ان يبقيه معنا فقال وكيف أدعوه ولم يبق له رزق بعين به ثم رده واقصرف وانشدني

بعض الادباء
وأأسنى من فراق قوم * هم المصابيح والخصون
والمزن والمدن والرواسي * والخير والامن والسكون
لم تغيب بنا الليالي * حتى نوفيهم المتون
فكل حجر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

(وروى) ان النعمان بن المنذر خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد فورا بشجرة فقال عدى بن زيد
أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انه يقول

من رأنا فليحدث نفسه * انه موف على قرب سؤال
وصروف الدهر لا يبق لها * ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قدنا نحو حولنا * بشرون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدهر بعيش حسن * آتني دهرهم غير عيال
عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذلك الدهر حال بعد حال

قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بقبرة فقال له عدى أيها الملك أتدري ما تقول هذه القبرة قال لا قال
انها تقول
أيها الركب انقبونا * على الارض المجدونا
كأنا انتم ككذا كنا * كما نحن نكفوننا

فقال النعمان قد علمت ان الشجرة والقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك انما أردت تعطيني خبرا والله
عني خيرا فالسبيل الذي تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال في هذه
النجاة قال نعم فترك عبادة الاوثان وتنصر يومئذ وأخذ في العبادة والاجتهاد (وقال) عبد الله بن
المعـ لم خرجنا من المدينة نحو الجبال كما بالروية نزلتنا فوق بنا رجل عليه ثياب رثة ليس له منظر
وهيئة فقال من يسبح خادما من يسبح ساقيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها فالتفت فلم يلبث
الا يسبحا حتى أقبل وقد امتلأت أنوابه طينا فوضعهما كالسرور الاضاحك ثم قال انكم غير هذا
قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فآخذه وحسب الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعدنا كله أكل جائع
فادركتني عليه الرأفة فقممت اليه بطعام طيب كثير فقلت له قد علمت انه لم يقع منك القرص بموقع

فدونك هذا الطعام فظفر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فما بالي باي شيء
رددتها فرجعت عنده فقال لي رجل الى جنبني انعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس
ابن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فنفقه فاعرف له اثر ولا وقف له على خبر
فاجبني قوله ثم اجتمعت به وانسته وقلت له هل لك ان تعاد لني فان معي فضلا من راحتي فجزاني
خيرا وقال لو اردت هذا كان لي معدا ثم انس الى فجعل يحدثني فقال ان انا رجل من ولد العباس
كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني امرت خادما لي ان يحشو فراشي من
حرير ومخدة يوردني ثمرات واني لناسم اذا ابتعد وردة قد اغفلته الخادم فسمت اليها فوجعتهما
ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القسم من المخدة فانا في آت في منامي في صورة قطيعة
فهزني وقال افي من غشيتك ابصر من حبرتك ثم انشأ يقول

ياخذ انك ان توسد لنا * وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد نفسك صالحا تسعديه * فلتند من غدا اذا لم تفعل

فانتمت فزعنا فخرج من ساعتي هاربا الى ربي (وقال) عبد الواحد بن زيد كرتي ان في جوانب
الابل جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتني في خرابة جالسة على حجر وعليها
جبة صوف وهي محلوقة الرأس فلما نظرت الى قات من غير ان اكلمها امر حبابك يا عبد الواحد
فقلت لها رب الله بك وعجبت من معرفتي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا
فقلت جئت لتهطئي فقالت واعجباه لواء عظيم عظم ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان
في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فبطل حيرانا والهافان كان له نصيب عند الله
عاقبه وحيا في سره فقال عبيد اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي ووجهه عرشي واجعله لك
للاولاد والى اهل طاعتي في ارضي قلت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورتك
بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والتقرب بعد الغنى عبيد ارجع الى ما كنت
عليه ارجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتني وولت عني وانصرف عنها وبقلي حسرة
مها وانشدوا

انك في دارها مدة * يقبل فيها عمل العالم
أما ترى الموت محبطا بها * يقطع فيها أمل الآمل
تجمل الذنب بما تشتهي * وتامل الدوبة من قابل
والموت يأتي بعدد اغفلة * ماذا يفعل الخازم العاقل

* ولما نزل سعد بن ابي وقاص الحيرة قبل له ههنا عجوز من بنات الملوكة يقال لها الحرقبة بنت
النعمان بن المنذر وكانت من اجل قبائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها اشترت عليها ألف
قطيعة حرير وديبايح ومعهما ألف وصيف ووصيفة فارسل اليها سهف فجات كالسن البالي
فقالت يا سعد كل ما لوك هذا المصير قبلك يحمل النواجر به موطينا اهله من المدد
حتى صاح بصاائح الدهر فشت شملنا والدرزدنوا تب وصرور فلورا تنافي أيامنا لا رعدت
فرا نصل نزعانا فقال لها سعد ما نعلم ما نعلم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا
دعونا ثم انشأت تقول

وينافسون الناس والامراء امرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس تنصف
فتبنا لدنيا لا يدوم نعيمها * تشلب ناراً تبنا ونصرف
ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت خير الا والاهريعة تبهم غيره حتى ياتي امر الله على الفريقين
فاكرمها سعد و امر بردها فلما ارادت القيام قالت يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك
الى التيم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة ولا ازال عن عبد صالح نعمة الا جعلك الله سيدي لا الى
ردها عليه ولبعضهم

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث خروجه
 وانه بين جنات سبجيه * يوم القيامة أو نار تتفجيه
 فكل شئ سوى التقوى به صج * وما أقام عليه - منه - أسجيه
 ترى الذي اتخذ الدنياه وطنًا * لم يدرك أن المنايا سوف تزجيه

(وروى) ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب ليسيجان فاصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى لصاحبه اطلق فاطلب لنا طعما من هذه القرية فقام عيسى بهلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فاطأ عليه انصرف عيسى فاكل رغيفا فانصرف عيسى فقال أين الرغيف الثالث فقال ما كانا الا رغيفين قال فترأى وجوههما حتى مرابطا ترى فندعا عيسى عليه السلام ظبيهما فذكاه فاكل منه ثم قال عيسى عليه السلام للظبي قم يا ذئب الله فاذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين قال فضياعلى وجوههما فتراهم يخرج عجاج عظيم فاخذ عيسى عليه السلام يده فمضى به على الماء حتى جاوز الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخرج حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها بن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عليه السلام أجل هذا مال واحد على واحد ذلك واحد فاصحاب الرغيف فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كلها ففارقهما فقام عليهما ليس معهما مئمة عليهما فترى ثلاثة نفر يقتلوا وأخذوا اللبن فقال اثنان منهم لو احدثنا نطلق الى القرية فأنا بطعام فذهب فقال احد الباقين تعال نقبل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا قال الاخر نعم وقال الذى ذهب يشتري الطعام أجعل في الطعام سمما فاقبلها وأخذ اللبن ففعل فلما جاء قتلوا واكلا من الطعام الذى جاء به فماتا فترى عيسى عليه السلام وهم حولها من مصر عين فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها (وقال عبد الملك) بن عمر رأيت فى هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ثوبين مصبوعين بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما زحف الرشيد بمجالسه وتقرم فيها وزوقها وضعف فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابى العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا فقال

عيسى ما يدلك سالما • فى ظلم شاهقة القصور

بمصر ما بالك ساما • في ظيل شاهقة القصور

يسعى علمك بما اشتهيت لدى الروح وفي البكور

وإذا النفوس تبعته * في ضيق حرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى هرون فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأخزته فقال هرون دعه فإنه
رأى في ضلالة وجهي ففكره أن يزيد ناعى (ويروى) أن سليمان بن عبد الملك لبس آخر ثيابه ومس
أطيب طيبه ونظر في مرآته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال
بلسارته كيف ترين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لبقاء للانسان

ليس في ما يد النامتك عيب * عابه الناس غير أنك فاني

فأعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحجي فلم يزل صوته
يتقص حتى ماسعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال
للجارية ما الذي قلت لي في سخن الدار قالت ما رأيته ولا قلت شيئا وأنى لي بالخروج الى سخن
الدار فقال انالله وانا اليه راجعون نعت الى نفسه ثم عهد عهده وأوصى وصيته فلم تدركه
الجمعة الاخرى الا وهو في قبره (ووجد) مكتوبا على قصره سيف بن ذي يزن

من كان لا يطأ التراب برجله * وطئ التراب بناعم الخلد

من كان يمشى في التراب ويينه * شبرا كان بغاية البعد

لوعثرت للناس أطباق الثرى * لم يعرف المولى من العبد

(وقال الهيثم بن عدي) وجدوا غارا في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى
على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية أنا سبأ بن نوام بن سبأ
خدمت عيص بن ابراهيم خليل الرب الديان الملك الاكبر وعشت بعده عمرا
طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أرفيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع
آبائه ويقف على قبر أحبائه ويعلم انه صار اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجساد لا تحيا
سيزولوني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان وتناثر الصبيان ويكثر الخلد نانا
فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر بمدينة قدم ملكها
أملاك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد قالوا رجل
يكون في المقابر فدعاه وقال له ما دعاك الى زوم المقابر قال أردت أن أعزل عظام الملوك من
عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك أن تتبعني فأجى بك شرف آياتك ان كانت لك
همة قال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب
لا هرم فيه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يعتريه مكروه قال ما أقدر على هذا قال فانفذ
إسائك وخلي أطلب بغيتي عنى هي منه فقال الاسكندر هذا احكم من رأيت (وروى)
في الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام بينما هو في بعض سياحته اذ مر بججمة فخوة
فامرها أن تتكلم فقالت يا روح الله أنا ابوام بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وولدت
ألف ذكر واقفة ضئ أف بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار واقتحمت ألف مدينة
فمن رأني فلا يغتر بالدينا كما تغترى فما كانت الا كلم نائم فبكى عيسى عليه السلام (ووجد)
مكتوبا على قصر بعض الملوك وقد بادأ أهله وأقرب ساخته

هزى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا بالذم
تبكى عليهم ديار كان بطربها * ترنم المجد بين الحلم والكرم
(وقال) عبد الله بن أبي نوح نزل حتى من العرب شعبان شهاب الدين فتشاحنوا فيه واختلقوا
واستمعوا للقتال فاذا صايح يصيح ياهؤلاء على رسلكم علام القتال في قوا الله لقد ملكنى
سبعون أعور كلهم اسمه عمرو

• (فصل) • أيم الرجل اعتبر عن مضى من الملوك والاقبال وخلا من الامم والاجبال
وكيف بسطت لهم الدنيا وأنست لهم الآجال وانفسح لهم في المني والآمال وأمدوا بالآلات
والهدد والاموال كيف طعنهم بكل كلمة المنون واخذتهم بزخرفه الدهر الخون وأسكنوا
بعدسة القصور بين الجنادل والصور وعاد العين أثرًا والمثا خبرا فاما اليوم فقد ذهب
صفوا الزمان وبقي كدره فالمرت اليوم تحفة لكل مسلم كأن الخير أصبح خاملا والشر أصبح
ناظرا وكان الغي أصبح ضاحكا والرشيد بياكا وكان العدل أصبح غائرا وأصبح الجور
عاليا وكان العقل أصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللوم أصبح باسقا والكرم
خاويا وكان الود أصبح مقطوعا والبغضاء موصولة وكان الكرامة قد سلبت من الصالحين
وتوحيهم الاشرار وكان الخب أصبح مستيقظا والوفاء نائما وكان الكذب أصبح منمرا
والصدق ماحلا وكان الاشرار أصبحوا يسامون السماء وأصبح الاخبار يردون بطن
الارض أما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب ونصل وصال الملوك وتفارق
فراق العجول نغيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها خبيثة ولذا انها غانية
وتبعاتها باقية فاعنهم غفوة الزمان موانئهم في فرصة الامكان وخدمهم نفسك لنفسك وتزود
من يومك لغدك ولا تنافس أهل الدنيا في خفض عيشتهم ولين رياشتهم ولكن انظر الى سرعة
ظهورهم وسوء منقلبهم قال الشاعر

رب مغرور بعاش به * عدمته عين مغترسه
وكذلك الدهر ما عبه * أقرب الاشياء من عروسه

وقد قال النابغة

تنافس في الدنيا غرورا وانما * قصارى غناها أن تنزل الى الفقر
وانالى الدنيا كركب سفينة * تظن وقوف الزمان بها يجرى
ولبعض الشعراء

روح لك الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور
وتجسرى اليها باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أن نجسم وتغور
فمن ظن بأن الدهر باق سروره * فذلك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن صراهم واحدا * وأيقن ان الدوائر تدور

(وقال وهب بن منبه) قرأت في كتب بعض الانبياء عليهم السلام أن المسيح اجتاز بجمجمة هائلة
عظيمة نخرة فقال له اصحابه ياروح الله لو سألت الله تعالى أن يستنطق هذه الجمجمة فمضى تخبرنا
بما رآته من العجائب ففعل فانطقها الله تعالى فقالت ياروح الله انى عشت ألف سنة

واستولدت ألف ذكر واقتتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وقتلت ألف جبار وصحبت
 الدهر واختبرته وامتنعت قلبه وانقلبه فلم أرشداً أشد من طالح بلى أمر صالح ولم أجده
 لهذا الدهر شيئاً أتفع به الصبر ومسالمة أهله ولم أر هلاكاً أهله إلا في الحرص والطمع
 ووجدت العز في الرضا بالقسم (وقال محمد) بن أبي العتاهية آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي
 توفي فيه رحمه الله

الهي لا تعدني فاني * مقدر بالذي قد كان مني
 فمالي حيلة إلا رجائي * وعفولاً أن عفوت وحسن ظني
 وكمن زلة لي في البرايا * وأنت عليّ ذو فضل ومنّ
 إذا فكرت في قدمي عليها * عنضت أنامل وقرعت سني
 أجبن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمري بالتمني
 وبين يدي ميعات عظيم * أني قد دعيت له كأنني
 ولو أني صدقت الله فيها * قلبت لأهلها ظهراً والمجنّ

(وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف قس بن
 ساعدة قالوا كنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست أنساك بعد كما ظن عليّ جل احرو وهو يخطب
 الناس ويقول ايها الناس اجتمعوا فإذا اجتمعتم فاسمعوا فإذا سمعتم ففعلوا فاعلموا
 فإذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آن في السماء ظهير وان
 في الارض لغيره مهاده ووضوع وسقف مرفوع ونجوم تدور وبجور لا يغور أقسم قس قسم
 بحق لا كذب فيه ولا ثم لنن كان في الارض رضا لعلكونن بخطا ان الله ديننا هو أحب
 اليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام
 فقاموا وتركوا على حالهم فقاموا ثم قال ايكم يروى شعره فأنشدوه

في الذاهبين الا * قليل من القرون لنا باصر
 لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
 ورأيت قوى نحوها * تمضي الأصاغر والا كابر
 لا يرجع الماضي اليك ولا من الباقي غابر
 سكنوا البيوت فوطنوا * ان البيوت هي المقابر
 أيقنت أني لا محيا * له حيث صار القوم صائر

ثم قال الرجل لقد رأيت منه عجبا اقتضت وادبا فإذا أتابعين جارية وروضة مدهامة ونخبة
 عادية وإذا بقس بن ساعدة فاعذ في أصل الشجرة ويده قضيب وقد ورد على العين سبلع
 كثيرة فكلما ورد سبلع على صاحبه شربه بالعصا وقال نخ حتى يشرب الذي يورد قبلك فلما
 رأيت ذلك دعرت دعرا شديدا فالتفت الي وقال لا تخف فالتفت فإذا بقس بن يمينه مناسجد
 فقلت ما هذا القبران قال هما قبرا اخوي كانا يعبدان الله تعالى معي في هذا الموضع وأنا
 أعبد الله بينهم ما حتى ألحق بهم ما فقلت له ألا تلحق بقومك فتكون في جبرتهم فقال لي ذلك
 أمك او ما علمت ان ولد اسمعيل ترك دين ابيه واتبع الاصنام وعظمت الهداد ثم تركني

وأقبل على القبرين وقال

خليلي هب طالما قد رقدتما * أجد كما ماتتضيان كرا كما
أرى النور بين الجلد والعظم منكما * كأن الذي يسقى العقار سقا كما
ألم تعلم أني بسهما مفرده * ومالي فيه من خليل سوا كما
مقيم على قبريكما است نازما * طوال الليالي أويجيب صدا كما
أبكبكما طول الحياة وما الذي * يرد على ذي غصة أن بكما
كأنكما والموت أقرب غاية * بروحي في قبريكما قد أنما كما
سلام وتسليم وروح ورحمة * ومغفرة المولى على ساكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسي أن تكون فدا كما
وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن قس بن ساعدة يبعث أمة وحده يعني أن
كل أمة أنتبئتم ببعث أمة وحدها لا يجالطها غيرها ويبعث قس أيضا وحده أمة ليس معه
أحد (ويروى) أن المهدي نام يوما فأنشد في نومه هذه الآيات
كأنني بهذا القصر قد بادأهله * وأوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه * ينادى بليل معولات نواكه
فأنت عليه عشرة عشرة - حتى مات (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة
هذه الآيات

يا لله ربك كم قصر ممرت به * قد كان يعمر بالذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب
وأنشدني أيضا

أيها الرافع البناء رويدا * لن تذود المنون عنك المباني
ان هذا البناء يبقى ويفنى * كل شئ ابقى من الانسان
(وقال الحكيم بن عمرو) قال أبو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم أني ارتكبت
الامور العظام براءة مني عليك فانك تعلم أني قد أعطتك في أحب الاشياء اليك شهادة أن لا اله
الا الله منامنك لا مناع عليك * وكان سبب احرامه من الحضراء أنه كان يوما نائما فأتاه
آت في منامه فقال

كأنني بهذا القصر قد بادأهله * وأوحش منه أهله ومنازله
وصار عياد القصر من بعدهم حجة * الى تربة تنسني عليه جنادله
فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأنشد

أبجع فراحات وفائك وانهضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
فهل كلهن أعدته ومنجم * أباجع فراعنك المنية دافع
فقال يا رب اتني بطهوري فقام واغتسل ولبي وتجهز للرحيل ثم قال يا رب اتني في حرم الله
تعالى (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني بالبصرة
ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون

زَمَّ الامور فاعطته مقادتها * وسخر الناس بالتشديد واللين
حقى اذا ظن أن لاشئ غالبه * ومكنت قدما ما أمتهم
راحت عليه المنابر وحة تركت * ذا الملك والعزحت الماء والطين
وأشدنى أبو محمد التميمي بيغداد

لمن أبى لمن أسم المطايا * لمن استأنف الشئ الجديد
إذا ما صار أخوانى رفاتا * وصبرت لفقدهم فردا وحيدا
أعابن معشرا لهم شكول * وأشكالى قد اعنتوا الحودا

(ومن زهد في الدنيا) وأبصر عيوبهم من أبناء الملوك أبو عقيل علوان بن الحسن من بني الاغلب
وهم ملوك المغرب وكان ذائعة وملاك وله فتوة ظاهرة فتاب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا
فارق نظراءه فرفض المال والاهل وهجر البناء والوطن وبلغ من العبادة مبلغا أربى فيه على
المجتهدين وعرف بابابة الدعوة وكان عالما أدبيا قد حجب عنه من أصحاب سخنون وسمع
منهم ثم انتفع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى أبا هرون الاندلسي منقطعاً متبلا الى الله
تعالى فلم يرمه كبر اجتماع في العمل فبينما أبو عقيل يتعبد في بعض الليالي وأبو هرون نائم
اذغالبه النوم فقال لنفسه يا ناس هذا عابد جليل القدر ينال الدليل كله وأنا أسهر الليل كله
فلما أرحت نفسي فوضع جنبه فرأى في منامه شخصا قتل عليه أم حسب الذين اجترحوا
السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية فاستمط فزعا وعلم أنه
المراد فانتظأ باهرون وقال له سألتك بالله هل أتيت كبيرة قط قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن
تعمد والمجد لله فقال أبو عقيل اهدأ انتام أنت ولا يصلح لمثل الا الكد والاجتهاد ثم دخل الى مكة
ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وأربى على عباد المشرق وكان يعمل بالقرية على ظهره بقوته
ومات بمكة وهو ساجد في صلاة القرية بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له
رجل كان يعصبه يومالي اليك حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة
أخبرني بها قال نعم أشتي أن آكل رأسا قال فاشتريت له رأسين ولففتهم في رفاق وجنته بهما
ثم سأله بعد أيام هل طاب لك الرأسان قال لا ما هو الا أن فتحتهما فاذا هما محشونان دودا ليس
فيهما البتة لحلم الا الدود فأتيت الرأس فآخبرته فأطرق متعجباً ثم قال ما ظننت أن في زماننا أحدا
يحمي عن الحرام هذه الحماية تلك الرؤس كانت من غنى اتهم بها بعض العمال ثم أعطاني رأسين
من غير تلك الغنى فأتيت بهما فأعقل فأكلهما فآخبرته بما قال الرأس فبكي ثم قال يا رب
ما كان يستحق عبدك أبو عقيل مثل هذه الحماية ولكم يا رب فضل وكرم فلك على يا رب
أن لا آكل طعاما يشهوه أشتيها حتى ألقاك ان شاء الله تعالى وكانت له أخت من عبدة فقامات
لحقت قبره بمكة وبكت عليه وكتبت عليه هذه الايات

ليت شعري ما الذي عابته * بعددوم الصوم مع نفي الوثن
مع عزوف النفس عن أوطارها * والتخلي عن حبيب وسكن
بأشقى ليس في وجدى به * علة تمنعني أن أجني
وكما تبلى وجوه في القرى * فكذا يبلى عيون الحزن

(وروى) ان رجلين تنازعا في ارض فانطق الله ابنة من جدد اوتلك الارض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت رميا ألف سنة فاخذني خراف واتخذني خرفا ثم أخذني وضربني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعا في هذه الارض (ومن اعجب) ماروى في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك تزهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها أثر وكان هناك دير للمتعبدين فخلق بهم شاب يتعبد فابصر وامنه من الاجتهاد الجدي في العمل وملازمة الاوراد ومواصلته الاعمال فاقا به جميع من في الدير واقام على ذلك ما شاء الله تعالى الى ان انقضت ايامه ووافاه حمامه فقضى الفتى تحبه فخر له اهل الدير من الزهاد والعباد والمنتهيين وأذروا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله واذا هو امرأة فقصورا عن امره واذا هي بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاوروا في امره ماذا يجرون له من الكرامة ثم اجعوا امرهم ان لا يدفنها تحت الثرى وان يحملوها فوق كنفهم ففعلوا وكفوها وجهزوها وصلوا عليها ثم اقبلوا يحملونها على الاكف والسواعد كلها ضجروا واحد جاء واحد يحمل مع من يحمل وكل من انقطع في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بليت وتقطعت وصلها مع طول الزمان فدفنت حينئذ رجة الله عليها (وكان) في بلاد الروم عماري ارض الاندلس رجل نصراني قد بلغ في التجلي من الدنيا مبلعا عظيما واعتزل الخلق والتزم قلال الجبال والسياح في الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامر فامر ابن هود ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن امواله وما حوته من البيضاء والحمر والاحجار والياقوت والجوهر وامثالها ونفائس الاعلاق والجواري والحشم والاجناد والكرام والسلاح فقاموا في ذلك اياما فلما انقضت قال له كيف رأيت ملكي قال قد رأيت ملكا ولكنه يعوزك فيه خصلة ان انت قدرت عليها ففنيها نظام ملكك وان لم تنه در عليها فهذا الملك لاني قال وما تلك الخصلة قال نعم قد صنعت غطاء عظيميا حصينا قويا ويكون مساحته قدر البلد ثم تكبه على البلاد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله ويقدر البشر على هذا فقال العلي يا هذا انفق بامر تترك غدا ومثال من يشتر بما يقضي كمن يشتر بما يراه في النوم (ويروي) ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظر اامن عاب منه شيئا فأصلحوه وأعطوه درهمين تأما رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال عيوب الملك وبخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) اخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن اعجب شيء رأيت في الدنيا في طول سباحتك وكثرة خلواتك وقطعك القنار والذلول قال اعجب ما رأيت في مدينتي لم ار على وجه الارض احسن منها فسلأت بعضهم حتى بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا حتى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحو امان خمسة ايام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خلوية على عروشها ولم ار احدا أسأله واذا رعاة غنم قد نوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا قالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا اجدادنا فانه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها نحو امان خمسة ايام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بجزر واذا غواصون

يخرجون منه شبه الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقال سبحان الله ما يركب آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من ذبعت الله الطوفان ثم غبت عنها انحوامن خمسةائة عام ثم انتهت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غصة ملتمة بالقصب والبردى والسميع واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق مغارة فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقال سبحان الله ما يركب آباؤنا ولا أجدادنا انه ههنا قط بجر فغبت عنها انحوامن خمسةائة عام ثم أتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيبة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يركب احد الا ان هذه المدينة على حالها من ذبعت الله الطوفان فغبت عنها انحوامن خمسةائة عام ثم انتهت اليها فاذا عالم اسافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا أسأله ثم رأيت راعيا فسألته أين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يركب آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا العجب شئ رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر)

قف بالديار فهذه آتارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقتت بها أسائل مخبرا * عن اهلها او ناطقا ومشتقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الايات قول القائل .

رب ورقاهم توف بالفضي * ذات شجوصدحت في فنن
ذكرت إلقا ودهرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكتاني ربما أرتقا * وبكاها ربما أرتقي
فاذا تسعدني أسعدها * واذا اسعدها تسعدني
ولقد تشكروا فافهمها * ولقد اشكروا فانتبهمني
غير أنني بالجوى أعرفها * وهي ايضا بالجوى تعرفني

(ونظر) رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيد وأتقنه وزوقه فقال باب حديد وموت عتيد ونزع شديد وسر بعيد (ولما نزل) عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوي يده ثوبا فقال وددت اني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكسبه يوما فبما في ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتقي عند ما هم فيه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن لا تشيع وقاب لا يشع وعين لا تدمع هل يتوقع أحدكم من الدنيا الا غنى مطعيا أو فقرا منسبيا أو مرضا مضيدا أو هربا مقبدا أو دجالا والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر (وقال) عيسى عليه السلام اوصي الله الى الدنيا من خدمني فاخدمه ومن خدمك فاستخدمه يادنا تترى على اوليائي ولا تتولى لهم فتقتنهم (وقال) مروق العجلى يا ابن آدم في كل يوم يوتى برزق وتحتزن ويقصر عرك وانت لا تحزن تطلب ما يطغبك وعندك ما يكفك لا بهليل تنتع

ولا يكثرتسبع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجابته ايها الناس ان الايام تطوى
والاعمار تقضى والابدان في الترى تبلى وان الليل والنهار يترا كنهان تراص كض البرد
يقتربان كل بعيد ويخلفان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في
الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما زداد صاحبه شربا ازداد
عطشا وكالسكر من العسل في اسفله السم للذائق منه حلاوة عاجلة وله في اسفله الموت
الذعاف وكالاحلام للناثم التي تنرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي
يفضى قلبا ويذهب وشيكا ويبيق رائيه في الظلام مقبلا وكدودة الابريسم التي لا يرداد
الابريسم على نفسه الفا الا ازدادت من الخروح بعدا (وفيه قال القائل)

كدود كدود التري يسبح دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناصحه

ومثال من يستجمل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الآخرة مثل رجل ينقطع من الارض حبي
عنب فاما أحدهما فجعل يص الحبة التذاذ ايم بلعها واما الآخر فزرع الحبة فلما كان
بعد زمان التقي فاما الذي زرع الحبة وجدها قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الآخر
في صنعه في الحبة فوجدها قد صارت عذرة وليس عنده منها شيء الا الحسرة على تقريطه
والغبطة لصاحبه (وقال) وعبد بن منبه أوحى الله تعالى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل
ان أردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدا مهموما وحشيا
بمنزلة الطير الوحدا في الذي يظل في الارض الفلاة وبأكل من رؤس النجس ويشرب من
ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأمع الطير استنسا بر به (ولبعنهم)

كم للعواد من سرور في عذاب * وفوائد مرصولة بين وائب

ولقد تقطع من شبائك وانقضى * مالت أعلمه اليك يا ب

تمنى من الدنيا الكثير وانما * يكفك منها مثل زاد الراكب

(وقال مالك بن أنس) بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية فدخلت حصونها وجنت
أنهارها وتسعت شجرها فنادى يا خراب أين أهلك فلم يجبه أحد ثم نادى يا خراب أين أهلاك
فلم يجبه أحد فنودي عيسى بن مريم بادوا وتضمنتم الارض وعادت أعمالهم فلا في
أعناقهم الى يوم القيامة فبكى عيسى عليه السلام (قال مالك) سئلت امرأة من بقة قوم
عادي قال لها هزئة أي عذاب الله رأيت اشد قال كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحته على
لبه لا ربح فيها ولقد رأيت العير تحملها الريح بين السماء والارض (وقال) مجاهد كان
طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان لمبيك من خشية الله تعالى ما لو كان النار على عينيه
لا تحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه (ومر) بعض الملوك بسقراط الحكيم
وهو نايم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك ما تعرفني
قال لا ولكن أرى فيك طبع الدواب فهي تركض بارجلها فغضب وقال أنقول لي هذا وانت
عبدى فقال له سقراط بل أنت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك
وأنا ملكك النملوات فقال أما الملك بن الاملاك السادة أم لك من البلاد كذا ومن الاموال
والرجال كذا قال أراك تفخر على بلبس من نفسك وانما سيديك أن تفخر على بنفسك

ولكن تعال فخلع ثيابنا ونلبس جميعاً ثوباً من ماء في هذا النهر ونة كالم اذ يتبين الفاضل من
 المفضول فانصرف الملك خجلاً وها أنا أكى لك أمراً أصابني طيش عقلي وبلبل حرمي
 وقطع يدا قلبي فلا يزال مراة لي حتى يواريني التراب وذلك أنى كنت يوماً بالعراق وأنا
 أشرب ماء فقال لي صاحب لي وكان له عقل باقلان لهل هذا الكوز الذى تشرب فيه الماء
 قد كان انساناً يوماً من الدهر فمات فصار تراباً فاتفق للفتارى أن أخذ تراب القبر وشربه
 خرفاً وشواء بالنار فانتظم كوزاً كثرى وصار آية يمتن ويستخدم بعد أن كان بشراً سوياً
 يأكل ويشرب وينعم ويلذو بطرب فاذا الذى قاله من الجائزات فان الانسان اذا مات عاد
 تراباً كما كان في النشأة الاولى ثم قد يتفق أن يحفر لحده ويحجن بالماء ترابه فيستخدم منه آية
 فتمتن في البيوت أو لبنة فتعقب في الجدار أو طين به سطح البيت أو يفرش في البلد فيوطأ
 بالاقدام أو يجعل طيناً على الجدار وقد يجوز أن يغرس عند قبره شجرة فيسحق تراب
 الانسان شجرة وورقا وغرة فتعرق البهائم أوراقها ويأكل الانسان ثمرها فينبت منها لحمه
 وينشر منها عظمه أو تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فبينما كان يقات صار قوتا وينا
 كان يأكل صارماً كولا ثم يعود في بطن الانسان رجباً فيقذف في بيت الرحاضة أو يعرا
 ينبذ بالاعراع ويجوز اذا حفر قبره ان تسمى الريح ترابه فتتفرق اجزأؤه في بطون الاودية والتلول
 والوهاد أليس في هذا ما اذهل العقول وطش الحلووم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة
 الاهلين والمال والحق بقتل الجبال والانس بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا
 ما مضر الدنيا وما فيها أليس في هذا ما حقر الملك عنده من عظمه والمال عنده من جمعه أليس
 في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا يستكمل
 ومنظر غداً وليس من أجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره لا تبغضتم الامل وغروره (وما)
 بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك الاندلس قصره وأنفق فيه بيوت الاموال جاء على
 أكمل بنان في الارض وكان من عجايبه أن صنع فيه بركاً ماء كلها بحجرة وبني في وسطها
 قبة وساق الماء من تحت الارض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون
 وكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالها محيطها متصلاً بعضها ببعض فكانت القبة
 في غلالة من ماء سكب لا يفتقر والمأمون فاعدها ففروى عنه أنه بينما هو قائم اذ سمع منشداً يندد
 هذين البيتين

أنتى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها الوعقت قليل

اقد كان في ظل الاراك كناية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيراً حتى قضى شجبه (ووجد) كتباً على قصر قد بادأه وأقترت مازله

هذى منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانتقلوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا منى نفسك للماء عدت هذا البيت

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خائسه فزوج الاصابع

(وروى) أن الحجاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بقى من الدنيا أشبه مما مضى من الماء

ولو أعطيت ماضى من الدنيا بما تقي هذه ما قبله فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره
الموت قال لاحدهم قد كنت لى خليلاً مكرماً مؤثراً وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى
فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبني عليك لا أستطيع أن أنفس كربك ولكن هاتين
يديك فخذني زادني ثقتك ثم يقول للثاني قد كنت عندى أثر الثلاثة وقد نزل بي من أمر الله
تعالى ما ترى فما عندك قال هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك ولكن
سأقوم عليك في مرضك فادامت أثقت غداً وجودك كسوتك وسترت جسدك وعورتك
وقال للثالث قد نزل بي من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة علي فماذا عندك قال لى
قربك وحليفك فى الدنيا والآخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج منه
ولاً فأقولك أبداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني أهله والثالث عمله (ولما)
لقى يعون بن مهران الحسن البصرى قال له قد كنت أحب لقاءك فعظمى فقراً الحسن أن قرأت
ان متعناهم سنين ثم يباهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنعون فقال عليك السلام
أباهم يدفعه وعظمت أحسن موعدة واجبها كل العجب للمكذب بالشاة الأخرى وهو يرى
الاولى واجبها كل العجب للشاة فى قدرة الله تعالى وهو يرى خلفه واجبها كل العجب للمكذب
بالنشور وهو يموت فى كل يوم وإسلة ويحبها واجبها كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو
يسعى لدار الفرور واجبها كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو
بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروى) ان الله تعالى أوحى الى آدم عليه السلام بجماع الخير كله فى
أربع واحدة فى رواحده تلك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فأما
التي فى قنبردى لا تشرك بى شيأ وأما التي لك فاعمل ما شئت فانى أجزيك به وأما التي بيني
وبينك فاعلم الدعاء على الأجابة وأما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما يحب أن يكونوا لك
(وقال) سليمان بن داود عليهم ما السلام أوتينا ما أوتى الناس وما لم يوتوا وعلمنا ما علم الناس وما لم
يعلموا فلم نجد شيئاً أفضل من خشية الله تعالى فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب
والقصد فى الغنى والفقر (وكتب) معاوية الى عائشة رضى الله عنها ان اكتبى لى كتاباً توصينى
فيه ولا تتكفى على فكتبت اليه سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اتى من الناس بضا الله بخط الله وكلمه الله الى الناس والسلام (ولما) ضرب ابن ملجم
عليما رضى الله عنه دخل منزله فاعتزته غشية ثم أقام ودعا الحسن والحسين رضى الله عنهما
(فقال) أوصيكم بتقوى الله والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولأننا سنا على شئ فأتاكم
منها أعمال الخير وكونوا للظالم خصماً والمظلوم عوناً ثم دعا محمداً وقال له أما سمعت
ما أوصيت به أخويك فقال بلى قال فانى أوصيكم به وعليكم ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة
فضلهما ولا تقطع أمرادهم ثم أقبل عليهم فقال أوصيكم به خيراً فاندأخوكم وابن أيبكم
وأتمتعلمان ان أبابكم كان يحبه فأحباه ثم قال يا بنى أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة
وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الصديق والعدو والعمل
فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يا بنى ما شرب بعده الجنة بشر ولا خير بعده

النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عاقبة * يا بني من أبصر عيب نفسه
شغل عن عيب غيره ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاتة ومن سل سيف البغي قتل به ومن
حفر لآخيه بئر واقع فيها ومن هلك حجاب أخيه انكشفت عورات بفيه ومن نسي خطيئته
استعظم خطيئته غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى به قله ذل ومن تكبر على الناس ذل
ومن خالط الأعداء احتقر ومن جالس العلماء وقر ومن يحب صاحب السوء لا يسلم ومن
يحب صاحباً صالحاً يغتم ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن لا يملك نفسه يندم ومن مزح
استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن أكثر كلامه أكثر خطوه ومن أكثر خطوه قل حياته
ومن قل حياته قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار * يا بني الأدب خير
ميراث وحسن الخلق خير قرين * يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصحة الا عن ذكر
الله تعالى والواحدة في ترك مجامسة السفهاء * يا بني لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعلى
من التقوى ولا عقل أحرز من الورع ولا شفيع أنفع من التوبة ولا لباس أجمل من
العافية الحرص مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ينس
الزاد للمعاد العدو ان على العباد فطوبى لمن أخلف الله عاه وعمله وحبه وبغضه
وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله (وروى) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه
لما طعن دعا بدين فشر به فخرج من طمته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يننون عليه فقال
وددت أن أخرج منها ككفافا كما دخلت فيها الوأن إلى اليوم ما طلع عليه الشمس وغربت
لا قدسيت به من هول المطاع (قال) ابن عمر ولما حضرت الفوارة عمر غشي عليه فاخذت رأسه
فوضعتها في حجرى فقال ضع رأسى بالارض لعل الله يرحمى فيصير خدي بالتراب وقال ويل لعمر
ويل لأمه ان لم يغفر له فقلت وهل تخذى والارض الاسواما أبناء فقال ضع رأسى بالارض
لا أم لك كما أمرتك فاذا قضيت فأمر عواينى فى حفرى وانما هو خير تقدمونى اليه وأشر تضعونه
عن رقابكم ثم بكى فقبل له ما يبكيك قال خبر السماء لا أدري الى الجنة يطلع بي أو الى نار (ولما)
حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انك أمرتني فقصرت وذهبتني فصيت وأنعمت
على فأفضلت فان عفوت فقدمت وان عاقبت فما ظلت ألا انى أشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظروا الى أهله ليكون حوله فقال جادلكم هشام بالدين واجدتم له بالكا وترك لكم ما جمع
وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له (واخل) على المأمون فى مرضه
الذى مات فيه فاذا هو قد أمر أن يقرش له جل الدابة ويسط عليه الرماد وهو راقد عليه
يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه (وروى) أن أبابكر الصديق رضى الله
عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى للبا طائر تطير فتقع على الشجر وتناكل من
التمر وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتنى كنت مثلك والله لو ددت أنى شجرة الى جنب طريق
فرعلى بهير فاخذنى فلا كنى ثم أزدردنى ثم أخرجنى بعرا ولم أذكر (وقال) عاصم بن عبد الله
أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبة من الارض فقال يا ليتنى كنت مثل هذا التبة يا ليتنى
لم تدانى أمى يا ليتنى كنت نسيما من نسيان (وقال) ابن مسعود وددت أنى طائر فى منكبى زيش

(وسمع) رجلاً يقول يا ليتني كنت من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني إذا مت لم أبعث
 (وقال) عمران بن حصين لو ددت أني رماد فتنته في الرياح في يوم عاصف (وقال) أبو الدرداء
 يا ليتني كنت شجرة تهذو وتزول كل ثمري ولم أكن بشراً (وروي) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 لما رجع من صفين فدخل أوائل الكوفة فإذا هو بقبور فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن
 الارت فوقف عليه وقال رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلى في
 جسمه آخر الأولين بضيع الله أجراً من أحسن عملاً ثم مضى فإذا قبور فجاء حتى وقف عليها
 فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تباع
 وبكم عمال قيل للاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا عنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل
 للحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الأزواج فتد
 تنكح وأما الديار فتد تسكن وأما الأموال فتد قسمت فهذا خبر ما عندنا فإخبر ما
 عندهم ثم التفت إلى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا والتالوا وجدنا أن خبر الزاد التقوى

* (الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين) *

دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه
 فأقبل عليه وقال له فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أهل البصرة عديسير وعظم كبير
 مع تنابغ المحول واتصال من الذحول فلما كثرت منها قد اطرق والمثل منها اقد ألقى وانغبه
 الخنق فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث القنبر ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصنع عن
 الذحول ويدوى الحول ويامر بالعطاء ليكشف البلاء وتزول المأواء الاوان السبدمن
 يغفر ولا يمحس ويدعو الحظي ولا يدعوا النقرى ان أحسن اليه شكر وان أسوأ اليه غفر
 ثم يكون من وراء الرعية عماداً يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية
 ها هنا يا أبا جحر ثم قرأ وتعرفهم في لحن القول (وقال) سفیان الثوري لما حج المهدى قال
 لا بد لي من سفیان فوضعه الى الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثل بين يديه ادنا لي ثم
 قال لا شيء لانا تبتنا فاستشرك في أمرنا فإما أمرتنا من شيء نصرنا اليه ومانعنا من شيء انتهينا
 عنه فقلت لكم أنفق في سفرك هذا قال لا أدري لي امانة وكلاء قلت فاعذرك غدا
 اذا وفقت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال
 لغلامه كم أنفقت في سفرك هذا قال يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً قال ويحك أبحقنا بيت
 مال المسلمين (وقال) الزهري ما هبت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك
 فقال يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فين صلاح دينك وملوكك وآخرتك ودينك قال
 لا تعد احداً عدو وأنت لا تريد انجازها ولا بد ترك مرتقى سهل اذا كان المتعذر وعراً واعلم
 ان الاعمال جزاء فاحذر الجواقب والذهرات فانك تترك على حذر (ولما دخل) ابن
 السكالك على هرون الرشيد قال له عطني قال يا أمير المؤمنين ان الله لم ير من خلقه في عبادة غيره
 فلا تر من نفسك الا بما رضى الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أولى
 الناس بذلك يا أمير المؤمنين من طلب فسكالك رقبته في مهلة من أجله كان خليفة أن يعتق نفسه
 يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه اليها أذا قته الاخرة مرارتها ببقا فيه عنها

يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم إلى الجنة عرضها والارض وقد دعيت إليها وليس
 لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين انك تقوت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم إلا على نادم
 مشغول ولا تخلف إلا مقفوا ناعقورا وانك وإيانا في دار سقر وجيران ظعن (ولما) حج سليمان
 ابن عبد الملك استخضر أباحازم فقال له تسلم يا أباحازم فقال فيه أن تسلم قال في الخروج من هذا
 الامر قال يسيران أنت فعلته قال وما ذلك قال لا تأخذ الأشياء إلا بحقة ولا تضعها إلا في أهلها
 قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الامر ما قلده قال عطف يا أباحازم قال يا أمير
 المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك إلا بعثت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك
 ثم قال يا أمير المؤمنين نزه بك في عظمته عن أن يرالحيث ثم الك أو ينفذك حيث أمرك يا أمير
 المؤمنين انما أنت سوق فما نفق عنك حمل اليك من خير أو شر فاختر له نفسك أيما شئت قال
 فما لك لا تأتينا قال وما أصنع يا أيها الذي أدعيتني فتنتني وان أقصيتني أحرقتني وليس عندي
 ما أخافك عليه ولا عندك ما أرحوك له قال فارفع البناء انجك قال قد رفعتها إلى من هو
 أقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعتني منها رزيت بقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم
 معيشتهم في الحياة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله أو يزيد في قليل
 ما قسم الله قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت إلى أمير المؤمنين قال
 أبو حازم اسكت فان الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبينه للناس ولا يكفونه ثم خرج من عنده فلما
 وصل إلى منزله بعث إليه بجمال فرده وقال للرسول قل له يا أمير المؤمنين والله ما رضاء لك
 فكيف أرضاهم نفسي (وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد فبينما أنا بالليل أذمعت
 قرع الباب فقلت من هذا فقال أحب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فإذا أنا به أمير المؤمنين
 فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرج به إلا عالم
 انظر لي رجلا أسأله قلت له ههنا سليمان بن عبيدة قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه
 الباب فقال من هذا فقلت أحب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت
 إلى أئمتك قال جئنا جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض
 دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عن صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق
 ابن همام قال امض بنا إليه نسأله فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أحب
 أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال جئنا جئنا له
 فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال
 ما أغنى عن صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض
 بنا إليه فأتيناه واذ هو قائم يصلي في غرفة يتلو آية من كتاب الله ويرددها فقرعت الباب فقال
 من هذا فقلت أحب أمير المؤمنين فقال مالي ولا أمير المؤمنين فقلت سبحان الله ما عليك طاعة
 فقال أوليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس للمؤمن أن يذل نفسه فتزل فتقع
 الباب ثم ارتقى العرفة فأطلق السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا العرفة فخطبنا فحول عليه
 بأيدينا فسمعت كف الرشيد كنى إليه فقال آؤا من كف ما لينها ان نحن غدا من عذاب
 الله تعالى قال فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي فقال جئنا جئنا له برجل

الله قال وفيه جنت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو ألتهم عند
 انكشاف العطاء عنك وعندهم أن يحملوا عنك شقة صامن ذنب ما فعلوا ولكن أشدهم حباً لك
 أشدهم هرباً منك ثم قال ان هرون بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن
 كعب القرظي ورجاه من حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فأشبر واعي فعدت الخلافة
 بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب
 الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من
 عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم ولداً فبرأ بك وارحم
 أخاك وتحسن على ولدك وقال له رجاء من حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله غدا فأحب للمسلمين
 ما تحب لنفسك واصكر لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت وانزل لاقول لك هذا وانى
 لاخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل من رحمتك الله مثل هذا القوم من يأمرك
 بمنزل هذا فبكى هرون بكاء شديداً حتى غشي عليه فقالت ارقق يا أمير المؤمنين فقال يا ابن ام
 الربيع قتلتهم انت واصحابك وأرفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني
 ان عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكك اليه سهراً فكذب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذكرهم
 اهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطردك الى ربك نائماً ولا تظن وابالك ان تزل قدمك
 عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى
 قدم عليه فقال له عمر ما قدمك قال له خلعت ثيابي بكتاك لا وليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله
 تعالى فبكى هرون بكاء شديداً ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله
 عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله أمرني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم
 النبي نفس تحميتها خير من امانة لا تحميتها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت
 أن لا تكون آيماً فافعل وبكى هرون الرشيد بكاء شديداً ثم قال زدني برحمتك الله قال يا حسن
 الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقى هذا
 الوجه من النار فافعل وابالك ان تصبح وتعيش وفي قلبك غمزر عيسك فان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشماً لم يرح راحة الجنة وبكى هرون بكاء شديداً ثم قال
 عليك دين قال نعم دين ربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألتني ولويل لي ان ناقتني والويل لي
 ان لم يلهمني حجتي قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا الأمر اني أنصدق وعده
 وأطيع أمره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد
 أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه ألف دينار خذها فانفقها على
 عيالك وتقربها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا أدلك على النجاة وتكافئني بمنزل
 هذا سلمك الله ووفقتك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذ ادلتني على رجل
 فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروى) ان امرأته من نساءه دخلت عليه
 فقالت لها هذا قدر تري ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال ففقرت ما به فقال انما ضلني
 ومثلكم كبئيل قوم كان لهم بعير يا كاون من كسبه فلما كبر فخره وفا كاولهمه موتوا يا أهلي
 جوعوا ولا تذبجوا فاضلنا فلما سمع الرشيد ذلك فقال ادخل فعمى أن يقبل المال قال فدخلنا

فلما علم بنا القنصل ترح وجلس على التراب على السطح فجاءه رون الرشيد فجلس الى جنبه
فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ
منذ الليلة فانصرف يرجك الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا أمير المؤمنين
ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوقك شكر الله شكرا (ودخل) عمر بن عبيد على
المنصور فقرأ الفجر واليسال عشر حتى بلغ ان ربك لبالمراذل فعل مثل فعالهم فأتى الله
يا أمير المؤمنين فان يبالك نيرانا أيجل لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وأنت مسؤول عما
اجترحو وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دينهم الا بفساد آخرتك أما والله لو علم
عمالك أنه لا يرزقك منهم الا العسل لتترب به البسك من لا يريدك فقال له سلمان بن بحالد
اسكت فقد غمت أمير المؤمنين فقال له عمرو ويالك يا ابن أم بحالد أما كفالك انك خزنت
نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينفعه اتق الله يا أمير المؤمنين
فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فانت كالملك بالقرون وغيرك يحلب وان هؤلاء
ان يغفوا عنك من الله شيئا (وقال) الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما
علمت انه كان يدير رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يسلك بها ويردع بها المنافقين
فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة يدك اقدتها لا تغلا قلوبهم رعبا
فكيف من سفلت دماء المسلمين وشقق أستارهم وانتهب أموالهم ان المغنوة له ما تقدم
من ذنبه وماتا خردعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرايا من غير تعدد فقال له
جبريل عليه السلام ان الله لم يبعنك جبارا تنكسر قرون رعيته يا أمير المؤمنين لو أن ثوبا
من النار نشر على ما في الارض لاجتته فكيف بمن يجرحه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على
جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضلها على عنته (ودخل) بعض العقلاء على سلطان
فقال له ان أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بسط يديه
بالقدرة فاستمدم مأوتيت من النعم بتأديته ما عليك من الحق (وروى) ان اعرايا قام بين يدي
هشام بن عبد الملك فقال أيها الأمير أنت على الناس سخون ثلث أما الاولى فاكات اللحم
وأما الثانية فاذا ابت الشحم وأما الثالثة فهاضت العظم وغذيت فضول أموال فان كانت لله
فاقسهما بين عباده وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي
المصدقين فامر هشام بحال تقسم بين الناس وأمر للاعرايا بحال فقال ألكل المسلمين منك
مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لاجابة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين
(وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين اذكر لما مضى هذا لا يشغل الله عنك كثرة من
يخاضم من الخلائق يوم تلقاه بلا نقمة من العمل ولا براءة من الذنب فبكاه عمر بكاء شديدا ثم
استرد الكلام فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال ما حاجتك قال عاملك باذر يبحان
أخذمني اثني عشر ألف درهم قال ألا تنكبوها حتى يرد عليك ماله (ولما) دخل زياد على عمر
ابن عبد العزيز قال يا زياد الا ترى ما ابتليت به من أمرأة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد
يا أمير المؤمنين والله لو ان شهرة منك قطعت ما بلغت كنه ما أنت فيه فاعمل لنفسك في الخروج

مما أنت فيه يا أمير المؤمنين كيف حال رجل له خصم الد قال سئ الحال قال فان كان له
 خصمان الدان قال اسوأ الحاله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنته عيش قال فواقه ما حد
 من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فيكي حتى تغيب أن لا أكون قلت لذلك
 (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الديناسوق فنه اخرج الناس
 بما رجوا فيها لا آخرتهم وخرجوا بما يضرهم فكلم من قوم غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى
 أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مملين لم يأخذوا من الدنيا الا آخره فاقسم ما لهم من لا يحمدهم
 وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب ان يكون معك فتدعه بين يديك حتى تخرج اليه
 وانظر الى الذي تكره ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البذل حيث يجوز البذل ولا تذهبن
 الى سلعة قد بارت على غيرك تزوجوا زها عنك يا أمير المؤمنين افتح الابواب وسهل الجباب
 وانصر المظلوم (وحضر) رجل بين يدي بعض المساك فاعطاه السلطان فقال له الرجل انما
 أنت كالسم اذا أرعدت وأبرقت فقد قرب خبرها فمكن غيظه وأحسن اليه وهو محتاج
 المنصور بن أبي عامر ملك الاندلس ان يأخذ أرضا محبسة وبعاوض عنها اخبر امتهما المستحضر
 الله في قصره فأتوا به لا يجوز فغضب السلطان وأرسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا
 بالحدة والعجلة فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين يا حصة السوء يا منحل أموال الناس
 يا آكل أموال اليتامى ظلم يا شهذا الزرر يا أخذى الرشا ومتلقى الخسوم وملقئ السرور
 وملبئ الأمور وملقئ الروايات لا تباع المشهوات تبالككم ولا رآكم فهو أعز الله
 واقف على فسوقكم قد عيا وخونكم لاما نأناكم مفض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة
 نظر كفي حاجة مرة واحدة في دهره فلم تسعوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضكم
 وليكتفن سنوكم وليناهن الاسلام فيكم واخفن عليهم هذا ونحوه فاجابه شيخ منهم
 ضعيف المنسة فقال تنوب الى الله عما قاله أمير المؤمنين ونساء الا قاله ود عليه زعيم القوم
 محمد بن ابراهيم بن حيويه وكان جلداسا رافقا قال لا تنكحكم ثم تنوب يا شيخ السوء نحن برأ من
 متابك ثم أقبل على الوزير فقال يا وزير برئ من المبلغ أنت وكلنا بسببه الديناعن أمير المؤمنين
 فهو وصفتمكم معا شر خدمه فأنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم
 بغير حق وتتحفون معاشهم بالرشا والمصانعة وتبعون في الارض بغير الحق وأما نحن فليست
 هذه صناتنا ولا كرامتنا لا يقولها لنا الامم في الدانة فنحن أعلام الهدى وسراج الظلمة
 يبايعهم الاسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفيذ الاحكام وبإتمام القرائض وتبث
 الحقوق وتحقق الدماء وتستحل القروج فهلا دعت علينا سيدنا أمير المؤمنين بشئ لا ذنب
 فيه لنا وقال بالفيظ ما قاله نابت لا بلا غنار سالت بأهون من الخاشك وعزمت لنا بانكاره
 حتى فهمنا منك فأجبناك عنه بما يصلح الجواب عنه به فكنت ترين على السلطان ولا تفتش
 سره وتستخيفنا بما سألنا به فنحن نعلم ان أمير المؤمنين لا يتماذى على هذا الرأي فيه اولا
 بعة تده هذا المعتمد في صفاتنا والله سبحانه بصيرته في اشارنا ونعتنا فلو كنا عندك على
 هذه الحال التي وصفتها عنا والعياذ بالله من ذلك لبطال عليه كل ما صنعته وعقدته من أول
 خلافة الى هذا الوقت فما ثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شر ولا بيع ولا مدقة ولا حبس

ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشم ادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منه صرفين فلم يكادوا
يلفوا باب القصر الا والرسول تناديهم فادخلوا القصر فداقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا
منازلهم واعتذروا اليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم امير المؤمنين يا بني اذنا اليكم من
فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم وزعمته التي حملته على الجفاء عليكم ويعلمكم
انه نادى على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد امر لكل واحد
منكم ما ترون من صلة وكسوة عامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما امر لهم وانصرفوا
غالبين لمسيهم سوء (ولما) نظر مالك بن دينار الى المهلب بن ابي صفرة يجر اذنيه وينحرف في
اتواب خيلانه ناداه ان ارفع من شباك فقال له المهلب او ما تعرفني قال له مالك بلى اني اعرفك
اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة ويروى ان رجلا
قال لعبيد الله العمري هذا هرون الرشيد في الطواف قد اخلى له المسعى فقال له لاجر الله
عني خيرا كلفتني امرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال له ياهرون فلما نظر اليه قال ليبيك يا عمي قال
~~كم~~ ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل
واحد منهم يستل عن خاصة نفسه وانت واحد تستل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى
هرون وجلس وجهه يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسر في مال
نفسه فيستحق ان يحرق عليه فكيف فيمن اسرع في مال المسلمين فيقال ان هرون كان يقول بعد
ذلك اني احب ان اخرج في كل عام وما ينهني من ذلك الا عبيد الله العمري ويروى ان الحسن
ابن محمد بن الحسين رضى الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه
فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجنات علي ركبته فقال
الحسن من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرج حبه غضبه عن الحق ومن اذا
قدر لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلاد فود عليه الحجازيون
فقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر لي نطق من هو اسن منك فقال الغلام
اصلى الله امير المؤمنين اغما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا صغى الله عبد السان لا فظا وقلبا
حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامير امير المؤمنين بالنسبة لكان
في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت قل ما بدالك فقال الغلام اصلى الله امير
المؤمنين نحن وفدتهم ثمة لا وفدتهم رثة وقد اتيناك ان الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك
رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما رهبة فقد امنا جوارك بعدلك فقال له عمر
عظي يا غلام فقال الغلام اصلى الله امير المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول
املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الاقدام فهو وافي النار فلا يغرك حلم الله عنهم
وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فزلت بك قدمك فلتحق بالقوم فلا جبهلك الله منهم
والحقك بصالحى هذه الامة ثم سكث فسأل عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة
ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم فقتل عمر عند ذلك فقال

نعلم فليس المرء ولد عالم • وليس اخو علم كمن هو جاهل

وان كبير القوم لا علم عنده • فغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعنابي وكان لا يلبس الى ما لبس مالك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع الرجل
ادبه وعقله لاجل بيته وحلته حتى الله امر ارضي ان ترفعه هبته وجماله لا والله حتى يشرفه
أصغراه لسانه وقلبه ويعلموه أكبراه همته ولبسه ولما دخل ضميره بن ضميرة على المنذر بن
المنذر وهو ملك وكان ضميرة ذارأي وعقل احتقرته عينا له مامته فقال لان تسع بالمعدي خير
من أن نراه فقال ضميرة أيت اللعن ان القوم ليسوا بجزور وتجوز انما المرء باصع به قلبه ولسانه
فاذا انطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بيمين والرجال لا تنكح بالثقفزان ولا تؤزن بالقبان
فأعجب المنذر بكلامه روى ان روح بن زباع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر
مع أصحابه فتركوا فاضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فيهم
كذلك اذا هم راع فدعا للطعام فأبى وقال اني صائم قال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال
أفادع أباي تذهب باطلا قال روح لقد ضنت بأياك يا راعي اذا جديها روح بن زباع وروى
ان اعراسا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين اني مكلم بكلام فاحتمله ان
كراهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي قال ساطق اساني بما خست به
اللسن ادا علق الله وعلق امانتك انك قد اكنفتك رجال اساءوا الاختيار لانفسهم
واستأعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوا في الله ولم يحافوا الله فيك فلا تصلح
دنياك بشيئا آخرتك فاعظم الناس غيبا يوم القيامة من باع آخرته بدينه غيره فقال له سليمان
اما أنت فقد نصحت وارجو ان الله سيعيننا على ما قلنا وقد جردت اسنانك فهو سيوفك فقتل
أجل يا أمير المؤمنين وهولك لا عليك وقال ابن أبي عروبة في صحيح الجراح فقتل بعض المياه بين مكة
والمدينة ودعا بالقداد وقال لحاجبه انظر من يتعدى معي واسأله عن بعض الامر فنظر نحو الجبل
واذا هو براع عينين صلتين نائم فضربه برجله وقال له انت الامير فانا فقال له الجراح اغسل يديك
وتقدم معي فقال دعاني من هو خير منك فأجبتة قال ومن هو قال الله تعالى دعاني الى الصيام
فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد منه حرًا قال فاقطر وسم غدا قال ان
ضمت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألني عاجلا باجل لا تتدبر عابه قال لانه
طبيخ قال لم نطبخه أنت ولا الطباخ ولكن طيبه العافية ولما حج هرون الرشيد بعث الى مالك
ابن أنس بكيس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن
أنس ان أمير المؤمنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس
بخافه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا
كان يفتن الناس ويحملهم على أكل لحم الخنزير فأتى برجل أفضل أهل زمانه فاعظم الناس
مكانه وهاله امره فراوده على أكل لحم الخنزير فلم يفعل فزق له صاحب شرطة الملك فقال له انا
أنتك يجدي تدبجه بما يصل لك أكله فاذا دعا الملك بلحم خنزير أبيتك به ففعل ثم أتى به الملك فدعا
بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرطة بذلك الجسد فأمر به الملك ان يأكله فأبى ان يأكله فجعل
صاحب الشرطة يغمز ان يأكله فأبى ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب
به قال ما منعك ان تأكل وهو اللحم الذي ذهبت به أنت أظننت اني جئت بفردته قال لا قد علمت
انه هو ولكني خفت أن يفتن الناس بي فان أكرهوا على أكل الخنزير قالوا قد أكله فلان فيستن

بي فأكون فتنة لهم - ثم قتل رحمه الله - وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب
 الاحبار يا كعب خوفنا قال أليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا كعب واكن خوفا قال
 يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافقت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لاذريت عملهم مما ترى
 فتكسر عمر وأطرق - لبا ثم أفاق ثم قال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم
 قدر مخضنور بالمشرق ورجل بالمغرب أغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال
 يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لترفرز مرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي
 مرسل الاخر على ركبته حتى يحضر ابراهيم خليل الرحمن على ركبته يقول يا رب لا أسألك اليوم
 الا نسي واستأذن أبودهمان على بعض الاصر اعجبته ثم أذن له فلما دخل قال ان هذا الامر
 الذى صار اليك قد كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا فان خير الخبير وان شئنا فنجيب الى
 عباد الله بحسن البشر وان الجباب وتسهل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله
 وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في
 زمانه على بلال بن أبي بردة أمير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه الشجرة
 يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهرتونا هكذا كن لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيلكم
 فصارت السنة بينكم يدعا وشجرة واما انا فلما دخلت على ملك مصر وهو افضل بن أمير الجيوش
 فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت رداجيلا وأكرم اكراما
 جزى بلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت يا أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد
 احلك محلا عاليا شامحا وأمرناك منزلا شريفا باذنا وملك طاعة من ملكه وأمرناك في حكمه ولم
 يرص ان يكون أمرا احد فوق امرك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى
 قد أزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع قه منك وان الله تعالى أمر عبادا بالشكر وليس
 الشكر باللسان ولا كنهه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعلموا آل داود شكرا واعلم ان هذا
 الملك الذى أصبحت فيه انما صار اليك بموت من ~~ص~~ ان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار
 اليك فانق الله فيما خولك من هذه الامه فان الله سألك عن النغير والقطمير والقتيل قال الله
 تعالى فوريك لتسألهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان من مقال حية من خردل
 أثينا به او كفى بنا حاسبين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بجدا فيرهاب سليمان بن
 داود عليهما السلام فسخره الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخره الريح
 تجري بأمره رضاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامز او امسك
 بغير حساب فوالله ما عداها نعمة كما عدها ولا حاسبها كحاسب قهوها بل خاف ان تكون
 استدراجا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضل ربي ليسوفنى الشكر اكرام اكثر فافتح الباب
 وسهل الحجاب وانصر المظالم اعانك الله لي ما قلدك وجعلك كهذا الملهوف واما الله فاقف
 ثم اتهمت المجلس بان قات قد دودت البلاد شرا وغربا فالتفت مملكة تزوجت فيها وولدي غير
 هذه المملكة ثم انشدت شعرا

والناس اكبر من ان يحمدوا رجلا • حتى يروا عنده آثارا احسان

وكتب حكيم الى حكيم اتى سائل عن ثلاثة اشياء ان احبت عنها اسرت لك فليدعى النابيس

أولى بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وبهم تلقى النعمة من الله تعالى فكذلك الله أن أولى
الناس بالرحمة ثلاثة البري يكون في سلطان فاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون
في تدبير الجاهل فهو الدهر مغمووم والكريم يحتاج إلى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع
أمور الناس إذا كان الرأي - ندم من لا يتبل منه والصلاح عنده من لا يستعمله والمال عنده
من لا ينتفع به وتلقى النعمة من الله تعالى بكثره شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار
تليذا له إلى ان مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عوف بن عبد العزيز فلما
أشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان إلى السراقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال
أرى ديناً عريضاً كل بعضهم باعوا أنت المسؤل عنها المأخوذ بها صفاهما كذلك اذطار
غراب من سرادات سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر
ما أدري ما يقول ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سراداتك
في منقاره كسرة أنت بهما أخذ وعنها مودول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا
بالمجائب قال أفلا أخبرك بأعجب من هذا قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف
الشیطان كيف أطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غننت علينا ما نحن فيه
ثم ضرب فرسه وسار (وروى) ان بلال بن ابي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر إلى
جماعة وقوف فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف معه اذهب إلى مالك بن
دينار فقل له يرتفع المينا إلى القبر فخاف الوصيف فأذى الرسالة إلى مالك فصاح به مالك مالي الله
حاجة فأجبت فيها فان تكن له حاجة فليجي إلى حاجة نفسه فلما دفعوا اميتهم قام بلال بمن معه إلى
حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء ممشى إلى الحلقة حتى جلس فلما رآه مالك بن دينار
سكت فاطال السكوت فقال له بلال يا أبا يحيى ذكرنا فقال ما نسيت شيئاً فأذكر لك به قال فحدثنا
قال اما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبلك على البصرة فمات فدفعنا في هذه الجبانة ثم اتينا برنجبي
فدفعناه إلى جنبه فوالله ما أدري أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا أبا يحيى أتدري
ما الذي جرى لك علينا وما الذي اسكتنا عنك لانك لم تأكل من دراهمنا شيئاً أما والله لو أخذت من
دراهمنا شيئاً ما جترأت علينا هذه الجرأة فافادها هذا الحديث علماً ألافاته وادراهمهم (ودخل)
ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو
يا أمير المؤمنين قال حدثونا ان الله تبارك وتعالى اذا استرعى عبد ارمية كتب له الحسنات
ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين أني خليفة أقرب إلى الله أم خليفة ليس بي
قال بل بنى خليفة قال فاناً حدثك يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبية داود
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين فهذا
وعبد الله لني خليفة فما ظنك بخليفة غيري فقال الوليد ان الناس ليقرؤننا ديننا (وروى)
زياد عن مالك بن أنس قال بعث إلى أبو جعفر وإلى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على
فرس قد نضدت وبين يديه انطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون
الاعناق وأومأ اليانان أجالسا جلوساً فاطرق عنا طويلاً ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس

فعنه قال عن سيرته وطعمته قال فأجور السر وأخبث الطم وأعدى العداة على الله وأحكامه
 قال فغضب الجحاج وقال ويلك أماغلت أنه أخى قال بلى قال فأتت ما علمت أن الله ربي والله
 له وأصنع بي منك أكثر منك لا خيك قال أجل أرسله يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من
 أهل المدينة قال سمعت محمد بن إبراهيم يحدث قال شهدت أباجعقرا بالمدينة وهو ينظر فيما بين
 رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين لبسوا القريش فقالوا لا بني جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن
 أبي ذئب قال أبو جعفر لابن أبي ذئب ما تقول في بني فلان قال أشرار من أهل بيت أشرار قالوا
 سله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال ياخذ
 بالاحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن والله يا أمير المؤمنين لو سألته عن نفسك لمالك بداهية
 ونعتك بشر قال ما تقول في قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لا بد أن تقول قال انك لا تعدل في
 الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجهه أبي جعفر فتقام إبراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل
 وقال طهرني بدعي يا أمير المؤمنين قال له ابن أبي ذئب أقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد أن لا اله
 الا الله طهور ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال دعنا يا أمير المؤمنين نمتحن فيه بلغني انك
 رزقت اسما للحباب العراي يعني المهدي قال أما ان قلت ذلك انه يصوم اليوم البعيد ما بين
 الطرفين قال نعم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال أبو جعفر اما والله ما هو بمحتونق العقل ولقد قال
 بذات نفسه (ودخل أبو النصر) سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له يا أبا النصر
 انه تاتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا تجب ديدان اننا ذاهبا فاذ اتري قال أبو النصر قد
 اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فاقم ما اتعت كفت من اهله

(الباب الثالث فيما جاء في الولاية والقضاء وما في ذلك من العرو والخطر)

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
 فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخيمان بين يديك فتود أن
 يكون الحق للذي لا اله الا الله خاصة وبهذه النحلة سلب سليمان بن داود عليه السلام ملكه قال
 ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان بن داود عليه السلام ان ناس من أهل
 جرادة امرأته وكلفت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب أن يكون الحق لأهل
 جرادة فمضى لهم فهو تب حين لم يكن هراء فيهم واحدا ومن ذلك آية الملوكة التي أنزلها الله
 تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله
 تعالى ولنصرن الله من ينصره ان الله أقوى عزيز ثم سمي المنصورين وأضح شرائط النصر
 فقال تعالى الذين ان مكاهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمر بالعدل وفؤهم وامن
 المنهك رخص في الله تعالى النصر الملوكة وشرط عليهم شرائط كجائز في قسعة مضعت قواعدهم
 وانقص عليهم من اطراف ممالكهم وأظهر عليهم عدوا وباع فتنة وأحاسد نعمة وأضطربت
 عليهم الامور وأروا وأأسباب الغير فيجروا الى الله تعالى ويستنجوا من سوء أقدارها بصلاح
 ما بينهم وبينه باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق
 الذي قامت به السموات والارض واطهار شرائع الدين ونصر المظلوم والاختذ على يد الظالم
 وكف يد القوى عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة

والمستضعفين وليعلموا انهم قد آخروا بشئ من الشرائط الاربع التي شرطت في النصر (وروى)
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذي على الناس
 راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية على
 أهل بيت زوجها ولها وهي مسئولة عنهم وعمد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه
 ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راعيا
 له واللفظ مأخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعايته غيره من يأكله فهو الهلاك كما قال الشاعر
 وراعى الشاقي يحمي الذئب عنها * فكيف اذا الذئب لها راعا

(وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ يلى أمر المسلمين ثم لم يهتم
 لهم وينتهج الا لم يدخل الجنة معهم وقال سعد بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 ما من عبد يستريحه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد راحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة
 وكانت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال انكم تخرجون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرزعة
 وبئست القاطمة وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت أمرني يا رسول الله قال انما أمانة وانما
 حسرة وندامة يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها (وروى البخاري) ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه
 (وفي الحديث) من ولي من أمر المسلمين شيئا لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده
 من النار • وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم بن عتبة له على الصدقة فابى
 وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على
 جسر جهنم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتقض انتقاضه فيزول كل عظيم منه عن مكانه ثم يأمر الله
 العظام فترجع الى مكانها ثم يسأل الله فان كان لله تعالى طائعا اخذ سيده وأعطاه كفاين من رحمته
 وان كان لله عاصيا خرق به الجسر فهو في جهنم وقد اربعة من خريف فقال عمر سمعت من النبي
 صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان اى والله يا عمر ومع
 السبعين سبعين خريفا في واد يتهب النهاب فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من
 يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله نفسه والصق خذته بالارض (وروى) ان العباس رضى الله
 عنه قال أمرني يا رسول الله فاصيب واستر بيش فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس
 تخيها خيرا من اماراة لا تخيها الا احشك عن الامارة واهما لامة واوسطها ندامة وآخرها
 حسرة يوم القيامة (وروى) أبو داود في السنن جاء رجل فقال يا رسول الله ان أبى عريف على
 الماء واني أسألك ان تجعل لى العرافة من يده فقلت النبي صلى الله عليه وسلم العرافة في النار
 (وروى) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ألم أشد الناس عذابا
 يوم القيامة الامام الجائر • وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه سمعت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله
 سبحانه على الصراط ثم تشر الملائكة سيرته فيقرؤنها على رؤوس الخلائق فان كان عادلا نبجله الله

بعله وان كان غير ذلك انتقص به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة
ثم يخرق به الصراط فماليقي فمرجهنم اليجز وجهه (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان القاضي يزل في هرقة أبعد من عدن في جهنم (وقالت عائشة رضي الله
عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوقى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقي في شدة
الحساب على ما قضى حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في مرة (وروى) الحسن البصري ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خذني فقال اعد في بيتك
(وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابودن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الغربا ولم يكونوا
امراء على شيء لو كنتم من مخلوق في مال الله وماله لولا له النار غدا (وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال صنفان من امتي لا تنالهما ما شئنا حتى يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في
الدين مارق منه (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الارجح به يوم القيامة
مغلولا لنجابه عهله وأهلكه (وقال) طاوس سليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين
من أشد الناس عذابا يوم القيامة من أنكره الله في ملكه فخار في حكمه فاستلقى سليمان على
سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقرب الساعة
ان يكون امراء فجرة وقراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عبيد بن حمير
ما ازاد رجل من السلطان قربا الا ازاد من الله بعدا ولا كثرا تباعه الا كثرت طائفة ولا كثرت
ماله الا كثرت حسابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة اشنان في النار
وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بغير علم فخار فهو في النار ورجل قضى
بالحق فهو في الجنة رواه يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى
عبيدة السلماني يتخايرون اليه في أولاهم فلم ينظر فيهم وقال هذا حكم ولا تؤتي حكما أبدا (وتخاير)
غلامان الى ابن عمر فدخل ينظر الى كتابهم وقال هذا حكم ولا بد من النظر فيه • والمهذنون
يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم
الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفي أخبار) القضاة قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل
ودين فقال له أيها القاضي أبلغ قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين
قال نعم قال فبلغ ان أمورا للناس ضائعة في بلدنا فبحثت فيجربها قال لا قال أفاكرهك السلطان
على ذلك قال لا قال فاشهد أني لأطالك بحسب ولا أؤذي عنه ذلك شهادة أبدا (وروى) ان أبا بكر
الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهد الله في ماله ورغبه فيما في يده غيره
واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا
وجبت نفسه ونصب عمره ومحى ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عفوه (وذكر) السلطان
لاعراي فقال والله اني عزوا في الدنيا بالجوهر اقد دلو في الآخرة بالعدل وبقابل فان وضوا عن
كثير باق وانما يكون الندم حين لا يتقع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فأت صاحب
لهم يارض فلا فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا لئلا على الماء قال احملوا الى ثلاث وثلاثين عينا
انه لم يكن فيكم صرافا ولا مكاسا ولا عرافا ولا بريدا وروى ولا عرافا فأتا دلكم على الماء فأتوا
له ثلاث وثلاثين عينا فدلهم على الماء ثم قالوا له عاونا على غسله فقال احملوا الى ثلاث وثلاثين عينا

كما تقدم ذكره فاقواله فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لاحق تحلفوا الى اربعة
 وثلاثين يمينا كما تقدم فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا وكانوا يرون انه الخضر عليه السلام
 (وقال) ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا
 أو قتله نبي وامام ضلالة وممثل من الممثلين (وقال) أبو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ست أيام أعقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لما سكن في اليوم السابع قال أوصيك بقوى الله
 في أمر سرى وعلايتك فاذا أسأت فاحسن ولا تسألن أحدا وان سقط سوطك ولا تؤوين أمانة
 ولا تؤوين يتيما ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسى وانى أراك ضعيفا لا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يقيم
 (وروى) أبو ذر أيضا قلت يا رسول الله الاتمة عملنى فضرب بيده على منكبيه وقال لى يا أبا ذر
 انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه
 فيها (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن
 وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله انك تبعثنى الى قوم شيوخ ذوى أسنان ولا علم لى
 بالقضاء فقال ان الله سبحانه هادى قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاول حتى
 تسمع كلام الآخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تنضى (فان قال قائل) كيف نهى أبا ذر
 عن القضاء وأمره بالقبض مع ما فيه من التغرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد مذبح بغير
 سكين وفيه البعد عن حضرته والتمين بالمشاهدة وتعلم سننه وشرايع دينه والتخلق باخلاقه
 وشيمه وأيهما أفضل المثل بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته والصلاة خلفه أو القضاء فى
 غيبته مع البعد عنه (قلنا) انما نهى أبا ذر اعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده فى على
 رضى الله عنه ثم قال فى آخره الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها فاستدلنا بذلك على أن
 من استجبت فيه شروط القضاء وكان قويا على انفاذه لم يدخل تحت النهى ومما يعذرنا عن
 القضاء طلبه اياه اذ لم يدعوا فيه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانة بالجهل فقال تعالى
 ان اعرضنا الامانة على السموات والارض والجمال فابن أن يحملنها وأنفقن منها وحملها
 الانسان انه كان ظلوما جهولا اى ظلوما لنفسه جهولا لبعاقبه امره والدليل على صحة هذا
 التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل عرف
 الحق فقاضى به فهو فى الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار فى الحكم فهو فى النار ورجل
 لم يعرف الحق فقاضى للناس على جهل فهو فى النار (قلت) فهذا الرجلان ضعيفان عن رتبة
 القضاء احدهما بغشه وظلمه والاخر بجهله وقد عابت جهله بنى اسرائيل طالوت فقالوا انى
 يكون له الملك علمنا ونرى أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخذلان الفقر وآنه
 ليس من سبط المملوكه فقال لهم فيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم فبين
 شروط الولايات والممالك وانما تنتقى الى العلم الذى به يحكم والى القوة التى بها تنفذ الاحكام
 دون ما ظن به بنو اسرائيل * وأما قولك أيهما أفضل القضاء فى غيبته أو الحضور بين يديه والمكون
 فى حضرته * فالجواب ان أمره عليه السلام فرض يعصى بتركه والكون فى حضرته
 مستحب بعد الهجرة لايصى بتركه فعلنا به هذا انه انما بعث عليا رضى الله عنه للقضاء لانه

أفضل من سكاكه بخضرته لانه مبلغ عنه الى الخلاق شريعته التي بعثه الله بها فاه وخليفته في ذلك يدل على هذا انه اوجب الجنة لمن قضى بالحق

• (الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهم السلام

ووجه طلبه الملك وسؤاله ان لا يؤتى لاحد من بعده) •

قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى فطلب الملك ثم زاد على ذلك بان لا يؤتى مثله احد بعده وكان ظاهره يؤذن بالجن • والكلام على هذه الآية من وجوه (أحدها) انه انما سأل هذا بعد أن سلمه الله تعالى ملكه ثم أعاده اليه فحين طلب الملك كما ملكا فكانه قال هذا الملك الذي جددته لي هب لي على صفات لا أعصيك فيها فتسلم لي اياه وتعاقبني يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا أي ملكا لا أعصيك فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فاقم أنت أو أمسك بغير حساب فكانه أجاب دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه • وقيل ان أعطيت أجرت وان أمسكت فلا تبعه عليك فيه وهذا يخص سليمان ابن داود عليهم السلام ولم يخص به أحدا من ولد آدم سواه لان الله تعالى قال للخلاق فوربك لنساءثم أجمعين عما كانوا يعملون • وأما قوله لا ينبغي لاحد من بعدى فعناه لا أسلمه في باقي عمري فصير لغيري كما سلمته وبما مضى من عمري وقبل لا تسلط على قبيه شيئا مثل الذي قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فسلم أنه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلما على معجزته • وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا وانكسره أراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدى تسخير الراح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فنهضنا له الريح الى آخر الآية • وقيل ان سليمان كان ملكا في خاتمه ولهذا ذهب لملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدى يعني اجعل ملكي في نفسي لاني خاتمي حتى لا يملكه أحد غيري فان ابليس لما أخذ خاتم سليمان تحول ملكا سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى أنكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد أتى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما أراد به ملك النفس وقهر الهوى يدل عليه ما روى سلمان الشعبي قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أرايت سليمان وما آتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشع الله تعالى حتى قبضه الله تعالى • وزاد غيره انما أراد ملك النفس وقهرها لا يشتن بالمملكة ولهذا قدم سؤال المغفرة على طلب المملكة • وقال بعض الوعاظ انما أراد حتى أنتقم لا آدم من ابليس وذريته حيث كان سببا في اخرجه وذريته من الجنة (وروى) البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عترة سليمان الجن جاءه ليتنقل على البارحة ليقطع على صلاتي وان الله تعالى أمكنني منه لمصرعته • ولقد هممت ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى يصبح فتظنون اليه كما كنتم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى فزده الله خاسئا (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عالم (قلت) يستفاد من الآية ان حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره أو أمة لا يعرفون فضله تخاف على نفسه او اراد ابرار فضله جازله ان ينفهم على مكانه وما يحسنه دفع الشر عن نفسه واظهار الفضله فيجعل في مكانة • وفيه فائدة أخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخونة والصوص ومن لا يؤدوا

وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم تفعل ان عقلت وادبر الله سلطان الاوقد اخذ
عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان
العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير الجائر رتبة لشرير لان شرورهم كان خبر
الاول يعلم وكان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الرزق الى الله تعالى والقوز
بجنة الماوى كذلك بالسلطان الجائر تصد البلاد والعباد وتفتقر المعاصي والاثام وتورث
دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا
الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فبات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين
الحق فأرسلت السماء غيثها واخرجت الارض بركتها وعتت تجارتهم وزكت زروعهم
وتناسلت انعامهم ودرت ارزاقهم ورخصت اسعارهم وامتلات اوعيتهم فواسى البخیل
وأفضل الكريم وقضت الحقوق واعبرت الماواعين وتمهدوا فاقبلوا اطعمة والتحف فهان
الحطام لكثرة ذلك بعد عزته فتماسكت على الناس مرواتهم وانحنظت عليهم أديانهم
وبهذا تبين لك ان الوالى ماجور على ما يتعاطاه من اقامة العدل وما جور على ما يتعاطاه الناس
بسيبه واذا جاز السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرق أديانهم واضمحلت مرواتهم
ففتشت فيهم المعاصي وذهبت أماناتهم فضعت النفوس وقطعت القلوب فغصوا الحقوق
وتعاطوا الباطل وبخسوا الميالك والميران وجوزوا والبحر جرفعت منهم البركة وأمسكت
السماء غيثها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقتل في أيديهم الحطام فتنظروا وأمسكوا
الفضل الموجود وتأخروا عن المقدود فغصوا الزكوات المتروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة
وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المقدر اللطيف وتجادوا القدر الخسيس ففتشت
فيهم الايمان الكاذبة والحق في البيع والحداد في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء
والاقتضاء ولا ينعهم من السرقة الاعار ومن الزنا الاحياء فظل أحدهم عاريا عن محاسن
دينه ومتجردا عن جلباب مرواته وأكثرهم قوت دينه وأعظم مسرته من هذا الحطام
ومن عاش كذلك فبطن الارض خيله من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور
أو عمل به ادخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء واذا هم
بالخير والعدل أو عمل به ادخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز تلك
العامه بعمل الخاصة ولا تملك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله
سبحانه واتقوا فاستعين الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوايد بن هشام ان الرعية انفسد
بفساد الوالى وتصلح بصلاحه (وقال) سفیان الثوري لا يبي جعفر المنصور انى لاعلم رجلا ان
صلح صلحت الامة قال ومن هو قال أنت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير
في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فخلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فذهب
الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحت عليه من الغد خلبت على النصف مما خلبت
بالامس فقال له الملك ما بال حلابها تنقص أوعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن أظن
ملكها تم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهب البركة فعاهد الملك الله سبحانه
في نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد خلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لا عدلن

ما بقيت * ومن المشهور في أرض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأته احدى بقية فيها القصب
الخلو وان قصبة منها تعصر قد عزم على أخذها منها ثم أنها واسألها عن ذلك فقالت ثم ثم انها
عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون
السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان وأخلص لله نيتة ان لا يأخذها
ابدا ثم أمرها فعصرت بخامل القدح * وحديثي بعض الشيوخ عن كان يروي الاخبار عصر
قال كان يصعد مصر فخله تحمل عشرة أرباب غمرا ولم يكن في الزمان فخله له تحمل نصف ذلك
فغصها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيئا ولا فترة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من
أشياخ الصعيد أعرف هذه التخله في القرية فبحني عشرة أرباب ستين وبيته وكان صاحبها
يبيعها في ستين الغلاء كل وبيته بدينار (قال) الشيخ رضي الله عنه وشهدت انا بالاسكندرية
والصعيد في اطلنج مطاق للرعية والسمك فيه يغلي المياه كثيرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم يجره
الوالى وضع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة في يومئذ
وهكذا اتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خير الخيرة وان شرافتها
(وروي) أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا في زمان الحاجة يتلاقون
يتساولون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب
ضماع واتحاد مصانع فكان الناس يتساولون في زمانه عن البنان والمصانع والضماع وشق
الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبيد الملك وكان صاحب نكاح وطعام فكان
الناس يتصدون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانسكة والسراري ويعمرون مجالسهم
بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساولون كم تحفظ من القرآن وكم وردك في
كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتي يفتح وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

(الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غائب وخاسر غير راجح) *

اعلموا أرشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبلية عامة وقد يطرقة من الاقات ويحتوشه
من الامور والمهلكات ما يجب على كل ذي اب ان يستعيذ بالله مما حله وبشكره على ما عصمه
لا تهدأ فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر قلبه الخلق في شغل عنه وهو
مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بدينار اهل
بيته وانا له ضيعته وتقدير معيشته وهو يدفع السياسة جميع اهل مملكته وكبار رفق
تقمان حواشي مملكته انفتحت آخر وكبارهم منها شعائر آخر وكما يقع عدوا أرضه أعداءه
الى سائر ما يعانيه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماته ونصب الولاة والقضاة وبعث
الجيوش وسدد الثغور واستحياء الاموال ودفع المظالم ثم من العجب العجائب ان له نفسا
واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسال غدا عن جميعهم ولا يسألون عنه
فيالله وبالله العجب من رجل رضى ان ينال رغبته ويحاسب منها على آلاف آلاف رغبته وبياكل
في معا واحد ويحاسب على آلاف آلاف معا ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف
آلاف من الانفس وعلى هذا النمط في جميع احواله يحتمل انقالهم ويرجع اسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسدد ثغورهم ويدافع مناوهم ومناصبهم ويعصى ربه فيهم ويخالف

أمرهم ويركب نهيهم من أجلهم ويقتحم جرائمهم على بصيرة فيهم ثم يجدهم له قائلين وعنه غير راضين ولولا ان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض قائل بمذمة منزلة ولا اختارها ليلب مرتبة وكل ما ذكرته في هذا الباب احكمه النبي عليه السلام في كلمة فقال مالكم ولا مراقي لكم صفو أمرهم وعلمهم كدره ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الاكلة له العناء ولهم الهناء وله الخار ولهم القار طلب لقومه الراحة فحصل على التعب وطلب لهم النعيم فآخطأ الصراط المستقيم وعن هذا قالوا سيد النعم اشقاهم وفي الحديث ساقى القوم آخرهم شربا • وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما بين يديه الوزراء اذ نظر الى جماعة من التجار فقال لوزيرهم اتحب ان اريك ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والاخرة وطائفة لا الدنيا ولا الاخرة وطائفة الدنيا بلاخرة قال وكيف ذلك ايها الملك فقال الذين لهم الدنيا والاخرة فهو لاء التجار يكسبون أقتواتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون احدا وأما الذين لا الدنيا ولا الاخرة فهو لاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم الدنيا بلاخرة فانا وانت وسائر السلاطين خفق على جميع الوري ان يمدوا السلطان بالمناجحات ويحصدوه بالدعوات ويعينوه على سائر المحاولات ويذكروا له أعيننا نظرة وايدبا باطشة وجننا واقية وألسنة ناطقة وقوادم تنهضة وقوائم تقله وهيات منه السلامة وأنى لا بالسلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان السلطان والجنة لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله وحدثني رجل له قدر قال ارسل الى السلطان أن اطلق امرأتك وكان قد ارادها البعض أصحابه فابت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لي ناصح منهم خذ الامر مقبلا فانه لاحد له لك فان السلطان لا يخاف في الدنيا عارا ولا في الاخرة نارا فارتقتها (وروى) عن عبد الملك بن مهران انه لما ولي الخلافة أخذ المصحف فوضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون قال ابيك يا عم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيه الا الله فقال اعلم أيها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة تنسبه وانت واحد تسال عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هرون وجلس فجلسوا يعطونه مندبلا مندبلا لا دموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرع في مال نفسه ويستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين • ويقال ان هرون كان يقول والله اني أحب ان اجمع كل سنة ومائة مني في الارجل من ولد عمر يسعني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من احق من السلطان ومن اجهل من عصافى ومن اعز من اعترى اياراعى السوء فعت اليك غما سمانا حقا فاكلت اللحم وشربت اللبن واثمتدت بالسمن ولبست الصوف وتركها عظاما تنبت ولم ناو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

• (الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض) •

اعلموا ارشدكم الله ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لان الله سبحانه جعل الخلق على حب الاتصاف وعدم الانصاف ومن لهم بلاسلطان مثل الحيتان في البحر يزدركب الكبير الصغير فتي لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينظم لهم أمر ولم يستقيم لهم معاش ولم يهتوا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان الله في اهل الارض من حاجة ومن الحكم التي في اقامة السلطان انه من حجج الله تعالى على وجوده

سبحانه ومن علامته على توحيده لانه كما لا يمكن استقامة أمور العالم واعتداله بغير مدبر يفرد
بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه
وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم بأسره
في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان الارض وهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه امران جديان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشاركة وهما الملك والرأى
فكلا لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأى بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية
بالسلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله فنام من الخلق يعالجون صنائعهم فيبيناهم كذلك
طفتي السراج فتبصروا أيديهم للوقت وتعطى جميع ما كانوا فيه فتترك الحيوان الشرير
وتخضع الهام الخسيس فديت العقرب من مكانها وفست القنطرة من مجرها وخرجت
الحية من معبدها وجاء اللص بجملته وهاج البرغوث مع حنارته فتمطت المنافع واستطارت
فيهم المضار كذلك اذا كان قاهر الرعيته كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء في أهلها محتونة
والحرم في خدوره من مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهر
والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل السوق والدغارة خاملة واذا اختل أمر
السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا في كنهه كان هرج ساعا أعظم
وأرجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر
ومكسب الاجناد وتفاق أهل العيارة والسوقة واللصوص والمناهبه وقال الفضيل جورستين
سنة خير من هرج سنة ولا تنفى زوال السلطان الاجاهل مغرورا فاسق تنفى كل محذور فحقيق
على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في اصلاح السلطان وان تبدل له نعمه ونخصه بصالح
دعائها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساد فساد العباد والبلاد * وكان العلماء
يقولون اذا استقامت لكم أمور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكروه وان جاءكم منه
ماتكرهون وجهه وهوا الى ماتسوجونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم واقبروا عذر السلطان
لا تنتسار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة واستتلاف الاعداء وارضاء
الاولياء وقلة الناصح وكثرة التدليس والطمع * وفي كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم
الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شئ والباب السوقة مشغولة بإيسر شئ والجاهل
منهم يعذر نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن
هناك يعرف الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكماء العجم لا تستوطن البلاد فيه سلطان
قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

• (الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره) •

(قال) حكماء العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافع مثل الغيث الذي هو سقياء الله
تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن علمها وقد ينادى به المسافر ويتدعى له البنيان
وتكون فيه الصواعق وتدرسه بوله فتلك الناس والدواب والذخائر ويوج له البحر
فتسبحه بلبينه على أهله ولا يمنع ذلك انطلق اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى في الارض التي
أحيا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر أن يعظموا رحمة ربهم

وبشكرونها ويلقوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق (ومثاله) ايضا مثل
الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرابن يدي رحمة فيسوقها السحاب ويجعلها لاهل الثمرات
ورواحي العباد ويتنعمون منها ويتلبون فيها وتجري بها مياههم وتسقيهم بها نيرانهم
وتسبغهم في الحر اذ لا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص
الى انفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا ينلها ذلك عن منزلتها
من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) ايضا مثال الشتاء والصيف الذي جعل الله حرهما
وبرد هما صلاحا للعرث والنسل وتاجا للعب والتمريج بهما البرد باذن الله ويخرجهما الحر
باذن الله فينضج على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما
وسوءهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غمر ملاحهما اذيتهما
ومثاله ايضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكا وبلاسا ونوما وراحة وسبانا وقد يستوحش
له آخر القصر ويسارع فيه اهل الذعارة والفساد واللصوص وقد يوقبه السباع وتتشرب
فيه الهوام وذوات الحية والسحوم القائلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يرزأ صغير
ضرره بكبير نفعه (ومثاله) ايضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونورا واسنانا
وانتشارا وقد تكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشغوص والخصومات
فتستريح الخلق منه الى الليل ثم ليس العباد نعمة الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من امور
الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصا فهو بلا عام
ولو كانت نعم الدنيا صافوا من غير كدر وميسور هان غير معسر لكأن الدنيا هي الجنة التي
لأنع فيها ولا نصب (وقد قال الشاعر)

لا ترج شيئا خلاصا نفعه * فالغيث لا يغفل عن العيب

(الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية)

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر
سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسد فأمن الجسد من الغير فاستقامت
الجوارح والخواص وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح أو فسدت من أجهالها أو بوجع
الجسد فتسرى الى الجوارح والجوارح كدرة وهي مخترقة عن الاعتدال فاخذ كل
عضو وحاسة بقسطه من الفساد فخرت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجر
الى الفساد والهلاك (ومثال) السلطان ايضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان
منها معتدلا لم ينجح الى النار وما كان منها متاودا احتاج الى النار ليقام أو دعه فيعبدل عوجه
فان أفرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم أو دعه وان قصرت النار لم يلب الخشب لقبول
الاعتدال فيبقى متاودا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في أطواره
ان أفرطت أهلك الخلق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا (ومثاله) ايضا مثال عين خراة
في أرض خوراة فان جلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدر والفساد وأصافه
اختلج في الأرض فابتلعه صا قبا صرفا ثم شربه عروقي الانتجار فاعتذت به كذلك فغلظت
سوقها وفرت أعصابها وامتدت أفتانها ثم أخرجت أوراقها وأبرزت أزهارها ثم قدفت

نمازها فقامت على أتم طبيعتها كبرا وطعما ولونا ورائحة فتقوت بها العباد وأكلت
 حظوظها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز كل منها قوته واستقام النظام وان
 كان في حوائش الارض ما يدق عن الانبات والنفع ويكدي عن الزكاة والربيع أو كان فيها
 من الشجر ما يبر زجده ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في قواه ولم يغادر
 ممكنا الا وفاء وان كان في العين كدر أو فساد أو ملح شربتها الانحجار كذلك ففسد من اجها
 وأضر الجزء القاسد بالطيب فرقت سوقها وضعت أغصانها وتغيرت أوراقها وقلت
 ازهارها ونمازها ودخل القساد على جميع ذلك بخات الثمرة وهي نزرة قدرها ردى طعمها
 كادف لو نها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا
 قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتموت في أجبرتها من الابدناب ابن آدم يعني اذا
 كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غيائها وصنعت الارض نباتها فهلك الهوام
 والحشرات والدواب

• (الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها في النظام الملك والدول) •

وهي ثلاثة الدين وترك النفاظة والمشاورة وان لا ينسب عمل على الاعمال والولايات راغب فيها
 ولا طالب لها والماء لم الله تعالى ما فيها من انتظام أمر الملة واستقامة الامر نص عليها الله
 سبحانه ورسوله اعلم ان هذه الخصال من أساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان
 نزلتا من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى فيما رجه
 من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
 في الامر وفي الآية اشارتان احدهما ان النفاظة تنفرد الاصحاب والجلساء وتفرق
 الجوع والحشم وانما الملك ملاك بجلسته وأصحابه وحشمه واتباعه وأخلق بخصه تنفرد
 الاولياء وتطمع الاعداء فمعن بكل سلطان رفضها والاسترا من سوء مغبتها ولتكن كما
 قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان جالسا مع أصحابه فجاءه رجل فقال أيكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المكتئ فقال
 الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك دل الامر على انه ما سائر
 بشرف المجلس ولا فاتهم بزي ولا معة وقد يبلغ بالليل ما لا يبلغ بالغلظة ألا ترى أن الرياح تهون
 أصواتها فتدخل لها الشجر وتنطف الاقنان والاعصان وفي القنطرة تنكسر الاغصان والماء
 يلبسه في أصول الشجر يقلعهان أصلها وإذا كانت الحية مع صعوبتها وسهولتها وتغيرها في جحرها
 ترفى بالكلام حتى تستهطف فتخرج فالانسان أحرى ان يستمال بلين القول وحسن المنطق
 فإذا أردت ان تقيم عن بسى السك فكافته بكل كلمة سواء قالها كلمة جيدة وحسن شاء عليه
 والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قبل لنا كفى يشاورهم وهو بينهم وامامهم
 وواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا أمر ادونه فلنا هذا أدب الله تعالى نبيه عليه
 السلام وجهه ما أدبه سائر الملوك والامراء والولاة في ما في المشاورة من حسن
 الادب مع الجليس وساهمته في الامور فان نفوس الجلساء والنصحاء والوزراء يصلح عليه
 وقيل اليه ويخضع عنوة بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولاوى الامرة من أهل ملته فلي

الله عليه وسلم ألا ترى أن النبي عليه السلام كان في غزوة فاحرهم بالتزول فقال له سعد يا رسول الله إن كان هذا بامررك فسمع وطاعة وإن كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن أقبح ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا أو سوقة الاستبداد بالمرأى وترك المشاورة وسنة قد لامها ورعبا بان شاء الله تعالى * والخصلة الثالثة ما روى البخاري ومسلم وغيرهما أن رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام إنا نستعمل على علمنا من أرادنا والسرفية إن الولايات أمانات وتصرف في أرواح الخلائق وأموالهم والتسرع إلى الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد أكلها وإذا اتفق شئ على موضع الامانات كان كاسترعاء الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة تنفس دقلوب الرعايا على ملوكها لانه إذا اهتضمت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم واطلقوا الاستنتم بالدعاء والتشكي وذكر واسائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذي أنشدناه

وراعى الشاة يحمي الذئب عنها * فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

فإذا خان أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول

بالمخ يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالمخ ان حلت به الغير

(وقال آخر)

ذئب تراه مصليا * فإذا هربت به ركع

يدعو وجل دعائه * مالفقر بسنة مانقع

يعمل بها إذا العسلا * ان القواد قد انصدع

* ومن اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية (وروى) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فيمنع يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح ويقعده بالارصاد الشرير ويخامر عليه القوى ويقبج ثأوه عند الجماعة ويقتنوا الراحة منه ويتظرون من يصلح لها سواء

(الباب الحادى عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولايات لدونها)

فاقول الخصال وأحدها الرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول وأمن كل مملكة سواء كانت نبوية أو إصلاحية * اعلم أرشدك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه ان ليس كل النفوس تصلم على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى فلو وسع الخلق العدل ما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يراعى العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله في الارض الذي به يؤخذ للضعيف من القوى وللمعق من المبطال وليس موضع الميزان بين الرحمة فقط بل بين السلطان والرحمة أيضا فمن أزال ميزان الله الذى وضعه من القياس بالقسط فقد تعرض لحظ الله تعالى * واعلم أيها الولي ان الملك بمنزلة رجل فرأسه أنت وقلبه وزيرك ويداؤه أعوانك ورجلاه رعيته وروحه عدلك وما بقا جسده بلاروح وإذا أردت ذبوة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم أباً ووسطهم أخاً وصغيرهم ابناً فبأبائهم وأكرم أهلك وأرحم ابنك فالتك واصل بملك الى بركاته وكرامته ورحمته واعلم ان عدل الملك

يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته * وفي منشور
 الحكم سلطان جائر أربعين عاما خيبر من رعية مهلة ساعة واحدة من النهار اذا عدل
 السلطان فيما قرب منه صلح له ما بهد عنه فضل الملوكة في الاعطاء وشرفها في العفو وعزها
 في العدل عقد السلطان ثلاثة مشاورة النعماء وثبات الاعوان واقامة سوق العدل
 افضل الازمنة اربعة ائمة العدل ثم العدل يتقسم قسمين قسم الهى جاءت به الرسل والانبياء
 عليهم السلام عن الله تعالى والثاني ما يشبه العدل وهو السياسة الاصلاحية التي هزم عليها
 الكبير ونشأ عليها الصغير وبعد ان يبقى سلطانا وتستقيم رعية في حال ايمان أو كفر بلا
 عدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك ما لا يجوز ولا يمكن * وقد ذكرنا في أول الكتاب ان
 سليمان بن داود سب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان فقال
 في نفسه وددت أن يكون الحق لنا حتى فاقضى له قلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على
 كرسيه فاجعل العدل رأس سياستك فتسقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة وتقوم
 لك جميع الشرائط التي تقوم بها المملكة * قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه امام عادل
 خير من مطر وابل وأسد مطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من قننة تدوم
 وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر
 وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل بحرزان الملك واتفق حكام
 العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فاذا قوى الاساس دام البناء
 وان ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان الايجند ولا جند الا ببال ولا مال الا ببجاية
 ولا بجاية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل أساسا للسلطان اساسات * فاما العدل
 النبوي فأن يجمع السلطان الى نفسه حلة العلم الذين هم حفاظه ووعاته وفقهائه وهم الادلاء
 على الله تعالى والقائمون بأمر الله والحافظون لحسنه ودأبه والناسحون لعباده الله * وروى أبو
 هريرة أن النبي عليه السلام قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا
 لمن يا رسول الله قال الله ولكاتبه ولسوفه ولائمة المسلمين وعامتهم فانخذابها الملك العلماء شهارا
 والصالحين دمارا فتدور المملكة بين ناصح العلماء ودعوات الصلحاء وأخلق ذلك يدور بين
 هاتين الخصمتين ان تقوم عنده ويطول أمده وكيف لا وقد فقههم الله في سلطانه
 وامر طفاهم بخالص معرفته فقال جل من قائل سمع الله أنه لا اله الا هو والملائكة
 وأولو العلم قائما بالقسمة فبدأ بنفسه وثنى على امته وتلى باولى العلم وهم ورثة الانبياء عليهم
 السلام الموفقون عن الله تعالى لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففي
 تعظيمهم وتقريهم امتثال لامر الله تعالى وتعظيم لمن أنشأ الله عليه ويجب ترفيع مجاسيمهم
 وتغيير مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آمنوا العلم
 درجات وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب
 على السلطان أن لا يقطع امر ادوتهم ولا يفصل حكما لا بمشاورتهم لانه في ملك الله يحكم وفي
 شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولانه معه ليس
 اذا خاف واليه أمره وما رسمه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امثل أو أمره

وازدجر من زواجره حل منه محل الرضا فواجب بالإن بفض على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف
 سطوة ربه عليه اذا خالفه فهذا طريق اقامة العدل الشرعى والسياسة الاسلامية
 الجامعة لوجوه المصلحة الآخذة لازمة التدبير السالمة من العيوب المهددة لاستقامة الدنيا
 والدين * وكان أن الملك الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزراء والاختيار كذلك لا يتم عدله
 الا باستفتاء العلماء الابرار وقد وقع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمرو
 نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها وفي اشاعة العدل قوة القلب وطيبة النفس ولزوم اليقين
 وامان من العدو ولما استاذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يجد عنده حاجبا
 ولا بوابا فقبل له هو في المسجد فأتى المسجد فوجد منه منقباته وسدا كوامن الحصان ودرته
 بين يديه فقال له عدت فامنت فمت وقال الحسن رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد جمع
 الحصان في مسجد النبي عليه السلام عند رأسه وقد وضع احد جانبيه رذاه عليه وهو يومئذ
 أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه * كتب حامل حصن الى عمر بن عبد
 العزيز ان مدينة حصن قد تمدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر صهيها بالعدل ونق
 طرقها من الجور والسلام وقالت الحكيم من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه وقال
 يحيى بن اكرم ما شئت المأمون في بستان والشمس عن يسارى والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت
 الشمس أيضا على فقال لي المأمون تحول مكاني وتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت
 وأقبلت الشمس كما وقتني فان أول العدل ان يعدل الرجل على بطائه ثم الذين يلونهم حتى يبلغ
 العدل الطبقة السفلى فعزم على قصوات وكان يقال ليس شيء أبعد من بقاء ملك الغاصب وقيل
 لاسكندر لو أكرت من التساخي يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال اغما يحيى الذكر الافعال الجيلة
 والسيرة الحميدة ولا يحسن بن يغلب الرجال ان تغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل
 سنة كان له أحسن جنة ومن استشر حلة العدل استكمل زينة الفضل وقال أبو عبيد
 ابن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل يسكت الاصوات عن الله وان الامام الجائر لا يكثر
 منه الشكاية الى الله تعالى وقال الحكيم لا يزال السلطان مهمل حتى يتخطى الى أركان العمارة
 ومباني الشريعة حينئذ يرحم الله منه وقالوا لا تظلم الضعفاء فتكون من لثام الاقوياء وقال
 بعض الحكماء أمير بلا عدل كقيم بلا مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا قوبة
 كشجر بلا ثمر وغنى بلا قضاء كقفيل بلا مفتاح وقبر بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا
 حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى انفتحت ملوك العجم على أربع خصال ان الطعام لا يؤكل
 الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يوصله الا الطاعة والرعية لا يوصلها
 الا العدل واحق الناس باجبار نفسه على العدل الملوك الذين بعد لهم بعدل من دونهم
 والذين اذا قالوا اوقفوا كان نافذا غير مردود وقالت الحكماء لم تمشق بالانصاف وانازعهم
 لا بالظفر به والظلم ادعى شي الى تغيير عمة أو تعجيل نفقة وقال الحكيم شر الزاد الى المعاد
 الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدو ان على العباد ومتى أراد السلطان حسن الصيت
 وجعل الذكرك فيهم سوق العدل وان أحب الزنى عند الله وشرف المنزلة عنده فليقيم سوق
 العدل وان أحب ما جبهه فليقيم سوق العدل والذي يتخلده ذكرا الملوك على غابر الدهور عدل

واضح وجور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة
 * (فصل) • فاما القسم الثاني من العدل وهو السياسة الاصطلاحية وان كان أصلها على
 الجور فيقوم بها أمر الدنيا وكنهها تشاكل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك
 الطوائف في أيام القرس وكنافوا كذا رايعدون التيران ويتبعون هواجس الشيطان
 فواضعوا بينهم سننا واسسوا لهم أحكاما وأقاموا لهم مراتب في النصفة بين الرعايا واستجباء
 الخراجات وتوظيف المكوس على التجارات كل ذلك بقولهم على وجوه ما أنزل الله بهامن
 سلطان ولانصب عليها من برهان يبدأ به للمجاهات الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه
 صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما اقرته في نصابه ومنها ما استحسنته وابطلت حكمه
 فعادت الحكمة المألوفة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم
 مخوذا برعايتهم للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك حبل الهمل فكانوا يقيمون بها واجب
 الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر الحافظ
 لشرائط السياسة الاصلاحية أبقى واغوى من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع
 للسياسة النبوية العدلية والجور المرتب ابني من العدل المهمل اذ لا شيء اصح لامر
 السلطان من ترتيب الامور ولا شيء افسده من اهلها واعلم ان دورهما يؤخذ من الرعية
 على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا فسد اقلوبها من عشرة تؤخذ منها سياسة على زمام
 معروف ورسم مألوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر ان
 الاقامة العدل النبوي وأما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي وقال ابن المقفع الملوك
 ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا أقام لاهل المملكة دينهم كانوا
 راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضى واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن
 والسخط ولن يضمر طعن الدليل مع حزم القوى واما ملك الهوى فلهب ساعة ودما ردهر ولقد
 بلغنا أن ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح متوجعا هتما بامور المظلومين وانه لا يسمع
 استغاثتهم فامر مناديه ان لا يلبس أحدا في مملكته نوبا أحمر الا مظلوم وقال لمن منعت سمعي
 لم أمنع بصري فكان كل من ظلم بس نوبا أحمر ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال
 شيخنا واخبرني ابو العباس البخاري وكان ممن دخل الصين بسيرة عجبية غريبة للملوكها
 في سياستهم وذلك ان للبيت الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة
 في خارج الطريق وعليها امناء السلطان وحفظة يباقي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك
 صوت الناقوس فيامر بادخال المظلوم فكل من حرك السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخله
 على السلطان

• (الباب الثاني عشر في التخصيص على الخصال التي زعم الملوك انها

ازالت دولتهم وهدمت سلطانهم) •

ايها الملك احرص كل الحرص ان تكون خبير بامور عمالك فان المسمى يفرق من خبرتك به قبل
 ان تعصيه عقوبتك والحرص يستبشر بعلمك به قبل ان ياتيه نوابك قال ابو جعفر المنصور
 ما زال امر بني أمية مستقيما حتى افضى أمرهم الى ان بنائهم المترفين فكاتبهم من عظيم شلن

الملك و جلالة قدره قصد الشهوات و ايثار اللذات و الدخول في معاصي الله و مساخطه جهلا
 منهم باستدراج الله تعالى و امثال المكره فسلمهم الله العز و قتل عنهم النعمة قال عبيد الله بن
 مروان و مروان هذا هو المعروف بمر و ان الجمار و هو آخر ملوك بني أمية قتل في أرض مصر في
 كورة بومصر لما زال ملكا و هربت الى أرض الذوبية فيمن اتبعني من أصحابي فسمع ملك الذوبية
 بخبري فحافني ففقد على الأرض و لم يقع د على فراش اقتربته فقلت له الائمة د على ثيابا قال
 لا قلت و لم قال لا لي ملك و حق على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لم تشربون
 الخمر و هي محرمة عليكم و لم تطؤون الزرع و بايكم و الفساد محرم عليكم و لم تسعملون الذهب
 و الفضة و تلبسون الديبا و الحرير و هو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا
 و اتصرونا يقوم من الاعاجم د خد لودينا و لنا عبيد و اتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا
 يقاب كفيه و يشكت في الأرض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم اسفحلتم ما حرم الله و ظلمتم
 فيما ملكتم فسلمكم الله العز بنو بكم و لله فيكم نعمة لم تبلغ غايتها و أخاف ان يحل بكم العذاب
 و انتم يلدى فيصيبني معكم و اعما الضيافة ثلاثة أيام فترودوا ما احتجتم اليه و ارتحلوا عن بلدى
 فترودنا و ارتحلنا و سئل بزيهر ما بل ملك أن ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه من
 قوة السلطان و شدة الاركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبارا و عمال صغار الرجال و عن هذا قال
 الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة و في الامثال ان زوال
 الدول باصطماع السفلى و قال الشافعي رضى الله عنه اظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا
 اقاربه و انكر معارفه و استخف بالاشراف و تكبر على ذوى الفضل و سئل بعض الملوك
 به د زوال ما سماه ما الذى سلبك ملكك قال اعطى زمان بطر و طغى و رفع عمل اليوم لغد
 و سئل بعض الملوك به د اسلبوا ما لكم ما الذى سلب عزكم و هدم ملككم فقال شغلنا الدنا
 عن التفرغ لهما تانا و وثقنا بكفائتنا فأتروا مرافقتهم علينا و ظلم عمالنا و عبيدنا فانفسدت
 يا تهم لنا و غنوا الراسمة و حل على أهل خراجنا فقل دخلنا و بطل عطاء عبيدنا فانزلات
 الطاعة منهم لنا و قصدنا عدونا فقل ناصرنا و كان أعظم ما زال به ملكا استتار الاخبار عنا
 و قالت الحكماء أسرع الخصال في هدم السلطان وأعظمها و أسرها في افساده و تفريق الجمع
 عنه اظهار المحاباة لقوم دون قوم و الميل الى قبيلة دون قبيلة حتى أعلن بحب قبيلة فقد برئ من
 قبائل و قد عيى اقبل المحاباة مفسدة و قال مهبوذ الموبدان من زوال السلطان تقرب من يفتنى
 ان يباعد و مباعدا من يفتنى ان يقرب و حينئذ حان أو ان الغدر و قيل الملك بعد ذهاب ملكه
 ما الذى أذهب ملككم قال فتى بدولتى و استبدادى به رقتى و اغتالى استشارتى و عجمى
 شدتى و اضاعى الحيلة وقت حاجتى و التانى عند العجلة و لما أحبط مجروان الجعدى و هو
 آخر ملوك بني أمية قال له فناء على دولة ما نصرت و كف ما ظفرت و نعمة ما شكرت فقال له
 خادमे نسيب و كان من أولاد اشراف الروم من أغفل الصغير حتى يكبر و القليل حتى يكبر
 و الخفى حتى يظهر اصابه مثل هذا و سئل بعض العلماء ما الذى أذهب ملك بني مروان قال
 تحايد الاكفاء و انقطاع الاخبار و ذلك ان يزيد بن عمر كان يحب أن يضع من نصر بن نسيار
 و كان لا يجده بالرجال و لا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من أخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر

ابن سيار قال

أرى خلل الزمادوميض نار * فيموشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أولها الكلام
فقلت بجاهلا يا ليت شعري * أابقاظ أمية أم نيام
وكان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا اتصل اخبارهم الى بنى أمية حتى استفعل أمرهم وضعف
أمر بنى أمية وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بنى أمية عما الذي أضعف ملكك
بعد قوة السلطان وثبات الأركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت على كتب نصر بن سيار
ان أمده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال بما يظهر من
فساد الدولة قبله وهيئات ان ينتفض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان

• (الباب الثالث عشر في الصفات الراتبة التي زعم الحكماء انه لا تدام معها الملكة) •

ومن أعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والعجائب اعلموا ان الكبر والعجائب يسلبان
الفضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالتمزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر
يجل نفسه عن رتبة التعلين والعجب يستكثر فضله عن استزادة المتاديين وحسبك من رذيلة
تمنع من سماع النصع وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من المستئلة وكل كبر
ذكره الله في القرآن فقرن بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انه ك عن
الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حوكم
يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاخنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة
يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تنحاي الكبر وتناف منه قال الشاعر

فتى كان عذب الروح لامن خصاصة * ولكن كبرا ان يقال به كبر

ونظرا فلا طون الى رجل جاهل محجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ذلك وان أعدائي مثلك
في الحقيقة قالت الحكماء قديوم الملك مع معظم النقائص فرب فقير ساد قومه ورب أحق
ساد قبيلمته منهم الا قرع بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحق المطاع
قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة واعظم من ذلك ان الله تعالى
حرم الجنة على المتكبرين فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعنا من دخول الجنة وقال جل وعز سا صرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحوّل
داؤه في بعضي اني أتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله
ومن أبغضه بطائفة كان كمن غص بالماء ومن كرهه الجماعة تطاوت عليه الاعداء واما الانجاب
فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المملكة
الكذب والغدر والخيل والجور والحق وقات حكماء العرب والعجم ست خصال
لا تغفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والجذل واللين فانه اذا كان
كذا لم يوثق بوعده ولا بوعبده فلم يرج خيره ولم يحق ثمره ولا نهاء السلطان لا يربح وقال
الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقر وان باطل الوعد والوعيد من الملوكة والكذب امة

الاخلاق واغلب شيء على صاحبه وأحرى ان لا ينزع عنه لضرارته وقيل لأعرابي لم تكذب قال لو تعزرت به مازكته وهو نوع من القمض وضرب من الذنابة وأصله استعذاب المني وهو أضغان فذكر الجحى ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة نسبت اليه قال الشاعر

حبب الكذب من المما • نة بعض ما يحكي عليه
واذا سمعت بكذبة • من غيره نسبت اليه
(وقال غيره)

لي حيلة فمين ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو • لخلق في فيه قلبه
وقال الله تعالى انما يشقى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واما الحسن فقا له اذا كان حسودا لم يشرف أحدا واذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرفهم قال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لاسرارة لهم • ولا سراة اذا جهالهم سادوا
واما البخل فاذا كان بخيلا لم ينفعه أحد ولا تصلح الولاية الا بالمانحة وليس للملك ان يخل لان يوت الاموال في يديه واما الجبن فاذا كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت نفوره واذا كان حديدا غصو باو القعدة من ورائه هلكت رعيته وليس للملك ان يقنّب لان القدرة من وراء حاجته ولما دخل اسقف نجران على مصعب بن الزبير شرب وجهه بالقنّب فادماه فقال الاسقف ان شاء الامير اخبرته بما أنزل الله على عيسى عليه السلام قال قل قال لا تغضب بعدها قال هات قال لا ينبغي للامام ان يكون سفيها ومنه يلتبس الحلم ولا جأرا ومنه يلتبس العدل وقال الاوزاعي يهلك السلطان بالاجباب والاحتجاب فاما الاجباب فقد دكرناه واما الاحتجاب فهو أوحى الخلال في هدم السلطان وأسرعها خراب بالدول فانه اذا احتجب السلطان فكانه قدماء لان الحجة موت حكمي فغيب بطائفة بارواح الخلائق وحريهم وأمواهم لان الظالم قد آمن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم ما رأينا في أعمارنا ومنه عنا عن سمعان دخول الفساد على الملوك من محبتهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذاسلطان واحدا وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة ياتى الملك المغرور واحتجبت عن الرعية بالحباب والابواب وجعلت دونهم بروج شديدة وحفاظ بالجحارة والماء والطين مائة وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك لاحاب ولا ابواب قال الله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية ليس بين ان يملك السلطان وعيته وأغلكه الا الحزم والتواني وكأله امر ان شدة في غير افرطولين في غير امتنان وسئل بزرجه رأى الملوك أحزم قال من ملك جده هزله وقهره له هوا وأعرب عن ضميره فعله ولم يتجده رضاء عن خطه ولا غضبه عن كيدته وقال بعض الحكماء زوال الدول في اصطناع السفن ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر بالبقظة لم ينفذ بالحقظة وقال يحيى بن خالد احسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة البخل والجھل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر فبالها حسنة غطت على سبتين وبأها

• (الباب الرابع عشر في الخصال المحودة في السلطان) •

وقد اتفقت العلماء والحكماء على ما قالوا أي الملك أن قصرت قوتك عن عدوك فضلك بالاخلاق
الجميلة التي ليس لعدوك مثلها فانها الكفاية من الغارة الشعواء وقال معاوية الصنععة بن
صوحان صفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان عالم برعيته عادلا في قضيته عاديا
من الكبر قبول العذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير
محب للقوى ولا ينجاف للقريب وقالوا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة
والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب اللفة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب
الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب
المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والابسطا يوجب المؤانسة والانتقباض يوجب الوحشة
والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الملفة والجود يوجب الجدد والجل يوجب المذمة
والتواضع يوجب التضييع والجدي يوجب رجا الاعمال والهوى يوجب الحسرة والحزم
يوجب السرور والتغريير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير يوجب
بقاء النعمة وبالثاني تسمى المطالب وبلين كف المعاشرة تدوم المودة ويحفظ الجانب
تأثر النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت
تكون الهيبة وعدل المنطق يوجب الجلالة وبالنصفة تكفر المواصلات وبالافضال يعظم
القدر وبصالح الاخلاق تنكح الاعمال واحتمال المؤن يوجب السودد وبالعلم عن السفه
تكثر انصارك عليه وبالرفق والتؤدة تسحق اسم الكرم وتترك ما لا يعينك يتم لك الفضل واعلم
ان السياسة تكسوا أهلها المحبة والفظاظة تخلع عن صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة
الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب شجاة ومن لم يحلم بدم ومن صبر غم ومن سكت
سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر بصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل
ومع العجلة الندامة ومع الثاني السلامة زارع البر يحصد السرور صاحب العاقل مغبوط
صديق الجاهل تعب اذا جهلت فاسال واذا زلت فارجع واذا أسأت فاندمت واذا نمت
فاقمع واذا افضلت فاكرم واذا منعت فاجل واذا أعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من
بدأك بيرة فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الراى تبع للتجربة العقل أصله
الثبت وغمرته السلامة والتوفيق أصله العقل وغمرته التحج والتوفيق والاجتهاد زو جان
فلا اجتماع سبب والتوفيق ينجم الاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا
والاعمال كلها تبع للمقدور واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب من التوراة من
قنع سبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجاة ومن القرآن ومن اعتصم
بالله فقد هدى الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر نظير والمعروف كثر والجهل سقه والايام
دول والمدر غير والمرء منسوب الى فعله وما أخذ به له اصطناع المعروف يكسب الحمد
أكرموا المجلس يعمر ناديككم أنصفوا من نفوسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق الدنيئة فانها تضييع
الشرف وتمهد المجد نعمة الجاهل أهون من جريرته رأس العشيرة يحمل انقالها واجتعت

حكما العرب والعجم على أربع بكات لا تحمل بطنك ما لا تطيق ولا تحمل عملا لا يتقن ولا تغتر
باهرة ولا تنق بمال وان كثر

• (الباب الخامس عشر فيما يعزبه السلطان) •

وهي الطاعة قال ملك فارس ابوبذان موبذ ما شئ واحد يعزبه السلطان قال الطاعة قال فما
ملك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة مع قتل
الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة
والرغبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حبر قال له يا سعد ما صلاح
الملك قال معاملة شائعة وهيبة وازعة ورعية طائعة فان في المعاملة حياة الانام وفي الهيبة نفي
الظلام وفي طاعة الرعية الثأف والالتئام طاعة الائمة فرض على الرعية كما أن طاعة السلطان
مقرونة بطاعة الله اتقوا الله يخوته والسلطان بطاعته من اجل الله اجلال السلطان
عادلا كان أو جورا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين عصبان الائمة يهدم أركان
الله أولى الناس بطاعة السلطان ومناصبته أهل الدين والنعم والمروآت اذ لا يقوم الدين الا
بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محنوظة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقدة السلامة
وارفع منازل السعادة الطريقة المذلي والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة
الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن بها اليها وحرز لمن دخل
فيها وليس للرعية ان تعرض على الائمة في تدبيرها وان سؤلت لها أنفسهم بل عليها الانتقياد
وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتؤدي القرائض وتحقق الدماء وتباعد السبل
الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد أوجب الله لمن خصه بفضلها وحمل اعباءها الطاعة
فقرن بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى
الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها وموت لمن حافظ عليها الخارج من
الطاعة منقطع العصمة يرى من الذمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الائمة حبيل الله المتين
ودينه القويم وجنته الواقعة وكفايته العالية اياكم والخروج عن أنس الطاعة الى وحشة
المعصية ولاتسروا غش الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما شئ قوم الى سلطان لينزلوه
الا اذ لهم الله قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة للرعية
على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم
والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة
الى الراعى ما ليس بالراعى من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا المسم هلكت
الشوام

• (الباب السادس عشر في ممالك أمورا السلطان) •

قال سليمان بن داود عليهم السلام الرحمة والعهد ليجرزان الملك وقال زياد ملك السلطان
ثلاثة أشياء الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول ولما غزا ساور ذو الكاف
ملك الروم وأخرب بلاده وقتل جنده وافنى بطارقه قال له ملك الروم ائمة دقت وأخربت
فاشعرتى ما الامر الذي تشبث به حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان

كان مما يضبط الامر بمثلها ديت اليك الخراج وصرت ك بعض الرعية في الطاعة لك فقال له
 سابوراني لم أزد في السياسة على غان خصال لم أهزل في أمر ولا نهى ولم أخلف في وعد ولا
 وعيد ووليت أهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى وضربت لادب لا للغضب
 واودعت قلوب الرعية المحبة من غير حراة والهيبة من غير غفينة وعمت بالقوت ومنعت
 الفضول فأذ عن له وأدى اليه الخراج وكتب الوليد الى الخراج ان يكتب له بسيرة فكتب
 اليه اني أيقظت رأيي وأغثت هواي وأدريت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب
 الخازم في أمره وقادت الخراج الموفى لاماته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه
 حظا من نظري والطيف عنياي وصرف السيف الى البطار والمسيخ تخاف المذنب صولة
 العقاب وتسل الحسن يحظه من الثواب وقال أبو عبيدة اذا كان الملك محضنا سره بعيدا
 من أن يعرف ما في نفسه مخبرا للوزراء مهيبا في انفس العامة مكافيا بحسن البلاء لا يخافه
 البرى ولا يأمنه المجرم كان خليفة بالبقاء ملوكه

(الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان)

افضل الملوك من كان شكره بين الرعايا السلك واجدهم فيه قسطه ليس احدا حق به من احد
 لا يطمع القوي في حينه ولا يأس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذه
 الامة من امان المدينة فتطوق به على سلك المدينة حتى تقضى حاجتها وفي حكم الهند افضل
 السلطان من امانه البرى وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البرى وامنه المجرم وقال عمر
 له غيره لما ولده الكوفة يا مغيرة تليأمنك الابرار وتخفك الفجار وفي حكم الهند ايضا شر
 المال ما لا يتفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرى وشر البلاء
 ما ليس فيه خصب ولا امن وخير السلطان من اشبه التسرح وحوله الجيف لامن اشبه الجيفة
 وحولها التسور وعن هذا المعنى قالوا السلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي
 الامثال العامة رهوت خير لك من رحوت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء
 والقسوة على الضعفاء والجمل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاثة من
 القواقر جارية لازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة اذاعها وامر ان دخلت عليها
 السنتك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان احسنت لم يحمدك وان اسأت قتلك وقال رجل
 لبعض العلماء متى اضل واناعلم فقال اذا ملكتك امرء ان اطعهم اذلولك وان عصيتهم قتلوك
 وقال ابو حازم سليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما تفق عنده اتى به وفي كتاب ابن المقفع
 الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده تفاق فيسكب بذلك الفجور والدناءة
 في آفاق الارض ونعم زياد جلا يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان
 هو السلطان وقال معاوية لابن الكواصف الى الزمان فقال انت الزمان ان تصلح يصلح وان
 تفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء
 ان احق الناس ان يحذروا المد والفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال بزرجهر
 ادم التعب محبة السلطان السي الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بعصبة سلطان
 لا يريد صلاح رعيته فقد خربت بين امرين ليس بينهما خيار اما الميل مع الوالى على الرعية فهو

هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالى فهو هلاك الدنيا فلا حيلة لك الا الموت والهروب منه وقالوا الملك العادل كانهما فى يتفقع به الاشرار والاخبار ولا يضرا احدا والملك السوء مثل الحية يسرع اليها شرار الحيوان ويصاهاها الناس

(الباب الثامن عشر فى منزلة السلطان من القرآن)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يرى بالسلطان ما لا يرى بالقرآن معناه اى يدفع وقال كعب بن مالك الاسلام والسلطان والناس مثل القسطاط والعمود والاطناب والاوناد فالقسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوناد الناس لا يصلح بعضهم الا بعض وقال ارد شيرلان به يافى ان الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فهو مهودوم وما لم يكن له حارس فضايع يا بنى اجمع احذ بك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك ان غناهم غناك ولتكن من اهل العقل وكان يقال الدين والسلطان قوامان

(الباب التاسع عشر فى خصال جامعة لاسر السلطان)

قالوا ظفر الملك به مدقوه على حسب عدله فى رعيته ونكوبه فى حروبه على حسب حورده فى عساكره واصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحسنه انصافه وسلاحه كفانه وماله رعيته وقالت حكماء الهند لا ظفر مع بنى ولا صفة مع منهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح ولا اجتناب محترم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع اتقاف ولا ثبات ملك مع تم اوان وجهاله وزارة ولما ولى أبو بكر رضى الله عنه خطب فقال أيها الناس انه لا أحد أقوى عندى من المظالم حتى آخذله بحق ولا أضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقيل لاسكندر بن نبت ما نلت قال باستمالة الاعداء والاحسان الى الاعداء وقال بزرجمهر سوسوا احرار الناس ببعض المودة والعمامة بالرغبة والرهبة والسفلة بالخافة وقال الموبدان السياسة التى بها اصلاح الملك الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم فى غير مشقة وسدا القروج وأمن السبل وان ينصف المظالم من الظالم ولا يحمل القوى على الضعيف وقالوا الوالى من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به وبه والوالى من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبهذ الجسد مع البقاء به بهذ هاب الرأس والسلطان خلق أن يعود نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوى النصيحة والتجبر غرارة قولهم ولا ينبغي أن يحسد الاعلى حسن التدبير ولا أن يكذب لأن أحد الا يقدر على استكراهه ولأن يغضب لأن الغضب والقدره لققاح الشر والندامة ولأن يعجل لأنه أقل الناس خوفا من الفقر ولأن يعجل لأن قدره جل عن المجازاة ولا ينبغي للوالى أن يستعمل سيفه فيما يكتفى فيه بالسوط ولا سوطه فيما يكتفى فيه بالحبس ولا حبسه فيما يكتفى فيه بالجفاة والوعيد وقال معاوية ابنى لا أضع سيفى حيث يكفى فى سوطى ولا سوطى حيث يكفى فى لسانى ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعتم اذا مدوها خلتها واذا خلوها مددتها ونحو هذا قول الشعبي كان معاوية كالجل الطيب والجل الطيب هو الخاذق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه ولا ينبغي له أن يعلم رعيته أنه لا يصاب خبره الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية

انكالا على نظره في جسميها فان اللطيف موقعا يمتنع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهم السلام ثم نقدا الطير فتسال ما لي لا أرى الهدد لان التهاون باليسير أساس الوقوع في الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شيئا * كم جر شر اشيب

وقالوا أصل الاشياء كلها شيء واحد ولا تدع مباشرة جسم امره فللبصير موضع ان غفل عنه تفاهم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير أبدا فيضيع الكبير وقال زياد لحاجبه وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد مخزنه فقد وصار خ الليل لشرد هاه وصاحب البريد قال التهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة وكان أبو العباس السناح يقول لامان اللين حتى لا يتفجع الابالك شدة ولا كثرة من الخاصة ما منتهم على العانة ولا غدت سبي حتى يسله الحق ولا عطين حتى لا أرى للعطية موضعا وقال أردش بر لما كل ملكه وأباد أعداءه انه لم يحكم حاكم على العقول كاهن ولم يحكمه المحكم كالخبرة وليس شيء أجمع للعقل من خوف وحاجة يتأمل بهما صناعات حاله وكان عمر يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال الى الرشيد هل تعرف كلمات جاءت لمكارم الاخلاق يقلقها وبسمل حفظها تكون لا غرضها النقا ولقاصدها وفقا تشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا أمير المؤمنين دخل أكنم بن صيني حكيم العرب علي بعض ملوكها فقال له اني سألتك عن أشياء لا تزال بصدري تختملني وماتزال الشكوك عليها والجله فأباني بما عندك فيها فقال آيت الالعن سألت خيرا واستقيأت بصيرا والجواب بشفعه الصواب فسل عما بدالك قال ما السودد قال اصطناع المعروف عند العشرة واحتمال الجورة قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندى قال فما الحمد قال حمل المغارم وابتناء المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخاء في الشدة قال فما العز قال شدة العز وكثرة العدد قال فما السماحة قال بذل النائل وحب السائل قال فما الغنى قال الرضا بما به كفي وقلة الغنى قال فما الرأي قال اب تعينه تجربة قال له الملك أوربت زناد بصيرتي وأذكت نار حيرتي فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هي لك قال الاصمعي فقال الى الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فأنصرفت بثمانين ألفا وكان قس بن ساعدة ينفذ على قيسر فيكرمه فقال له يوما ما أفضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال ما أفضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما أفضل المروءة قال استيقاه الرجل ما وجهه قال فما أفضل المال قال ما قضى به الحقوق

(الباب الموفى عشرين في اتصال التي هي أركان السلطان)

قال أبو جعفر المنصور وما كان أوجه حتى أن يكون على ياني أربعة لا يكون على ياني أعف منهم قبل من هم يا أمير المؤمنين قال هم اركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما أن السرير لا يصلح الا بأربع قوائم فان نقص فائتة واحدة عابه ذلك أحد هم قاض لا ناخذ في الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة نصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني غنى عن ظلمهم ثم عرض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه قال من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد بكتب يخبره ولا على الصحة وقال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه لا يصلح الوالى الا بأربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له أمر ولا نهى قوة على جمع المال من أبواب حله ووضعه في حقه وشدة لاجبروت فيما وليز لا ومن فيه

• (الباب الحادى والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم) •

قال ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا ينجيك ذلك فان زوال الكرامة بزوالها ولكن ينجيك ان أكرموك لادب أو علم أو دين • اعلم أرشدك الله أن أكثر الناس حاجة الى التفقه أكثرهم عيالا واتباعا وحشما وأصحابا والخلق مستعدون من السلطان ماله من الخلائق السنية والطرائق العلمية مفتقرون اليه في الاحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو أوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم ونخص بلا علم كبلد بلا أهل وأفضل ما في السلطان خصوصاً في الناس عواماً ومحبة العلم والتخلي به والشوق الى اسقائه والتعليم لمطلعه فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعد من البهيمه ومضاهاته لا عالم العلوى وهو من أوكدم ما يتعجب به الى الرعية واذا كان الملك خالياً من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالذابة بالارسن تمر في غير طريق وقد تناف ما قر به • واعلم أن زهر النضائل وحسن المناب وبها المحاسن ومضاد ذلك من قبح المناب وخس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة ونسرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون قبحك أقبح وليس أحسن أهل الدرجات السنية والمراتب العلمية أوجب الى محاجة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء وسبر الحكماء من السلطان وانما كان كذلك من وجهين أحدهما انه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس وفصل خصوصياتهم وتعاطى حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله لو لم يعتد لهذه الامور عنتها ولم يقدم لها أهبتها والثاني أن من سواهم من الناس لا بعدون من شكر علمهم وبعارضهم وبذكراهم مساوهم ويخالقهم في مذاهبهم فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة أنفسهم وتعلمهم مرشدهم ومعاظرة الاكفاء ومعايشة النظراء لتلج العتول وتهذيب النفوس وتدريب المأخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يقام ولا يجالس الامم لظهور قدره مجل لثأته وسائر اسايه ومادح بها ليس فيه وانما جوابه لهم صدق الامير وعلى قدر المرتبة يكون علو السقطة كما ان على قدر ارتفاع الخاطئ يكون صوت الوجبة

• (فصل) • يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر به أقوى الله ولا أحد دون أن يؤمر به أقوى الله ولا أحد أجل قدراً من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطراً من أن يتعلم حكم الله ولا أهلى شأننا من أن يتصف بصفات الله ومن صفات الله العلم الذي وصف به سبحانه نفسه ودرجته فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسى هو العلم والكرامى هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فترغبه الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أقبح والابتداء بالفضيلة فضيلة (حكى) أن ابراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ذلك فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير المؤمنين شغلونا في الصفر

واشتهرنا في الكبر فقال المأمون لم لا تعلم اليوم فقال أويحسن بعلمي طلب العلم فقال نعم والله
 لأن عموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قائماً بالجهل قال والى متى يحسن العلم قال ما حسنت بك
 الحياة وروى أن بعض الحكماء رأى شخصاً يطلب العلم ويحب النظر فيه ويستحي فقال يا هذا
 أنت ستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله ولأن الصغير أعذر وإن لم يكن في
 الجهل عذره وفي منور الحكم جهل الشـباب معذور وعلمه محذور فاما الكبير فالجهل به
 أقبح ونقصه عليه أفضح لأن علوا السن إذا لم يكسبه فضلاً ولم يقده علماً كان الصغير أفضل منه
 لأن الأمل فيه أقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل أفضل منه
 وكأذ كر نأمن حاجة الشيخ إلى العلم فحاجة السلمان إليه أكثر ودواعيه إلى اكتسابه أشد
 لأن من عداه انما تحصى نفسه الواحد فذيقه قرب عليه تحصيل ما يقوّمها به والمالك منتصب
 لسياسة أهل ملكته وتعليمهم وتقويم أودهم فهو إلى العلم أحوج قال الشاعر
 إذا لم يكن مزالسين مترجما * عن الفضل في الإنسان سميت طفلاً
 وماتتفع الأعمام حين تعاددا * ولم تستقد ذنوب علماء ولا عقلاً
 أرى الدهر من سوء التصرف مائلاً * إلى كل ذي جهل كان به جهلاً
 وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستكشف
 ملكاً أو ذمعة غلبة عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام إلى مجمع البحرين
 في أقصى المغرب على بحر الظلمات إلى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما طفر به قال هل أتبعك على أن
 تعلمي ما علمت رشد اهذا وهوني الله وكافيه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفونه من
 جميع خلقه قد أوصاه ربه وعلمه كيف يستنزل ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علماً ذلوا كان في
 خزائنه أنصرف من العلم لنبيه عليه وهذا آدم عليه السلام لما نثرت الملائكة بتسبيحها
 وقد يسميهم الرب انخر آدم بالعلم فقال أنبتوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم
 بالسجود له وأخاف بخضه تستدعي السجود لحاملها أن يتنافس فيها كل ذى أب وهـ فذا فصل
 الخطاب لمن تدبره ولا تنصّب لك عذراً بما روى في بعض الاخبار من مثل الذي يتعلم العلم في الصغير
 كالوشم على الصخر والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء قد سمع الاحقر رجلاً يقول العلم في
 الصخر كالنقش في الحجر فقال الكبير أكبر عقلاً واكنه أشغل قلباً فخصص عن المعنى ونبه عن اللفظ
 وقد كان أصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيوخاً وكهولاً وأحداثاً وكانوا يتعلمون العلم
 والقرآن والسنن وهم يحوروا العلم وأطواد الحكم والنقمة غير أن العلم في الصغير أرسخ أصولاً
 وأبسط فروعاً وليس إذا لم يحضره بقوة كاهـ قال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اني أريد أن أتعلم
 العلم وأخاف أن أضيعه فقال أبو هريرة كفي بتركائه تضييعاً وبعض الخير خير من كل الشر وأما
 مثل الجاهل تحت غيب الجهل مثل الحال تحت حمل ثقيل فانه كلما أعياها نقصه قليلاً قليلاً يوشك أن
 ينقصه كاهـ فيستريح منه وان هولم بطرح القليل حتى يطرح الكثير فأوشك أن يصرفه حله
 وكذلك الجاهل إذا تعلم قليلاً قليلاً يوشك أن يأتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر لما فاته في الصغير
 فأوشك به أن يموت تحت غيب الجهل

(الباب الثاني والعشرون في وصية على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)

رضي الله عنه لاكميل بن زياد في العلم وأهله قال كميل بن زياد النخعي خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الجبيلة فلما أحضر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب اوعية فخيرها وواعها الخير احفظ عني ما قولك الناس ثلاثة تعال رباني وتعلم على سبيل نجاته وهمج رعاغ أتباع كل ناعق يملون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا منه إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكوك على الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم يحكم والمال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به بكسبه الطاعة في حياته وجيل الاحدوث بعده وفاته مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ان خاصهم مفقود وانما لهم في القلوب موجوده هان ههنا وأشار بيده إلى صدره لعلما بجلوا أصبت له حلة بلي قد أصبت له قناعا غيره اموه عليه يستعمل آله الدين للدينا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه أو كآقال وبنعمته على عبادته أو منناد اهل الحق لا بصيرة له في اخباته ينقدح الشك في قلبه بازل عارض من شبهة الا اذا ولا ذلك أو مهموم بالاذات صريع الانتباد للشهوات أم آخر شانه جمع المال والادخار ليس امن رعاة الدين أقرب شها بهما الانعام الساعية اللهم فكذلك عت العلم عت حامله ولكن ان تخلوا الارض من قائم لله سبحانه بحجة لئلا تبطل حجج الله ويبنانه ومن أولئك وأيس أولئك أو تلك الاقلون عددا الاكثرون عند الله قدرا تخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزعموها في قلوب أشباههم ويودعوها في صدور نظرائهم هم همهم العلم على حقيقة الامر قباشروا روح اليقين فاستلوا ما استوحشه المتفنون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ههنا الدنيا باجساد أو واحدها متعلقة بالحميل الاعلى أولئك خلقاء الله في بلاده ودعائه إلى دينه آمشوقا إلى رؤيتهم

(الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث)

قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه ومجده وأحكامه بما لا مزيد عليه ويندر ههنا منافع ومداركه ولباب ما تحتر من القول فيه انه الاستتم اذ باشاهد على الغائب من كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر إلى قصر قد كمل ببنائه وحسنت أركانه وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنه فاشرف عليه انسان فرأى بيوتها مقطوعة وأبوابها منصوبة وفرشها مفروشة وزرايها مبنيونة وموائده موضوعة وصحافها مصفوفة وأرائكها منصوبة ومجلا مشدودة وطونها وأبوابيقي وبيوتها وميازيب تصب الماء وتحم البلاليع اغيض الماء إلى سائر ما يبيته هذه العقلاء لا الاتقاع ثم نكرهل هذا القصر بما حواه صنعة قادر صانع عالم حي أو اتفق لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستعز في عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع وانه مفتقر إلى صانع صنعه وهذا علم بهمجم على القول لا يقتصر على نظر واستدلال وانما كثر لانه هذه الامثلة لان ما في الانسان من الاعضاء والظيف الصنعة والعجائب أكثر مما في القصر. بأذهاف مضاعفة فإذا نظر إلى ما في نفسه فرأى فيه من العجائب والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه بما يجلب نفع أو دفع ضرر فأنظر في عضو واحد مثلا وهو فم في

أوله اسنانا تشبه القاس تصلح للقطع وفي آخره طواحين. ضرورة تصلح للطين وشدقين كأنهما
 ثقبان الرشي يمنعان ان ينزلق الطعام الى خارج واسنانا يرد ما انقلب من الطعام اليه على
 الطواحين ثم يلى ذلك بلعوم لازدراجه بعد الطحن علم يادنى تأمل ان هذه الخلقة ما انقلعت
 بنفسها اتفاقا بل هي مقطرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبنانذ كمنفعة
 كل عضو لو قفت على المحجب ولكن تركاه كراهية التماويل وعلى هذا المعنى به الكتاب المهيمن
 فقال تعالى وفي أنفسكم أفلات تبصرون وبهذه العبرة تستعمل العقول بالثبات الصانع وتستغنى
 عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المقيد لثبات الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار
 والخياط وأشبهاهم بعد النظر في صنائهم على اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند
 النظر في حدوث العالم علم استدلال اعتبارا لاغائب بالشاهد اذا لفرق في العقول بين صنعة
 وصنعة في اقتضاء صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لا ان الانسان لم يرزل يرى البناء يعني
 والخياط يحيط والتجار يجر الخشب ولم تر العلاء القديم سبحانه يخلق ويخترع وانما استفادوه
 من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين أقوى في النفوس وأثبت في العقول العلم بالصانع النظر
 في السرير واقضائه للتجار أم العلم بالله عند النظر في السموات والارضين وما بينهما فاجاب بطوب ان
 هذا يستدعي تفصيلا لا تدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فحينئذ تعلم ان معه عقلا
 عزيزا ونسجه عقلا ونوجه التكليف عليه وهو العقل التكميلي واذا ثبت هذا فاعلم ان الله
 تعالى خلق الخلق على أربعة انحاء ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم فاما الملائكة فتعقل
 بلا شهوات ولا هوى يقارنه وأما البهائم فشهوة بلا عقل وأما الشياطين والجن فركب
 الله فيهم العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة فغلبت
 شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقانهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والعجب
 والفتن والفخر والدعوى والحسد والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهائم فنقضت
 اوقانها في شهوات البطن والفروج واما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة واخلاق
 الشياطين وشهوات البهائم فن غلب عقله هواهم فكأنه من عالم الملائكة كالانبياء والرسل
 والاولياء والاصفياء وقيل ما هم وما من كان عقله مغلوبا بهواه وشهوته فان كان ذلك من
 المباحات من المطاعم واللباس والمراكب والنساء والخيول المسومة والانعام والحراث فأكل
 وتمتع بعد ان كسبه من حله فهذا من عالم البهائم وانما الحقايق بعالم البهائم لانه لا تكليف على
 البهائم وكذلك هذه المباحات لا ترجع في الاستقناع به اعدان يكون كسبه من حله وان كان
 الغالب عليه اخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى سائر الاخلاق المذمومة
 فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات واتباع الهوى والاخلاق
 المذمومة فيكون آدميا في صورته شيطانيا في خلقه جميعه في شهواته فلا يصلح للصحة وان ثبت
 هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي اطول رقدة من العين واحوج الى الشخص من السيف

اولاد العرب كان يحسدني وامتنعني الله بفصاحته وملاحته يسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانك احق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يحبني على حقي جناية تذهب بمالي ويبنى على حقي فاستخرج هذا الصبي بقرطاذ كانه ما يدق على من هو اكبر منه سنا وقيل لبعض الصبيان اللذاب قال فلما كفى عيسى بن مريم وقد قالت الحكمة آية العقل سرعة انهم وغايته اصابة الوهم وايسر للذكايا ولا الجودة القربحة نهاية الاترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بكانه قال لا ييه وهو طفل وكان ابو يثرأخاه عليه يا بئس تعلم مامنى ومثل أخى معك انا كفرخ الحمام اقبح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر ازداد لاحة وحسنا فتبني له العسلاى ويتخذ له الربعات ويستحسنه الملوك ومثل أخى مثل الخش امع ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار الى الفقهى انما يصلح لحل الزبل والتراب والوجه الثانى ما يصلح لذوى الحسنة وصحة الروية اطول ممارسة الامور وكثرة التجارب ومروء الغيرة على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتنازع الدول قد مررت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسماعهم انواع الاخبار وانار العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب نادبا وتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك حدث اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار ويتنايع الاخبار لا يطيبس لهم سم ولا يسهط لهم وهم وعليكم باراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاه الطبع فقد افادتهم الايام حكمة وتجربة وقد قال الشاعر

الم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة * افادت له الايام في كرها عقلا

غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف يرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتمناه والهوى ابعد من ان يتنفذ فيه حيلة الحازم المحتال وهو اغص مسلكى الجنان من الروح فى الجنان واملكت النفس من النفس والمالكا للشيء ولهذا قيل كم من عقل اسير عند وهوى امير فن احب ان يكون حرا فلا يهوى والاصار عبدا كما قال على بن الجهم

انفس حرة وفنح عبيد * ان رقى الهوى لرق شديد

واختلاف الناس فى العقل المكتسب اذا تناهى وزاد فى الانسان هل يكون فضيلة ام لا فقال معظم العقلاء انه فضيلة اذا كان مجموع آحاد والاحاد فضائل ولا شك ان كثرة الفضائل فضيلة اما الشيء المحدود فتكون الزيادة فيه نقصا من المحدود كالتهور فى الشجاعة والتبذير فى الكرم فاما الزيادة فى العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال افضل الناس اعقل الناس وقال عليه السلام العقل حيث كان الف مالوف وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حقه فى اغلب الخصال عليه ولما مات بعض الخلفاء حشدت الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الا ن يستغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوشة عليهم ونضربوا فى ذلك مشاورات وتراجع اقية بالنماظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وغرة النصر وكان رجل منهم من ذوى الراى والمعرفة غايبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الراى عليه فلما اخبروه بما اجمعوا

عليه قال لا اري ذلك صوابا فسالوه عن علمه ذلك فقال غدا اخبركم ان شاء الله فلما اصبحوا غدا وعليه للوعد وقالوا لقد وعدتنا قال نعم فامر باحضار كلبين عظيمين قد اعد هما ثم حرس بينهما والى كل واحد على الاخر فتواثبا وتم ارسا حتى مالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل منه على الكلبين ذنبا عنده قد اعد فلما ابصرا تركا كما كانا عليه وتالفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فلما لامنه ما احب انتم اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقنال بينهم ما لم يظهر لهم عدو ومن غيرهم فاذا ظهر لهم عدو ومن غيرهم تركوا العداوة بينهم وتأثروا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رأيهم وأما المذموم في هذا الباب فصرف العقل الى الدهاء والمكر قال الشعبي ودهاة العرب ستة معاوية بن ابي سفيان وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد بن امية وقيس بن سعد بن عباد وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقال الاصمعي كان معاوية يقول أنا اللاناة وصهر للبدية وزيد للصغار واليكبار والمغيرة للامم العظمى قال قبيصة بن جابر ما رأيت اعطى لجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حمالا ولا أطول اناف من معاوية ولا رأيت أغلب للرجال ولا أبذلهم حين يحقون من عمرو بن العاص ولا أشبه سررا بعلاية من زياد ولوان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر يخرج من ابوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبي عليه السلام يا عمر ازدد عقالا تزدد من ربك قريبا قلت بآبي وامى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله وأدقراض الله تكن عاقلا ثم تغفل صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقالا وتزد من ربك قريبا وعليه عزا (ويرى) اهلى بن ابي طالب رضى الله عنه شعر

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشمها
والنفس تعلم انى لأمدقها * ولست أرشد الا حنين أعصمها
والعين تعلم فى عيني محدثها * ان كان من حزبي أو من أعادها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد فقوله شديد وقوله حميد والجاهل من جهله فى اغواء فقوله سقيم وقوله ذميم فاما من صرف فضل عقله الى الدهاء والمكر والشكر والحيل والتدبيرة كالحجاج وزيد واشباههما فمذموم وقد قال عمر بن الخطاب الخطاب رضى الله عنه است بالخب والخب لا يخذعنى وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفضل من أن يخذع وأعقل من أن يخذع والموصوف بالدهاء والمكر مذموم وصاحبه محذور وتخاف غوائله وتحذروا عقب حباقله وقد أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأباموسى الاشمرى ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زيادا عن موحدة وأخيسة يأمر أمير المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت ان أحمل الناس على فضل عقلك وكتب زيادا الى معاوية رضى الله عنه ان العراق فى شمالى وبميتى فارغة فولنى الجحازا كفلك أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفه فطعن فى أصبعه بعد أيام فمات ففطن وان كانا رغب عن الدهاء والمكر فانا

نرغب في الحيلة ونرضى بها والانساع في الحيلة عما نواصي به العقلاء قديما وحديثا وليس
شي من أمور الدنيا الطالب الرفعة وباغى الوسيلة وممر نادى أمر كان دق أو وجل خبر من
الحيلة وأضعف الحيلة أنفع من كثرة الشدة * وقالت الحكماء ملاك العقل الحيلة والتأني
للسبب الضعيف والقوى من الأمور (وروى) ان رجلا وقف لكسرى فقال أنا أصنع
ما تهجز الخلائق عنه قال ما هو قال يشد برجلي حبيل طرفه بوقبه القبل وبرجلي الاخرى كذلك
ويشد طرفه بوقبه القبل ثم يساق القبل بالضرب والزجر فلا اترشح ثم طلب ان يفعل ذلك
باربع من القبلة فترجموها فقتلوه شطرين فقال كسرى من لم يكن أكبر ما فيه عقله هلك
بأكبر ما فيه فتمطه بعض الشعراء فقال

من لم يكن أكبر عقله * أهلكه أكبر ما فيه

(وسمعت) استأذنا بالوليد يحيى ان رجلا استأذن على هرون الرشيد وقال اني أصنع ما تهجز
الخلائق عنه قال الرشيد هات فاخرج انبوبة قصب فيها اربعة ثم وضع واحدة في الارض وقام
على قدميه وجعل يرمي ابرة ابرة من فمته فتقع كل ابرة في عين الابرة الموضوعة حتى فرغ دسسته
فامر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار فسل عن جمعه بين الكرامة والهوان
فقال وصلت بطوقه ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم أن العقل
المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل هيات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما
جاوز المتوسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو متوسط بين الجذل والتبذير والشجاعة
وسيط بين الثور والجن (وقالت الحكماء للاسكندر) أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الأمور
فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث) ان النبي عليه السلام قال خيرا للامور وأساطها
(وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه خيرا للامور الأوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالئ
قالوا ولان زيادة العقل تنفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل
بما قدمناه من نصرة القول الاول وهو منقوض بالقتل الغريزي وبالعالم وبسائر الفضائل وأما
قولهم انه ينفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر قلنا الدهاء والمكر كسب معان أخر غير العقل
ليست من لوازم العقل فان شاء تدهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شيء يكتسبه العاقل
باختياره وليس عقله أوقعه فيه بل انما وقع فيه قلة عقله * وكان يزجرهم لما فرغ من كتاب
أمثاله ونسق كل باب على حiale يقول ليس العجب عن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما
العجب عن حفظها ولم يصر عالما وأنا أقول ليس العجب عن قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا
انما العجب عن قرأه ولم يصر مهذبا كاملا

(الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم)

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي فلو كان السلطان يستغنى
عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد
به أزرى وأشركه في أمري دلت الآية على ان موضوع الوزارة أن تشدد قواعد المملكة وأن
يقضي اليه السلطان بمجره ويجره اذا استكملت فيه الخلال المجودة ثم قال كي نسبك كثيرا
ونذكر كثيرا دلت هذه الكلمة على ان يصعب العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة

تنتظم أمور الدنيا وأموال الآخرة وكان أشجع الناس يحتاج إلى السلاح وأقرب الخليل إلى
السوط وأحد الشفاري إلى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير
(ويؤي بوسعيد الخلدري) قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة الا كانت له بطاقتان بطانة
تأمر بالمعروف وتنهيه عليه وبطانة تأمره بالشر وتنهيه عليه والمعصوم من عصمه الله
تعالى وانما اشقت الوزارة من الوزير وهو الثقيل يريد انه يعمل من أمر المملكة واعبائها
وأثقالها مثل الاوزار أسعد الملوك من له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه وقال
وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور
هامان فشاوره في ذلك فقال ينبغي أنت الله بعد اذ صرت تعبد افانف واستكبر وكان من أمره
ما كان وعلى هذا النظم كان وزير الحجاج يزيد بن الجهم لا يالهو خبالا ولبئس القرناء شرا
قرين لشرفدين وأشرف منازل الأدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على
الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومنزوع عند المنازلة الوزير مع الملك بمنزلة
سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) ان أول ما يستفيد الملك من
الوزراء أمران علم ما كان يحمله ويتقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه وأول ما يظن به زيل
السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استنخاب الوزراء واستنفاذ الجلاء ومحادثة العقلاء
فهذه ثلاث خصال تدل على كماله وبها يعمل في الخلق ذكره ويجعل في العقول قدره وترسخ
في النفوس عظمته والرءوسوم بشريته وكان يقال حلية الملوك وزيرتهم وزرأؤهم وفي
كتاب كليله ودمسه لايصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة والمودة
والنصيحة الا بالسر والعفاف وأعظم الأشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة
أن يحرموا صالح الوزراء والاعوان فتكون أعوانهم غير ذي جدوى وغنا ويحذر الملوك
ان يولي الوزارة غير المحبرين كي لا تضيع الامور كما يحذر ان يطلب بغير طبيب بصير مأمون
(قال شريح بن عبيد) لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب له
ثلاث صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب
الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه (وقال اردشير) بحق على الملك أن الطف ما يكون نظرا أعظم
ما يكون خطرا ولا يذهب حسن أثره في الرعية خوفه لها ولا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد
وأن يكون حذره للملاقين أكثر من حذره للمتبعين وان يتقى بطانة السوء أشد من اتقائه
العامة ولا يطمئن في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال اردشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع
بذلك جميع المملكة فاذا أقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل
ذلك حتى يجمع على اصلاح عامة الرعية ومنال الملك الخسیر والوزير السوء الذي ينجع الناس
شيره ولا يملكهم من الدومة كالماء الصافي فيه التماسيح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ما يجا
وكان إلى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير
كمثل السفير بين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا أراد أن
يقبل أحد من المرضى وصفه لاطبيب فقبض دأه فاذا سقاه الطبيب على صفة المسقى هلك
العديل كذلك الوزير يقبل إلى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فنحن همنا شرطنا ان يكون الوزير

صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلافة بصيرا بامور الرعية وتكون بطانة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لشيء مما للقيم اذا ارتفع جفا فأقاربه وتكره معارفه واستصف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحاج بن يدين ابي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحي ذر الحاج باستكتابك اياه فقال يا أبا حفص اني لم أجده عند خديانة دينار ولا درهم قال عمر أنا أوجده لك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابلدس مامس دينار ولا درهم وقد أهلك هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يعيل اليه ويقر به فقال

يا ملك طاعته في الوري * وجبه مقترض واجب

ان الذي شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمى فاستأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فعلاه فلم يجده بدمان أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام لا يعرف وزير الملك ماله وماعليه حتى يراعي من صاحبه الوانتي به ما يراعيه العاشق الغيور من المعشوقة المتهومة (وكان) بعض الملوك قد كتب ثلاث رفاع وقال لوزيره اذ رأيتني غضا بنا فادفع الى رقعة فكان في الواحدة انك است بالله وانك سموت وتعود الى التراب فاما كل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكمكم الله فانهم لا يسلمهم الا ذلك اذا كان الوزير يساوي الملك في الرأي والهيبة والطاعة فليصرعه الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع (وفي الامثال) اذا سكنت الدهماء خاف الوزراء * ولما كانت امور المملكة عائدة الى الوزراء وازمة الملوك في اكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المنزل السائر فقالوا لا تقتر عودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فلا تخش الامير ويقال الخرق بمارة الامراء ومعادة الوزراء ورب أمرهم كرهه الامير فتم بالوزير وكهم من أمر أراد الامير فتناء عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير بابها في أي الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج (وقال أنوشروان) لا يتم للملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له مجلس أمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كمرقع المرأة من النظر فكأن من لم ينظر الى المرأة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته والخصوص بقربه وزومه دون نظرائه فلهذا الامير وزيره وزينه حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه السكتة قوام الخلافة وقرينة الرئاسة وعود المملكة للكتاب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويقضي أمره اليه (وقد قالت الحكماء) لا يطمعن ذوو الكبر في الثناء ولا تلعب في كفرة الصديق ولا السبي الادب في الشرف ولا الشجع في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتعاقب الضعيف الوزراء في بقاء الملك وكما ان المرأة لا تترك وجهك الا بصفا جوهرها وجوده مقلها ونقائم الصدا كذلك الامير لا يكمل أمره الا بجموده عقل الوزير وصحة فهمه وصفاته نفسه ونفعا قلبه (ومن شروط الوزير) أن يكون مكين الرحمة

للخلق رؤفاهم لياصور حجة ما يجرحه السلطان بقلطته (ومن شروطه) أن يكون نقي الجلب
 ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكت بصيحة * وقال بعض الملوك لوزيره لا تكونن الى ما تسرى
 به أسرع مبادر من انذارى فيما يخاف على منه * وقال بعض الملوك اعط من أهلك بما تنكره
 كما تعطى من أهلك بما تحب فان من أنذر كن بشرا (ومن شروطه) أن يكون معتدلا كايلا تهمامة
 لاحر ولا قروم وق الزير من الملك موقع الملك من العامة وكان السلطان اذا صلح صلحت
 الرعية واذا فسد فسدوا كذلك الوزراء اذا فسد وفسد الملك واذا صلح واصلح الملك (وكان)
 يقال آفة العقل الهوى وآفة الأمير سخافة الوزير * وقال المقتدر بالله لوزيره على بن عيسى اتق
 الله يعضقنى عليك ولا تعصه فيسلطنى عليك * وقال المأمون لمحمد بن زنادياك أن تعصى الله
 فيما تقرب به الى فيسلطنى عليك (واعلم) انه ليس للوزير أن يكتم السلطان نصيحة وان استغلها
 وموقع الوزير من المملكة كوقع العينين من الانسان وكالسدين فانه اذا صبح قبضه ما
 وبسطه ما صبح التدبير واذا سقم داخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة أن تكون في غير
 أهلها كما لا يصلح الملك أن يكون في غير أهله وشتر الوزراء من كان الانسار ارضاله وزراء وبطانة
 ودخلاء وأوصت امرأته انها وكان ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء وزير
 يثق برأيه ويقضى اليه بأسراره وحسن يلبأ اليه اذا فرغ وسيف اذا نازل الاقران لم يخفنه
 وذخيرة خفية المحمل اذا نابه ناسبة كانت معه وامرأة اذا دخلت عليه أذهبت همه وطباخ
 اذا لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهيه

*(الباب الخامس والعشرون في الجلوس وآدابهم) *

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال سبحانه يا ويلتا ان لم يكن
 فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد ادعائي وكان الشيطان للانسان خذولا * وينبغي للملك
 أن يجالس أهل العقل والادب وذوى الراى والحسب وذوى التجارب والعبر فجالسة
 العقلاء لقاح العقل وماذته ولذلك حدث آراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوفا
 وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا علمك بأراء المشايخ فانهم ان
 فقدوا ذكاء الطبع فقد هربت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آمارا الفير وقالوا
 رأى الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال عبد الملك) جلوسه جنبوني فلا تالظرونى فاني أعرف
 بنفسي منكم ولا تكذبونى فانه لا رأى لكذب ولا تغتابوا عندي أحدا فقهه قلبي عليكم
 (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب ناديا وبتقارب الايام غظة وقالوا التجربة مرآة العقل
 والقرعة غمرة الجهول * وقد قال هرم بن قطبة وهو أحد حكماء العرب حين تناظر اليه عالم من
 الطنيل وعلمته بن علابه عليكم بالحديث السن الحديد النظر (وقال كثير من حكماء العرب)
 عليكم مشاورة الشباب فانهم يتجشون رأيا لم يعلمه طول التقدم ولا استولت عليه وطوبى الهرم
 والمذهب الاول أصدق على القول * وقال عبد العزيز بن زرارة معاوية عليه السلام بجالسة الالباء
 اعداء كانوا واصدقاء فان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) بجالسة العقلاء تزيد في
 الشرف * وقال سفيان بن عيينة ان الرجل عن كان قبلكم لياق الرجل العاقل فيكون عاقلا
 أيما وقال مالك بن أنس مرسلان بن داود عليهما السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا

غدونا من قري اصطخره * الى القصر فعلمنا
 فن يسأل عن القصر * فبنينا وجدناه
 بقماس الدر بالدر * اذا ما هو ماشاه
 وفي الشيء على الشيء * علامات واشباه
 فلا تعجب أبا جهل * وياك وياها
 فكلم من جاهل أردى * حليما حين آخاه

قال وو جدنا عليه نسرا واقعا فدعا فقال من بنى هذا القصر قال لا أدري قال كم لك منذ وقعت
 عليه قال تسع مائة سنة (وفي الامثال) يطن بالمر ما يطن بحيله (ولما) حج عبيد الله بن جعفر نزل
 مكة ليلا فلما أصبح ذل يا أهل مكة عرفنا خياركم من أشراركم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك
 قال نزلنا ومعنا أخبارنا وأشرارنا فنزل أخبارنا على أخباركم وأشرارنا على أشراركم فعرفناكم
 * وعلم أنه ليس الدخان على النار بادل من صاحب على صاحب * وقال الاوزاعي صاحب
 للصاحب كل رقعة في الذوب ان لم تكن في مثله شائته * وقال ملاك بن مسعود للاخنف بن قيس يا أبا
 بصير ما اشتاق الى غائب اذا حضرت ولا أنتفع بحضوره اذا غابت فاخذته ابراهيم بن العباس
 الكاتب فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من بينهم * وأنت الحبيب وانت المطاع

وما لك ان بعدد واحدة * ومما هم ان بعدت اجتماع

* وقال عبد الله بن طاهر المال غادورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافر
 * وقال الاصمعي تناظر رجلا نواعري حاشر فقال لاحدهما مناظره منك في الدين فرض
 والاستماع منك أدب ومجاالسك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك تلقى للعقول وشخذ
 واخاؤك شرف وغفر * وقال السهماني غنى مخارق بين يدي المأمون

واني لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفى كدورت عليه

عذيري من الانسان لان جفوته * صفالي ولان صرت طوع عيديه

فطرب المأمون وقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلقة واعطى هذا الانسان * وقالت
 الحكماء النظر في عواقب الامور تلقى العقول وقالوا العاقل لا تنة طمع صداقه والاحسن
 لا تدوم مودته فالتخذ من صحابك مرآة لطبايعك وفعائلك كما تتخذ لوجهك المرآة الجملوة
 فانك الى صلاح طبائعك اخرج منك الى تحسين صورتك * وقال المأمون للعسن بن سهل
 نظرت في الذات فوجدتها كلها معلولة لا تسعة قال وما السبع يا أمير المؤمنين قال خبز
 الخنطة وطعم الفسهم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والقراش الوطي
 وانظر الى الحسن من كل شيء قال فإني أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت
 وهي أولاهن * وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطرن كل شيء فاكث الحلو والحامض
 حتى لا أجدهم مطعما وشمعت الرائحة حتى لا أجدهم رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالي
 مرأة أتيت أم حاطل فوجدت شبأ الذن حليم يسقط بيني وبينه مؤنة التحفظ * وقال
 عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطرن كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على

العلالي العفر * وقال عبد الملك من قرب السهلة وأدناهم وباعد ذوى العتل وأقصاهم
استحق الخذلان ومن منع المال من الحد ورثه من لا يحمد ومن الكلام الشريف قول
الحكيم ما أسوج ذا القدرة الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله * والى تجر به طويله وعبر
محفوفة والى اعراق تسرى اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رقيق ورائد
شقيق والى عين تنظر العواقب وعقل يحاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من
سطوات الدهر ولم يحفظ من فلمات الزلل ولم يتعاضمه ذنب وان عظم ولا تناء وان سجع واذا
رايت من جليبتك امر اتكرهه أو دخله لا تحبها أو صدرت منه كلمة عوراء أو هفوة غبراء فلا
تقطع حبلة ولا تصرم وده ولكن داوكله واستر عورته فابسه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان
عصوك فقل انى برى مما تنعمون فلما امر بقطعهم وانما امر بالبراءة تمن عنهم السوء قال الشاعر
اذا راب منى مفصل فقطعته * بقيت وما بى للهوض مفاصل

ولكن أدويه فان صح سرتى * وان هو أعبا كان فيه تحامل

* وأتى رجل الى بعض الحكماء فشكا اليه صد بقة وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له
الحكيم أنفهم ما أقول لك فاكلك أم بك من فورة الغضب ما شغلك عنه فقال انى لما تقول
واعذتال أسروك بعودته كان أطول أم غمك بذنبه قال بل سرورى قال أخصناته عندك
أكثر أم سيئاته قال بل حسناته قال فاصفح اصالح أيامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه واطرح
مؤنة الغضب والانتقام منه واعذ لك لا تنال ما أملت فتطول مصاحبة الغضب وأنت صائر
الى ما تحب

(الباب السادس والعشرون فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال السلطان) *

قد ذكرنا الخصال التى تجرى من المملكة بحجى الاساس من البنيان ونذكر الان الخصال
التي تجرى من المملكة بحجى التاج والطبسان وحسن الهيئة والكمال فاكلها وقاعدتها
العفو قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الآية على
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا أدري حتى أسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد
فقال يا محمد بك يقرؤك السلام ويا امرؤ أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن
ظلمك واعلموا ارشدكم الله ان الله تعالى أمر بالعفو وندب اليه وذكر فضيلته وحث عليه
ووهب فيه نفسه فقال سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
فاوجب الله تعالى محبة للعافين وأثنى عليهم بالاحسان فقال لمن سب وعتق ان ذلك لمن عزم
الامور وعزائم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل وقال سبحانه واذا ما غضبوا هم يعفرون وقال سبحانه وليعفووا وليصفحوا ألا
تحبون أن يغفر الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم الى أن يعفوا عن الجناة والظالمين
والخاطئين كما يحبون أن يفعل الله بهم وقال فيمن انتصرو لم يعف ولين انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما علمهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء
وأزاح العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال

سبحانه وان عاقبتهم قعاقبو بائثل ماء و قسبته به و لقن صبرته له و خير للصابرين و هذا نص لا يحتمل التأويل و تحقيق القول في ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل و فضل الله أحب للناس عدله لانه ان عدل علينا فآخذنا بحقه هلكتاوان عفا عنا برحمته فخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاء ومناقضة وذلك مما تضيق عنده النفوس وتخرج له الصدور و ناط الاحسان بالعدل فقال ان اقمي امر بالعدل والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وايضا فالانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجرء سيئة سيئة مثلها غير انها انما سميت سيئة لما كانت تبيهة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا روت عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلمها قط غير انه اذا انتقم شيء من محارم الله فلا يقوم لغضبه شيء (وروي) انه قال ينادى مناد يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا في الدنيا فان عفو أميها اطالب كان أجرك على الله وان لم تعف كان حقه قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أو توفى من ان يكون قبل مخلوق وايضا فان لم تعف نلت حقه بالزيادة عليه وان عفو كان حسنة أسديتها لخيرك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وشفع الاخف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريئا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك أمر فقال لأبائي فقبل له ولم لا تبالي قال ان صدق الناقل وسعني عفوهُ وان كذب الناقل وسعني عدله * وما دخل عيفة بن حصين على عمر بن الخطاب قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم بان يوقع به فقال ابن اخيه يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوذا عرجين تلاها عليه وكان عمر وقفا عند كتاب الله تعالى (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارحوا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ارحم زحمة وكان يقال أولى الناس بالسلطان احتهم بالراة والرحمة وفي الانجيل افعل أهل الرحمة لانهم سيخرجون (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لقد أبغض الله المتسرعين الى اراقة الدماء فاليهم انتهت القسوة والغلظة والتابع من الرحمة ولما تمكن داود من قتل جالوت ابني عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه فقال يا رب أعظم بهي في عين أعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهوم * وقالت حكمة الهند لا سودد مع انتقام ولا سياسة مع عزازة نفس وعجب (وقلت) الحكيم ليس الاذوا في شيء أجود منه في العفو ولا هو في شيء أقبح منه في العقوبة وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة * واعلم انك ان تخطي في العفو في ألف قضية خير من ان تخطي في العقوبة في قضية واحدة (وقال) معاوية اني لا رفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي وجهل أصكبر من حلمي وعورة لا بوار به استرى (وقال) المامون

ليس على في الحلم مؤنة ولوددت ان اهل الجرائم علوا رأيت في العقوف يذهب الخوف عنهم فخلص
لى قلوبهم * وقال رجل للنصور يا امير المؤمنين ان الانتقام اتصاف والتجاوز فضل والتجاوز
قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ امير المؤمنين ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين وأن لا يرتفع
الى أعلى الدرجتين فاعف عنا يصف الله عنك فعنا عنهم وانشدوا

واذا بنى ياغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمسكر

وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عاقبته والله ما أدري أي الامير أي يوميك أشرف أيوم
ظفرت أم يوم عفوت وقال الشاعر

ما زلت في العقول الذنوب واط * لاقك جان بحسرة ملق

حتى غنى العفاة أم - مو * عندك أمسوا في القيد والخلق

ورفع الى انوشروان ان العامة توجب الملك في معاودة الصنع عن المذنبين مع متابعتهم في الذنوب
فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء وليس معاودة الداء اياهم بما نعلمنا من معاودة العلاج لهم
(وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرن شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة
(وقال) رجل لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدا يا امير المؤمنين ظلم ظلمك
ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) بعض التابعين المعاقب مستدع لعداوة اولياء المذنب
والعافي مستدع لشكرهم أو كفافتهم أيام قدرتهم ولان ينفي عليك باتساع الصدر خبر من
أن تنسب الى ضيقه واقالة العثرة موجبة اقالة عثرته من ربه وعفوك عن الناس

موصول بعفو الله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك والله يحب العافين (وقال)
النصور عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرار التصريح * وقال المامون لما رأيت
الذنوب جلست عن المجازاة بالعقاب جعلت العقاب فيها عفوا أمضى من الضرب للرقاب
* وقال الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيما والبذل سرفا * وفي الحكمة اذا
استقمت فقد استصفت واذا عفوت فقد تفضلت (وقال) بعض الحكماء اقبل العذر وان
كان مصنوعا الا ان يكون ممن أوجبت المروءة قطيعته أو يكون في قبولك عذره تشجيعه
على المكره أو عونه على الشرفان قبولك للعذريته اشتراك في المنكر (ولما دخل) القيسل
دمشق حشر الناس رؤيته وصعد معاوية الى علية لم تطلعا فبيناهو كذلك اذ نظرت في بعض
الحجر في قصور جلامع بعض حرمه فاني الحجر ودق الباب فلم يكن من قصه بدفوقعت عينه على
الرجل فقال يا هذائي قصري وتحت جناحي تهتك حرمي وأنت في قبضتي ما حملك على ذلك
فبهت الرجل وقال حلك أو قهني قال له معاوية فان عفوت عنك تستر عا لي قال نعم فخلي سبيله
وهذا من الداء العظيم والحلم الواسع ان يطلب السر من الجاني وهو عذر قول الشاعر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * ونذنبون فأنابكم فنهتذر

(واني موسى الهادي) برجل قد جنى لجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال اعتذارى مما تقرر عني
به ودعيلك واقراي بما ذكرته ذنب وانكفي أقول

فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهدي عند المعافاة في الاجر

فامر باطلاقه (وقال المهلب) لاشئ ابقى للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته منه

بحسن العقول يوحشها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب وان صغر حتى يضطره ذلك الى العصية * ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول ساويرس وجمع أولاده فقال يا بني ان أعجز كم ان غلوا قلوب الرعية حبافا لموها خوفا وليس ذلك بان تحمل العقوبة على من لا يبتغيها ولكن تهيئها لمن يستحقها * وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشرّ دينهم من خلفهم وهذا معنى لا يحتل عما أوجبناه وهو معنى قول ساويرس ولا يخالف ما قررنا من حسن العضو بل هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما في تركه اغرار بركون أمثاله فهنا يكون العقوم مفسدة فيما أوجب العاقب اذا أقت على مذنب عقوبة فلا تكن كالمثقى المثلذذ به لانه وإياه اخوان لآب وأم آدم وحواء لم تفضله بحولك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذا كرلو كنت في مقامه وكان في مقامك ولاتأمن تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا يتقربى العواقب واحذر التفریط والتقصير وأقم نفسك مذنباً أقيم للعقوبة وليكن عقابك مقدراً كما كان عطاؤك مقدراً وليكن عقابك للتقويم لا للانتقام ولزجر لالهوى وعن هذا قال برزجره لا ينبغي للملوك أن يكرمو احداهم وان من ليس للهوان اهلا ولا ان يهينوا احداً باكرام من ليس للكرامة اهلاً * لا تكن على الاسامة أقوى منك على الاحسان ولا على البخل اسرع منك الى البذل قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العقول يعرف من الناس مجرماً

فليس يبالي أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى بالكره لم يغفر مسلماً

(وقال سليمان بن داود) عليهم السلام التنكيل والعقوبة امنية الملك الشري وعلى مثله بعث الله ملوكاً غير رحيم * وقال معاوية لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب أو رضا الا لثواب أو عقاب وقال اردشير فضل الملك على السوقه انما هو بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فكلمها استكبرتم مابانت فضيلته واستحقاقه لموضع من الولاية عليهم وكلما تقي منهم اقرب من السوقه (وقال المامون) انى لاجد لعقوى لذة أعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك أو هان على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطا في الراى أعظم مما ادخل على صاحبه من العقوبة * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم (وقيل) لا فلا طون أى شئ من افعال الناس يشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس وقال الحكيم الحليم فدام السفيه والعقور كلة العقل * وقال الحكيم السيد الذى لا يشين حسن الظفر بفتح الانتقام وخير مناقب الملوك العقو * وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان من أذل العبد بالذنب واذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت تغفر راحم وان عذبت تغفر ظالم الهى انه كنت لا ترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجو لك الا اهل وقائلك فحين يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن * لعز الحليم ينتقم الحليم

(وروى ان الجاهل) أخذ القطري بن الصبابة فقال لا تقتلك قال ولم قال لخروج أخيك على قال فان معى كتاب امير المؤمنين ان لا تأخذنى بذنب أخى قال هانه قال ان معى أو كد منه قال الله تعالى ولا تزروا زرة وزراً اخرى فتعجب من جوابه وخلي سبيله * ولما وفد عقييل بن أبى طالب على

معاوية امر له بجأته ألف درهم فلما اراد الانصراف رأى في الطريق جارية باربعين ألف درهم
فرجع الى معاوية فاخبره قال وما تصنع بها قال تلد لي غلاما فان اغضنتي يضرب مقرقك
بالسيف فامر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية
ضيعة فبلغ الحسين بن علي الخبر فكتب الى معاوية اني لا اجيز بيع مسلم فارسل معاوية الى مسلم
فقال هذا كتاب الحسين يا امر برد المال فقال مسلم امدون ان اضرب مقرقك بالسيف فلا
فصلت معاوية وقال والله لقد مهدني أبوك بذلك قبل ان يشترى أمك وسوغه المال فقال
الحسين عليتنا معاوية حلما وجودا

(الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة)

وهذا الباب مما يعبد به الحكماء من أساس المملكة وقواعد السلطنة ويقتصر اليه الرئيس
والمرؤس وقد ذكرناه في باب الخصال القرفائية ونذكره هنا فوائد ما يحاسبها * اعلموا ان
المستشير وان كان أفضل رأيا من المشير فانه يراد برأيه رأيا كما ترداد النصارى بالسلطان فلا
يقذف في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فتمنعك ذلك
عن المشاورة فانك لا تريد الرأي للغير به ولكن للانتفاع به فان أردت الذكر كان آخره ذكر
وأحسن عند ذوى الالباب لسياسة أن يقولوا لا يتقدم برأيه دون ذوى الرأي من اخوانه ولا
يمنعك عزمك على اتخاذ رأيك وظهور مصوابك عن الاستشارة الا ترى ان ابراهيم عليه السلام
أمر بهد يخ ابنه عزمة لامشورة فيها فخله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة
فيه فقال فيه يابني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من أحسن ما رسم في هذا
الباب * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرأي القرد كالخط السجيل والريان كالنطيطين
والثلاثة الا رأوا لا تكاد تنقطع ويروي أن روميا وفارسيا فاجروا فقال القارسي نحن لانك
علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لانك علينا من لا يشاور وقال بزرجهر اذا أشكل الرأي
على الحازم كان بمنزلة من أضل أو أؤوه فجمع ماحول مسقطها فاقسمها فوجدوها كذلك الحازم
يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يختصر له الصواب (وكان)
يقال من كثرت استشارته جدت امارته وفي حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يراد
برأي الوزراء الحزمة كما يراد الجرح بمواده من الانهار وينال بالحزم والرأي ما لا يساهل بالقوة
والجسد ولم تزل حزمة الرجال يستحلون هم اترق قول النعماء كما يستحل الجاهل المساعدة على
الاهوى * وقال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق المخلوع يعني أخاه الأمين فقال كان
واسع الصدر ضيق الادب ينتج من نفسه ما تآباههم الاحرار لا مصعبا الى نصيحة ولا يقبل
مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته فلا يرده ذلك عما يهيم به قال فكيف حروبه قال يجمع
الكتاب بالتبذير وبقره بابو التدبير فقال المأمون لذلك ما حل محله اما والله لو اذ لنا
النصائح واختار مشورة الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به * وقال بعضهم اتقوا الملوك
الامور بغير روية كالعبادة بغير رية ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم يشهدون الغيوب
ويستترون صواب الرأي من كل أحد حتى الامة الوعلك هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول رحم الله امرأه اهدى الى عمي وبني * وكان يقال من أعطى اربعة لم ينفع اربعا من أعطى

الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستشارة لم يمنع الخيرة
 ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب • وقال بعضهم خبر الراي خير من فطره وتأخير خبر من
 تقديمه (وذكر صاحب كتاب الساج) أن بعض ملوك العجم استشار وزيراً فقال أحدهم
 لا ينبغي للملك أن يستشير من أحد إلا خالفه أنه أموت للسر وأحرم في الراي وأجدر بالسلامة
 وأعني بعضنا من غائلة البعض • وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مرز أخته فقصر وفي الراي
 دعا الموكنين بارزاقهم فعاقدتهم فيقولون تخطي مرز أخته وتعاقدنا فيقول نعم لم يخطوا إلا لتعلق
 قلوبهم بارزاقهم وإذا هموا أخطوا • وكانوا إذا هموا بشاور رجل بعثوا إليه بقوته وقوت
 عياله لئلا يتفرغ عنه • وكان يقال النفس إذا حرزت قوتها اطمانت وإذا شاورت فاصدق
 الخبر تصدق المشورة ولا تسكتم المستشار فتوفى من قبل نفسك • وقال بعض ملوك العجم
 لا يمنعك شدة يأسك في باطنك ولا علم مكانك في نفسك من أن تجتمع إلى رأيك رأي غيرك
 فإن أجمعت أحبيت وإن أخطأت عذرت فإن في ذلك خص الامتنان وافق رأيك رأي غيرك
 ازداد رأيك شدة عندك وإن خالفه عرضته على نظرك فإن رأيته معتبلاً لمواربته قبلته وإن
 رأيته مقصعاً استغثت عنه وبجذبك النصيحة عن شاورته وإن أخطأ وتجهض لك مودته
 وإن قصر ولولم يكن من فضيلة المشاورة إلا أنك أن أصبته مستبداً سلبت فائدة الاصابة بالسنة
 الحسنة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا كان احسن وإذا شاورت فاصبت أحد الجماعة
 رأيك لانهم لنفوسهم يصمدون وإن أخطأت حمل الجماعة خطاك لانهم عن نفوسهم يكاحون
 • وأما أن القول الغليظ يسقع لفضل عاقبته كما يشكاه شرب الدواء المر لفضل مغيبته (وقال
 اعرابي) ما عرفت قط حتى عرقومي قالوا وكيف ذلك قال لا فعل شيا حتى اشاورهم (وقيل)
 لرجل من بني عيس ما كثر صوابكم يا بني عيس فقال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن
 نطيعه فكأننا ألف حازم • وكان ابن هبيرة أمير البصرة يقول اللهم اني أعوذ بك من محبة من
 غايته خاصة نفسه والاعطاط في هوى مستشيريه (وفي حكم الهند) من التمس من الاخوان
 الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الراي
 وازداد مرضاً وحمل الوزر وقالت الحكماء لا تشاور معلماً ولا راى غم ولا كثير القه ودمع
 النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خاتماً ولا من يرهنه أحد السيلين • وقالوا لا راى
 لحاقن ولا لحازق ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقيق عنده والحازق هو الذي ضغطه الخلف الضيق
 والحاقب هو الذي يجهد في بطنه ثقلاً وقالوا من شكك إلى عاجز أعارجه وعزوه وامده من جرعه
 (وممن لطيف ما جرى في الامتشارة) ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في
 اخيه ابي بكر ان يولي القضاة فاشار به فبعث إلى ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد إلى عبيد الله
 يستعين على ابي بكر فقال ابو بكر لم يبد الله انشدك الله اترى إلى القضاء قال اللهم لا قال زياد
 سبحان الله استشرتني فاشرت على به ثم اسمعك فنهاه فقال ايها الأمير استشرتني فاجبتك ذلك
 الراي ونعمتلك وبعثت للمسلمين واستشارني فاجبتك له رأي ونعمتكم (وروي ان الحجاج)
 بعث إلى المهلب يستعجله حرب الا زارقة فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الراي لمن
 يملكه دون من لا يصبره

• (فصل في النصيحة) • اعلو ان النصيح للمسلمين والخلائق اجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان ا نصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آتى على قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون النصيحة وقال عليه السلام ان العبد اذا نصح له بدينه واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروى) أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعلماءهم فالنصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح ودفع الملامة ما خوذ من النصيحة وهي الاسلوب التي يحاط بها وتصح غير النصيحة تقول العرب هذا قص منصوص أي مخطو ونصحتهم نصحا اذا خطمتهم ويحتاج النصيح في الاشياء لاختلاف الاشياء فالنصح لله هو ومنه بما هو اهل وتزبه عما ليس باهل له عندا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والتباعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولاً وفعلاً وارادة بث جميع ما ذكرناه في عبادته والنصيحة لكتابه اقامته في التساوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المجرمين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين قال الله تعالى كتاب ازلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام مواز ربه ونصرتة والحماية من دونه حسبا وميثاقا وحياء سنته بالطلب وحياء طر يقته في بث الدعوة وتالف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للامة معا ونيهم على ما نكفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جعلوا وتخيرهم عن يديهم السوء واعلامهم باخلاق اعمالهم وسيرهم في الرعية وسد خلعتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفرج كبرهم ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة نفسه وبدنه وحوائجهم عنهم (قال الاصمعي) لفظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطريق فامسكها يده حتى تر يد ارقوم فالتقاها في الدار وقال يا كاهن اجنهم والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر والسف ان كان ذا سلطان أو يكتو اعن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا لا قامة أمره فيهم (وروى معاذ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناجاة لاهله والاعتماد بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم وقال جابر ابن عبد الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقتني فيما استقبلت والنصح لكل مسلم (وروى) أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال أبو الدرداء العلم يبلغه البر والقابور والحكمة ينطق بها البر والقابور والنصيحة لله تعالى لا تثبت الا في قلوب المتخفين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا أولو العزم • وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوني • وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لي في وجهي

مأ كره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره * وقال مالك النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها الأنبياء * ومن أمر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم والنفوس مستقلة للنصح نافرة عن أهله ومائلة الى ما وافق هواها (وفي منثو والحكم) وذلك من نصحتك وقلالك من مشي في هواله وكان يقال أخولك من احتل انقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا

عرضت نصيحة مني لزيد * فقال غششتني والنصح مر
ومالي أن أكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الاثواب بر
ولكن قد اتاني أن زيدا * يقال عليه في مغناه شر
فقات له تجنب كل شيء * يقال عليك ان الحزحز

وقال آخر

وعلى النصوح لصيحي * وعلى عصيان النصوح

والقطامي شعر

ومعصية الشفيق عليك ما * تزيد مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بان تقبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انا النذير فلا يغروكم أحد
لا شيء مما تزي تبقي بشاشته * الا الله ويودي المال والولد
لم تنعن عن هرمن يوما خزائنه * وانخلد قد حاولت عاذفا خلدا

وقال ابن وهب انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه ولا خير لك فحين لا خير له في نفسه * وقالت العلماء ان ينصحتك امرؤ لا ينصح لنفسه (وقال بعضهم) رأيي ورأيك في المعرفة امثل لنفسك من رأيك لانه خلون هواله * وقال أبو الدرداء ان شئت من النصيحة لكرم ان أحب عباد الله الى الله الذين يمجسون الله الى عباداه ويعملون في الارض سعيا وروى ان رجلا طلم ابراهيم بن آدم فرفع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت تبيني وتعاقيه فلا تبيني ولا تعاقيه * ومن الخصال التي تجري مجرى الجمال والكمال الحلم *

(الباب الثامن والعشرون في الحلم)

قال الله تعالى ان ابراهيم طليم أوام منيب وقال تعالى فاصنع الصنيع الجليل (قال) على ونهى الله عنه الصنيع الجليل الرضا بلا عتاب وقيل الصنيع الجليل الرضا بلا توبخ فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كاد الحليم أن يكون نبيا (ويروى) ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا يكونن علي فأنسى قال لا تغضب * واعلم ان الحلم أشرف الاخلاق وأحدها بذوى الالباب لما فيه من واحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لا قامة أو داء الخسالات وعمارسة اخلاقتهم ولا يطبقون به في حال سلمهم وانما يقشون به به حين تنازعهم وخصوماتهم وشروهم وتكدر نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بواذرهم ولا وقع تحت عبثهم * وكان أنوشروان ذا حلم وناة وكان يقول في خصلتان لولا انهما ظاهرا ن عند الرعية لضقت بهما اذرا الحلم والناة (ويروى) ان يحيى بن زكريا قال عيسى

ابن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرني باشد الاشياء في الدارين قال غضب الله تعالى
 قال يا روح الله وما ينجمني من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو
 الغضب قال التعزير والتهذيب والتعزير على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 وجبت محبة الله تعالى على من أغضب لحلم وفي الحديث أن يضرب في هذا الباب قصة اسحق
 عليه السلام قال له ابراهيم يابني اني رأيت في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل
 ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين وأمر على حلقه السكين فلم يقل الا
 خيرا فقال الله تعالى وبشرناه بغلام حليم (وفي الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان الحديدي من
 الرجال لم يأس منه وان كان يحبي المولى بدعائه لانه تأتي عليه راحة فيحتد فيها فيصير منه الى
 ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد اسخفه الغضب فقال له يا أمير
 المؤمنين انك اغما تغضب لله تعالى ولا تغضب لهما كثر من غضبه لنفسه * واعلم أرشدك الله ان
 هذه الكلمة لا قيمة لها والله أعلم حيث يجعل رسالته فاعلموا أن جمل قدره وأو اعظم شأنها
 لانك اذا كنت أيها السلطان اغما تنصرف في ملك الله بامر الله فالتعالى قد حدد حدودا
 وشرع شرائع وأقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصله عند محالته
 حدا محددا ونهى أن يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحقq النطق والحبس والادب والحد ولا
 يحبس غير من استوجب الحبس * وكانت الخلفاء يؤدون الناس على قدر منازلهم فمن عمر من
 ذوى المروآت اقبلت عمرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الهيات عثراتهم
 ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوفه فكان يقام قائما في مجلس يعده فيه نظارته
 فتكون هذه عقوبته وأخرى شق جيبه وأخرى تنزع عمامته من رأسه وأخرى يكلم بالكلام
 الذى فيه بعض الغلظة * قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم
 اذا أخذوا رجل منهم ثم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بنقره
 فلما ولى يزيد ضربهم ونزع عمامتهم فلما ولى مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما
 ولى بشر بن مرwan أقامهم على الكراسى ثم مدت أيديهم وسمرها بسمار ثم نزع الكرسي من
 تحت رجليه حتى يحرم يده في ميت ومن حى فلما ولى الرجل المعروف بالجراح قال كل هؤلاء
 باه من أخذ بنقره ضرب عنقه وقال ارسطا طاليس النفس الذليلة لا تجدد ألم الهوان
 والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام وفيه قيل

من يمن يسهل الهوان عليه * ما لجرح يميت ايلام

واعلم ان من تجاوز في العقوبة فوق ما حد الله تعالى فيها شارك في الجرم في الذنب واستوجب
 ما استوجبه المجرم من العقوبة ويتبين في الآخرة انه اغما يعاقب للهوى والتشفي اذا اغما غضب
 لله تعالى (وفي كتاب سليمان بن داود عليهم السلام) القاهرة لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده
 وصدق نبى الله صلى الله عليه وسلم فان السلطان يفتح المدينة ويقهر أهلها ويغلب جنودها
 وجناتها ويقتل ابطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى اسيرا في ذل هواه قد هزته قيمة بطشورها
 أو قدح خريذ به بقله * وقال اكتم من صيفي الصبر على جرح الحلم اعذب من جنى غمر الندم
 (وسأل على بن أبى طالب) رضى الله عنه كثيرا من كبراء فارس من أحمدا لوكم عندهم فقال

لأردشير نضل السبق غير أن أحدهم سيرة أنوشروان قال فاي أخلاقه — ان اغلب عليه قال
الحلم والناة فقال علي رضى الله عنه هما توأم ينتجها عاقلو الهمة * ومن محمود السيرة ان يعرف
الناس من أخلاقك انك لا تنجى بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء
الراجي وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصنع عن كل مذهب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسي وان لام لانم
وأما الذى مثلى فان زل أو هنا * تنضلت ان الحلم بالفضل حاكم

(وقال الاصمعي) سمعت اعرابيا يقول اسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقد بين جنبيك
جيرة الغضب وورد اساءته بالحلم فان شجرة النار اذا الحت عليها الريح تهاكت اغصانها
فتشتعل ناراً وتحترق من أصولها * وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من اجتمعن
فيه فقد سعد من اذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق واذا ارضى لم يدخله رضاءه باطل
واذا قدر عرف وكف (ومثل جعفر بن محمد) عن حد الحلم فقال وكيف يعرف فضل شيء لم يركله
في أحد * وقال الاحنف لابنه باقر ان اردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه فان انصفك والا فاحذره
(وكان سلم بن نوفل) سيد بني كنانة فضربه رجل من قومه بسيفه فأخذ فاقى به اليه فقال له
ما الذى فعلت أما خشيت انتقامي قال فلم سودنالك الا أن تكظم الغيظ وتغف عن الجاني
وتعلم عن الجاهل وتحتمل المكروه في النفس والمال تخفى سبيله فقال قائلهم شعرا
يسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب للحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله لا اعطيك عطيته ما يعطيها العبيد
فأعطاه مائة رأس من السبي ومن امثال العرب اجد لم تسد ويرى ان هشاماً غضب على
رجل من أشرف الناس فشتمه فوجّه الرجل فقال له اما تستحي ان تستخني وأنت خليفة الله
في أرضه فاطرق هشام واستحيا وقال له اقتص فقال اذ اسفبه مثلك فقال خذ من ذلك عوضاً
من المال قال ما كنت لا فعل قال فهبها لله قال هي لله ثم لك فنكس هشام رأسه وقال والله
لا أعود لمثلها وقال الشاعر

ان يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى بذلوا وان عزوا لا أقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة * لا صفع ذل ولكن صفع اكرام
وقال آخر

وجهل رد ذناه بفضل حلومنا * ولواتت لنا رد ذناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعبدنا على أهل السفاهة بالفضل

وقال هشام بن خالد بن صفوان صفى الاحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ان شئت أخبرتك
عنه ثلاث وان شئت بانتيين وان شئت بواحدة فقال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص
ولا يجهل ولا يذفع الحق اذا نزل به قال فأخبرني عنه بانتيين قال كان يؤثر الخيرة ويتوقى

النسر قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال اكتم بن
صبي الغلبة والعز للعلم وقال الاحنف بن قيس وجدت الحلم انصر لي من الرجال وصدق
الاحنف فان من حلم كان الناس انصاره كما روى ان رجلا أسرف في شتم بعض الادياء وهو
ساكت فغمي له بعض المارين في الطريق وقال له يرجك الله الا تنتهر لك قال لا قال ولم قال
لائي وجدت الحلم انصر لي من الرجال وهل حابيت في الالحلى وقال رجل لعمر بن العاص
والله لا تغرن لك فقال له الا ن وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان
رجلا من كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كبة فنبج فقال والله لا أنبج ضيف أهلي
اليه فغوى جروها في بطنها فباع ذلك نبيالهم أوقيل من أقبالهم فقال مثل هذا مثل أمة
تكون بعدكم تظهر سرفها وهاعلى حملائها وقال الاحنف اياكم وراى الاوغاد قالوا وما رآى
لاوغاد قال الذين يرون الصنم والعنوعارا وسئل الاحنف عن الحلم فقال هو الذى تصبر
عليه ولست بجديم ولكنى صبور ويروى ان المهلب نازعه رجل من كبار بني عجم فاربى على
المهلب والمهلب ساكت فقبل له في ذلك فقال كنت اذا سبني استجيت من نصف السباب
وغلبة اللثام والسندلة وكان اذا سبني تململ وجهه وشمخت نفسه بان فغير فضل القعة وبذ
المروءة وخلع ربة الحياء وقلة الاكتراب بسوء النناء ومروءة المسيح عليه السلام على قوم من
اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقبل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينطق
معاذنه وقال اكتم بن صبي من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفر النعمة لو لم وصحبة
الجاهل شوم ولقاء الاخوان غنم والمباشرة عين ومن الفساد اضعاء الزاد وسب رجل
الشعبي فبما نكسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا
فغفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سبنيك سب ايدخل معك في قبرك فقال
أبو بكر معك والله يدخل لامعى وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمع عشرا
فقال له الاحنف لكنك لو قلت عشرا لم تسمع معنى واحدة ويروى ان رجلا سب الاحنف
وهو عايشه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بيني معك شيء
فقله ههنا فاني أخاف ان سمعك فتيان الحى أن يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له
الحكيم استأدخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط بن زرارمة شعر

فقل لبي سعد فبالى وما لكم • ترقون منى ما استطعتم واعتق

اغركم انى باحسن شعبة • بصبر وانى بالقوا حش آخرق

وأنت قد سايقتى فقه رنقى • هنيئا هريثا أنت بالقحش أهدق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه أنت الذى نقاله معاوية من الشام لو كان ذلك خيرا فماتك
فقال يا ابن أخي ان ورائى عقبه كزودا ان تجوت منهم لم يضرنى ما قلت وان لم ألج منها فانا
شر مما قلت وقال اقمان لابنه يابنى ثلاثة لا يعرفون الاعند ثلاثة لا يعرف الحليم الاعند
الغضب ولا الشجاع الاعند الحرب ولا أخوك الاعند الحاجة اليه وسب رجل بعض
الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك أعنى فقال الحكيم وعنك أعرض وفي هذا المعنى قبل
قل ما بدالك من زور ومن كذب • حلى أصم وأذى غيره صماء •

وقيل يوملا حنف ما أحلك فقال لست بهليم ولكني اتحالم والله اني لا اسمع الكلمة فاجم
لها ثلاثا ما يعني من جوابها الا الخوف من ان اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر
وليس يتم الحلم للمره راضيا * اذا كان عند السخط لا يتعلم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا * اذا كان عند العسر لا يتحسر
وروى ان رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال اماما قلت مما هو فينا فان استغفر الله
منه وما قلت مما ليس فينا فاننا نكلك فيه الى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب
فرب غضب استحق الغضب بان به غضب الله تعالى وقال اكتم بن صفي لا يكون الرجل حليما
حتى يقول السفيه انه اضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحق انه لمفسد ومن
أشعريت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخطي * أصبت حليما أو أصابك جاهل

وصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب عدو العتق ولذلك
يحول بين صاحبه وبين العقل واللهم وقال صعصعة بن صوحان الغضب مدمحة العقل
فربما أصلد وربما أزند وقال اعرابي اذا جاء الغضب تسلط العطب وكان ابن عوان
اذا غضب على أحد من اهله قال سبحان الله بارك الله فيك وقال الاسمعي دفع اردشير الى رجل
كان يقوم على راسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الى فكان فيه اسكن فلمست
بale انما أنت بشريوشك ان يا كل بعضك بعضا وتصبر عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة
أقول من سنها ملك سبع أمر أن يكتب في كتاب اسكن فلمست باله وقال لصاحبه اذا غضبت
فأعرضه على فكان اذا غضب أعرضه عليه فاذا قرأه اسكن غضبه وقال معاوية أفضل
ما أعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكرواذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب
كظم واذا قدر عفا واذا أساء استعفى واذا وعد أنجز وفي الحكمة مكتوب من أطاع
الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق غمره الدل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم
صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال آخر أول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض
الحكماء اذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرغبة والشهوة والغضب
(وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظن من أمره بغفر الله لي وله قيل له ومن
أمره قال الشيطان وقال رجل ل أخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك بأشياء
رجمتك منها قال فهل سمعتني اذكره بشي قال لا قال فايها فارحم وقال الفضل ثلاثة لا يلامون
على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس
ابن عاصم المنقري اني جالس معه في فناء وهو يحمدنا اذ جازعنا يحمدون قتيلا ومعهم رجل
ماسور فقيل له هذا ابنك قتله أخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من
منطقه ثم أنشد

أقول للنفس تأييبا وتعزية * احدي يدي أصابتني ولم ترد

كلاما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذاولدي

ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عك ووارأك وسق الى امه ما تمنى الابل فانها

غريبة ومن أنبل بيت فآلته العرب قول بعضهم
فصح بالخبر خرم بالخني * ربح الاحلام ذبال الازر
وقال غيره

باحلام عاد لا يخاف جليهم * اذا نطق العوراء عرب لسان
اذا حدنوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدنوا أو ابجسن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما علم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة
من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصانك وينلانك فلو عاقبتهم
فقال هم بعد العقوبة اعذر في ثلبي وتنقيصي (ويروى) ان جرير بن عبد الله بن جهاور اك
قد اوردف ابنه اذ لقيه رجل فقال منه وجرير ساكت فلما ولي قال له ابنه يا ابت لم سكت عنه
قال يا ابت انا فوسع جرحي وقال بعض الحكماء متى أشنى غيظي أحين اقدر فيقال لو عفوت
أم حين اجعل فيقتال لو صبرت وستل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم
للم يغضب ما بان حمله كان يغضبه الشيء بين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم
ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والانفة والهمة
والدفاع والاذب والشار والعبرة لان هذه الخصال نتائج الغضب ومن فقد الغضب فقد قد أس
الفضائل على ما سنذكر في باب الشجاعة ان شاء الله تعالى وعند فقد الشجاعة تكون
المهانة ومن المهانة يكون سفاسف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موقع
وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي
الحامل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو جبار ومن استرضى
فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لان نفسه بل
عند انتهائه لحرمة ربه واعلم ان الله تعالى مامدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ
فقال والسكاطين العيظ وقد انشد المتأبغة الجعدي بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام
ولاخير في حلم اذ لم تكن له * بوادرتحمني صفوة أن يكدرها
ولاخير في جهل اذ لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرها

فلم يشكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا سافرا استتبع سفيها ويقول أستدفع به
شر السنيهاء عني واعلموا أنشدكم الله أن أحسن خصال المولود وأجلها قدره وهي حليته
الانبياء ولبسة الاصفياء وجمال السوق والرؤساء واعظمها في النفوس موقعا واعماها
على الرعايا نفعا واخذها على من الايام ذكرها واجلها في المحافل والحاسن نشرها وهي
الفضيلة التي تهم سائر الفضائل وتكمل بها سائر الحسنات الحليم وهما أنا أنلو عليك من ذلك
ما يقضي فيه العجب (هذه) دولة آل العباس أولهم أبو العباس السفاح وإلى يومنا هذا
لم يكن فيهم أجل من المأمون بلغ من حلمه انه كان يقول لو علم الناس مالي في ليلة العفو ما اقتربوا
إلى الاباطير اثم فاق حلمه سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب المثل بحلمه وبهذه الخصلة
تهب ملكه وقهر أخاه الامين (ومنها) دولة بني أمية أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم
مر وان الجعدي لم يكن فيهم أحلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك به سارقا العرب

والجهم وصار حله يضرب به المثل ويقعدى به الخلق ويتخلق به العقلاء حتى حكى عنه
انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط عنه كميوت أو شعرة ما انقطعت اذا جردوا
ارسات واذا ارسلوا جذبت (وهذه) دولة الفرس وكانت أعظم دول الارض وأشدّها بأسا
وأكثرها علوما وحكما لم يكن في أكاسرها أحلم من كسرى أو ثروان وصار يضرب به
المثل وتطور بسيرة الكتب والمصنفات فيروى ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان
الله عليه لقي كبيراً من كبار فارس فقال له ما أحمد خصال ملوككم فقال السبق لسيرويه
وأحمدهم سيرة أو ثروان فقال له على وما كان أغلب خصاله عليه قال الحلم والناة قال
على هم أولو أم ينتجهم علو الهمة وبلغ من حلمه انه كان يضيق صدره بحمله فقال في خصلتان
لولا انهما ظاهرا نان عند الرعية انصفت بهما ذرعا الحلم والناة فأخلق بحضلة تم مندهمتها
ويبقى على الدهر جمالها وتحاذق العلماء والعقلاء والملوك والسوقة بهجتها وحسن مصادرها
ومواردها أن يتخذها الملوك شعارا ودارا وانما قصدت الحكمة من الملوك خاصة فاما
من سواهم من الرعية كالأخنف ونظرائه فلا يحصون كثرة

(الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب)

فأقول ذلك انك اذا نظرت الى تفسير أشكالك وتبدل صورتك واحرار وجهك وانتاخ
أوداجك وذهاب جناتك وسقط كلامك وخش ما يخرج من فيك لامسكت عن الغضب
واطامما كنت تستحى أن تتكلم بين يدي الجاهل بالسير الجائر فعمدت تهدر بالكثير
الفاحش ولو أن من غضب استذكر اذا صعدا سكن غربه انقلاب صورته وتغير وجهه
واضطراب شقيقه وارتعاد أطرافه وسقط كلامه وخوى خطابه والتفاف لسانه وخفة
عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كأنه نثر وسرعة التثناة يمينا وشمالا كأنه قرد وعدم فهمه
لما يسمع وقلة التثناة الى من يعظه وينصحه كأنه أحمق ومن شؤم الغضب وعظم بليته انه
قد يقتل النفوس ويسلب الروح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك انه وقع بينه وبين
أخيه سليمان كلام فجعل عليه سليمان فقال يا من يلحق أمه ففتح فاه ليحييه واذا بجذبه عمر بن
عبد العزيز فامسك على فيه وردت كلمته وقال يا ابن عبد الملك اخوك وامامك وله السر عليك
فقال يا أبا حفص قلتنى قال وما صنعت بك قال رددت في جوفى أحر من الجمر ومال بلحبه فمات
واهمرى انه يزيد على الحق (ومنها) أن يقتل من الحالة التي كان عليها الى غيرها كانت القوس
تقول اذا غضب التائب فليجلس واذا كان جالسا فليقم وبهذا المذهب كان ياخذ المأمون نفسه
(ويروى) شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطعم في القبور واعتبر بالنشور
(وكان) بعض ملوك الطوائف اذا غضب التي بين يديه فماتت تراب الملوك فيزول غضبه
(وكان) عكرمة يقول في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعنى اذا غضبت فانه اذا ذكر الله
خاف منه فيزول غضبه (وفى) التوراة يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب
ولا تحمقك فين الحق (ومنها) أن يذكرك نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند أبا حفصه
ووصفهم لقابحه وطيشه وسخفه فيكون ذلك سببا لزال غيظه (ومنها) أن يذكرك انعطاف
القلب عليه وانطلاق الاسنة بالشئاء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان

السفهاء ذل وشين (روى) أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل
بعضوا إلا عزاً فاعفوا بعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكرك قدرة الله لم يستعمل قدرته
في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك القروس كتاباً ودفعه إلى وزيره وقال له إذا غضبت فناد لي فيه
وفيه مكتوب مالك والغضب انما أنت بشر ارحم من في الأرض يرحل من في السماء (وكان)
معاوية كثيراً ما يشد

انا اذا ما لمت دواعي الهوى * وانصت السامع للقتال
واعلم الناس بألباسهم * تقضى بحكم عادل فاضل
تخاف أن تسفه احلامنا * فتخمل الدهر مع الخامل
(وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضى إلى ذلة العذر وقال الشاعر
واذا ما اعترتك في الغضب العزة فاذا كرت ذل الاعتذار

وقال غيره

زورنا على غير القوا حش قصنا * ولم يستجز الا الذي هو أجور
(وقال) عبد الله بن مسلم بن محارب له روى الرشيد يداً أمير المؤمنين أسألك بالذي انت بين يديه
أذل مني بين يديك وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعاذني لما ذكره
قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث ان الله
قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمره
ابراهيم بن المهدي وكان مع أخيه عليه اني شاورت في أمرك فأشاروا علي بقتلك الا اني
وجدت قدرك فوق ذنبك فكفرت القتل للأزم حرمتك فقال يا أمير المؤمنين ان المشير أشار
بما جرت به العادة في السياسة الا انك آيت ان تطالب النصر الامن حيث عودته من العفو فان
عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا تطير لك وأنشأ يقول

البري منك وطا العذر عندك لي * بما عفوت فلم تعذل ولم تلم

وقام عليك بي فاحتج عندك لي * مقام شاهد عدل غير منهم

(وقال) بعض الحكماء الغضب على من لا تملك بحسز وعلى من تملك لؤم (ومنها) أن يتذكر
ما يؤل إليه الغضب من الندم ومذلة الانتقام وشروع القصاص في بدنه بين يدي من لا يرجعه
فان ذلك مما يرده من الغضب

(الباب الثالثون في الجود والسخاء وهذه الخصلة الجليل قدرها العظمى موقعها
الشريف مواردها ومصدرها) *

وهي إحدى قواعد الملكية وأساسها وتاجها وجمالها تغزلها الوجوه وتذل لها الرقاب
وتخضع لها الجبابرة ويستترق بها الاحرار ويستمال بها الاعداء ويستكفر بها الاولياء
ويحسن بها الثناء ويهلك بها القرباء والبعداء ويسود بها في غير عساثرهم الغرباء (وهذه)
الخصلة بالعزائم الواجبات أشبه منها بالجمال والتمتات وكم قد رأينا من كافر ترك دينه والتزم
دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا ناله وكم قد سمعنا من مسلم ارتدى أرض الشرك
اقتناعاً لا يسير من عرض الدنيا واخلى بخصلة يتركها الانسان دينه الذي سذل دونه نفسه

أن تكون جليلة القدر عظيمة الخطر وأخرج خلق الله إليها فقرهم إلى عطف القلوب عليه
 وصرف الوجوه إليه وهم الملوكة والولادة (واعلموا) يامعشر من وسع الله عليه دنياه واسمخ
 عليه آلامه ونعماته أنه ليس في الجنة لا وحيد بكلمة لا تدخل الجنة سقوطا رضة وإنما
 استت الجنة على ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين (وهذه) الخصلة أعنى الكرم والجود
 والسخاء والائثار بمعنى واحد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم
 ولا يوصف بالعقل لعدم التوقف (وسبقة) الجود هي أن لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء
 هو الرتبة الأولى ثم الجود ثم الايثار فمن أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء
 ومن بذل الاكبر فهو صاحب جود ومن أثر غيره بالمسانة وبني هو في مقاساة الضر
 فهو صاحب ايثار (قال) ذواتون بداية السخاء أن تسخون نفسك بما في يديك ونهايتهم
 أن تسخون نفسك في أيدي الناس وان لا تبالي من كل الدنيا (وتذكر) قوم من الزهاد
 عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فتأت رابعة من أحب شيئا أكثر
 من ذكره وأصل السخاء هو السماحة وان يؤتى ما يؤت به من طيبة نفس (وقد يكون) المعطى
 بخيلا اذا صعب عليه البذل والمسدك خيلا اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع واهذ
 قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والاعمال
 في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تتخذ عن فالما كول للبدن والموهوب
 للمعاد والمتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
 (قال) أبوه ربه رضى الله عنه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
 الله اني جائع ناظم في بيت النبي صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فقتلن والذي بعثك بالحق
 ما عندنا الا الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من
 يضيف هذا هذه الليلة رزقه الله فقال رجل من الانصار أنا يا رسول الله خذني الى منزله وقال
 لاهله هذا يضيف النبي صلى الله عليه وسلم فأكرمه ولا تدخرى عنه شيئا فتأت ما عندنا الا قوت
 الصبية فقال قومي فعلمهم عن قوتهم حتى بناء وانهم أسرجوا وبرزوا فاذا أخذ النيف يا كل
 قومي كأنك تصليطين السراج فأطعته وتعالى فمضغ السمتنا يضيف النبي صلى الله عليه وسلم
 ففعلت وجهه لا يصفان السمتما والضيف يظن أنهم مائبا كلان وبانطاوين فلما أصبحوا
 ونظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلان هذه الليلة
 وزات ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) أنس اهدى لبعضر
 الصبيابة رأس شاة مشوية وكان مجهودا فوجهه به الى جاره فوجهه به الجار الى أهل بيت آخر
 فتداولته سبعة آيات حتى عاد الى الازل فتزات ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة
 العدوي انما لقت يوم اليرموك أطلب ابن عسلى ومعنى شئ من ماء وأنا قول ان كان به روق
 سبعة فاذا أتاه بين القسملتي فقلت أسقيك فاذا رجل يقول آفاشار ابن عى ان انطلق اليه
 فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع آخر يقول آفاشار هشام أن انطلق اليه فتمته
 فاذا هو قدمات ثم رجعت الى هشام فوجهه به قدمته ثم رجعت الى ابن عى فاذا هو قدمات
 (وزون) عائشة رضى الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله

قريب من الناس بعيد من النار والنجيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والجاهل
 السخي احب الى الله من العابد الجليل (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم
 اغسلك من ماله ما كالت فاقبته أو ابست فأبليت أو اعطيت فامضيت (واعلم) ان السخاء
 على وجوه سخاء في الدين وسخاء في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والابشار وسخاءة
 النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار
 وبغض جمع المال وقعا هذا الاخوان مسرورا قلبه بذلك والسخاء في الدين ان تسخو بنفسك
 أن يتلقها الله تعالى وتريق دمك في الله سخاءة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا
 وان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على
 الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تتحدر لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي
 الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجبل الكريم المجالس من جالسه
 الحسن الخلق لمن جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوم الجالس له من أفضل الناس عيشا
 وانهمهم بالاواكرهمهم طبعا وأجلهمهم في النفوس قدر فسكت القوم فقال في ابنت الاعم
 أفضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان أرضا
 بسبع مائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقة اغري بالله
 ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما أصبح عنده منها درهم (وكان) أسماء بن خارجة يقول
 ما أحب ان ارد أحد اعداء حاجة لانه ان كان كريما صون عرضه وان كان اثيما صون عنه
 عرضي (وكان) مروان العجلي يتلطف في ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم ألف
 درهم ويقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم أنهم منهل في حل (وقال) العقبى أعطى
 الحكم بن عبد المطلب جميع ما يملكه فلما قدمه عنده ركب فرسه وأخذ رحله يريد الغزو ومات
 بمنجى فآخبرني رجل من أهل منجى قال قدم علينا الحكم وهو ملق لاشئ معه فآخذنا قليل كعب
 أغصناكم وهو ملق فقال ما أغصنا بجمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا
 واكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا
 ما أعطى يمكن كذا وكذا وقد أعطيت به ستمائة ألف درهم راح بالمال الى العشي فان شئت
 فالمال وان شئت فالخائط (وروى) ان رجلا بعث الى حنظلة بجارية فوافقه بين أصحابه
 وقال قبيح ان آخذها انفسى وأنتم حضوروا كره ان اخص بها واحدا منكم وكلتكم له حق
 وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانية رجال فأمر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف
 (وقيل) لقيس بن مدهل رأيت قطا سخي منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فخرز وجهها
 فقالت انه نزل بك ضيافا فآذنتك فخرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاءها أخرى وبخرها
 وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي فخرت الباسخة الا اليسير فقال اني لا اظم أضيا في الفاقث
 فآخذنا عنه اياما والسما قطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في
 يده وقلنا للمرأة اعتدري لنا منه ووضينا فلما منع النهار اذا برجل يصيح خلفنا فاقفوا أيها
 الركب اللثام اعطيتوني عن القرى ثم انه طعننا وقال لناخذونم والاطعنتمكم برحى فاخذناها
 وانصرف (وقال) ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بالاشئ فليصعب أهل القبور

(وقال) ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاثة تجميعه وتصغيره وسره فاذا جمعه فقد هدناه
واذا صغره فقد عظمه واذا سره فقد تسمه (وقال) الحسن كان احدهم يشق افراجه لاخته
ينصفين (وقال) المغيرة في كل شيء سرف الا في المعروف (وقيل) للحسن بن سهل لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ونظمه محمد بن حازم فقال
لا الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا الخفاء في طاعة سرف
مالك الاثنى تقدمه * وصل شي آخرته تلف

* واما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلمحات وانا سمي بهذا الاسم لانه كان
عظيم البذل في كل وجه وكان يتباع الرقاب فبعتهما وكان كل معتنق يولاه ولولا ذكر سماه طلحة
فبلغ عددهم ألف رجل كل يسمى طلحة فسمي طلحة الطلمحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر
نصر الله اعظماء فنوها * بسجستان طلحة الطلمحات

فقد بلغه ان معلمه كان في الكتاب بالجاز قد قعده الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة ألف قتال سلها
اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الي ولده وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافقته الرسول
قدمات ولم يعقب ففرقها في قومه (وقال) زيد بن اسلم وكان من الخاشعير يا ابن آدم امرك الله ان
تكون كريما وتدخل الجنة ونهالك ان تكون ثيما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حرام
ما اصبحت قط صبا حالم اري بابي طالب حاجته الا عدت ماصيبة ارجو نوابها (ولما) مات
وجد عليه مائتا ألف دينار ووجد مكتوبا على حجر انتز الفرس عند امكانها ولا تحمل على
نفسك هم ما لم ياتك * واعلم ان تقيرك على نفسك توفير خزانة غيرك فكم من جامع لبعل
حليته (وقال) علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما جعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه
خازن لغيرك (وروي) مالك في الموطان - كنياسا لعائشة وهي مائة ولبس في بيتها الارغيف
فقالت لولادة اها اعطيه اياه فقات ليس لانا فطرين عليه فقات اعطيه اياه ففعلت فلما امت
أهدى لها أهل بيت شاة وكنتها يعني ملفوفة بالزعفران فقات لى عائشة كل هذا خمر من قرصك
(وقال) عبد الله بن عمر ما كان أحدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل
شيا (وقال) الحسن كان عند البخیل من يقرض أخاه الدرهم (ومن جهات) ما روي في الاشارة
ما ذكره أبو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر وظن المسلمون ان النصارى أحرقوه
فأحرقوا خاناهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رعاها فيما القتل وفيها
القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فن وقعت عليه رقعة فعلم به ما فيها فوقت رقعة فيها القتل بيد
رجل فقال ما كنت أبالي لولا ألمي وكان يجانبه بعض النسيان فقال له في رقعة في الجلد وليست لي
أم فادفع الي رقعتك وخذ رقعتي ففعلوا قتل ذلك وتخلص هذا (وحكى) ان أبا العباس
الاطاكي اجتمع عنده سيف وثمانون رجلا بقرية يترب الرى ولهم رغبة لم تسع جميعهم
فكسروا الرغقان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام الى أن كفوا فلما رفع اذا الطعام بجاله
لم يأكل منه واحد منهم ايشارا لصاحبه على نفسه (وروي) انه اجتمع بالملحة جماعة من ارباب
القلوب فحضر طبق فيه تين اخضر وقد غسق الليل فكان الواحد يديه فاذا ظفر بجبة حصرم
بالكلها وان ظفر بطيب دفعه الى صاحبه ولما كاه فلما رفع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم يأكلوا

منه شياً (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد هوى من الشيا
فقات يا بانصر الناس يزيدون الشيا في مثل هذا اليوم وانت تنقص فقال ذكرت الفقراء
وما هم فيه ولم يكن لي ما اواسيهم به فاردت ان ارافقهم بنفسي في مقاساة البرد (وقال) الاستاذ
ابو علي الماسعي غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة امر بضرب أعناقهم فاما الخليفة فانه
نسى تر بالندقة وكان يقف على مذهب ابي نور واما الشحام والرقام والنوري وجاعة فتبض
عليهم وبسط الناع لضرب أعناقهم فتقدم النوري أمامهم فقال له السيف اندري لماذا تقدم
وتسابق قال نعم قال وماذا يجعلك قال أوترا صحابي بجية ساعة فحبر السيف واتى الخبير الى
الخليفة فدرهم الى القاضي ليعرف حالهم فالتى القاضي على أبي الحسن النوري مسائل فقهية
فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان الله عبادة اذا قاموا قاموا بالله واذا انطقوا انطقوا بالله وسرد
الفاظا حتى أبكى القاضي فأرسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فمالي وجه الارض
مسلم (ولما) مرض قيس بن سعد بن عباد استبطأ اخوانه في العبادة فسأل عنهم فقال انهم
يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخرى الله ما لا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مري نادی
من كان اقبس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة باب العشي لكثرة العواد (ويروي)
ان عبد الله بن جعفر وكان أحد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على فصيل قوم وفيهم غلام اسود
يقوم عليهم فاقوه بثلاثة أقراص ودخل كلب ودنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم
آثر هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جاعا فأكراه رده قال فما
أنت صانع اليوم قال أطوى بوي هذا قال عبد الله بن جعفر ألام على السقاء وهذا أصغى مني
فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهب ذلك (وقال) النوري
رأيت محمد بن سوفة بالعادة صاحب مائة ألف وبالعشي سألناه من أصحابه خبيرة (وقال) أبو عبد
الرحمن دخل أبو عبد الله الروذباري الى دار بعض أصحابه فوجد غائباً وهناك بيت مقفل
فكسر القفل وأمر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانقذوه الى السوق فباعوه وأصلحوه وقتنا
من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئاً فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت
يتساورت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا أيضاً من بجلة المتاع فبيعوه فقال زوجها لم تكلف
هذا باختيار ولا فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يا سطلنا ويحكم علينا ويقي أماني ثم خذ عنه (ولما)
عبد الملك بن جعفر ثوب خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لأسأل
لاخواني الجنة في صلاتي ولا يجزل عليهم بحد الى (ويروي) ان الاشعث بن قيس ارسل
الى عدي بن حاتم يستعيره فقدمه قدورا كانت لاسيه حاتم فلا هوا به ثم اليه وقال انا لا نعبرها
فارغة (وقال) بزرجه رلا عزائبت اركانا ولا أبذخ ببناءنا من يث الكرم واكتساب الشكر
وذلك أن عزالتهم بالغفيل الجليل باقى قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف
فقد ظفر بمن نأوا وريح الشكر والثواب (ويروي) ان عبد الله بن أبي بكر وكان أحد
الاجواد عطش يوماً في طريقه فالتقى من منزل امرأه فاخر جت كوزا وقامت خلف الباب
وقالت تصوا عن الباب ولما أخذ بعض علمائكم فاني امرأته من العرب مات زوجي منذ أيام

فشرب عبد الله وقال يا غلام اجعل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخرني فقال يا غلام
اجعل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العاقبة فقال يا غلام اجعل اليها ثلاثين ألفا فقالت أف
لأن فعمل اليها ثلاثين ألف درهم قما أمت حتى كثر خطاها (وقال) بعض الرواة قصد رجل
الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال أربعمائة درهم على دين فدخل
الدار وأخرجها اليه ثم دخل الدار باكتفا قالت له امرأته هلاقت حين شقت عليك الاجابة
قال انما أبكى لاني لم أتعقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي (وقال) أكرمتم من صبي صاحب
المعروف لا يقع فان وقع وجدته كما (وقال) الفضيل ما كانوا يدون القرص معروف (وبروي)
عن امرأته من المتعبدات انها قالت لحبان بن هلال وهو في جماعة من أصحابه ما السخاء عنكم قال
البذل والابتزاز قالت غا السخاء في الدين قال أن تعبدى الله تعالى بخفية به نفسك غير مكروه قالت
أقتريدون على ذلك جراء قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة بعشر امثالها قالت فاذا اعطيتكم
واحدة وأخذتم عشر افأى شئ خفيتم به وانما السخاء أن تعبدوا الله تعالى متنعين متلذذين
بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا ألا تستحيون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منهم انهم اتريد
شأ بشئ (وقالت) بعض المتعبدات لبعض المتعبدين أظن السخاء في الدنيا والدرهم فقط
انما السخاء في بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) أبو بكر الدقاق وليس السخاء ان يعطى الواحد
المعدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواحد (وقال) الشيخ ابو عبد الرحمن كان الاساذ أبو سهل
الصعلوكي من الاجواد لم يكن يتاول احدا شيئا يده وانما كان يطرده على الارض فيتناوله
الا تخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من ان يرى من اجلها يدي فوق يد أخرى وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ يوما في صحن داره
فدخل عليه انسان وسأله شيئا فلم يحضره شئ فقال اصبر حتى أفرغ فلما فرغ قال خذ القمعة
واخرج فلما خرج وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان وأخذ القمعة فشوا خلقه فلم يدركوه
وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل (وفي معناه قال الشاعر)

ملا تيدي من الدنيا مرارا * فطامع العواذل في اقصادي

ولا وجبت علي زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

(وكان) أبو مرثد أحد الكرام قد حبه بعض الشعراء فقال ما عندي ما أعطيك ولكن قد مني الى
القاضي وادع علي عشرة آلاف درهم حتى أقولك بها ثم احببني فان أهلي لا يتركونني مبهرجنا
فقال ذلك فلم يمسوا حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جبر رأيت طلحة بن عبيد
الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط أنذاره يده (ولما) دخل المنكدر على عائشة رضي الله
عنها قال لها يا أم المؤمنين اصباحي فاقه فقالت ما عندي شئ فلو كانت عندي عشرة آلاف لبعثت
بها اليك فلما خرج من عندها جاءته عشرة آلاف من عندها خالد بن أسيد فارسلت بها في أثره
فاشتري جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا اعباد المدينة محمد وأبو بكر وعمر بنو
المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جبر بن يزيد في دار المطاب فجاء انسان يسأله فقال للغلام
اذهب الى الجوارى فقل لهن من أراد منهن ان تصبغ ثيابها فلقبعت بها فجاء الغلام ثياب
كثيرة فقال للسائل خذها (وقال الاصبغي) كانت جرت سرب بالبادية ثم انصابت بالبصرة

فتفارق الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبهشت وأما غلام
الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فاذن لي فأذاه عليه شمله يخطب نوى لغزله
حلوب تخبرته بمجتمع القوم فأهل حتى أكلت العنبر ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدا بفاتته
بزيت وعرق قال فدعاني فقدرته أن أكل معه حتى إذا قضى من أكله حاجته وثب الى طين ملقى
في الدار فغسل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقني ماء فأتته بماء فشر به ومسح فضله على وجهه
ثم قال الحمد لله ماء القرات بقر البصرة بزيت الشام متى نؤذي شكر هذه النعم ثم قال على برداني
فاتمه برداء عدي في فارتدي به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقبها حاله فدخل
المسجد وصلى ركعتين ومشي الى القوم فلم يبق حبوة الا حلت اعظامه ثم جلس فتحمل ما كان
بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد القمي لما سجن يعطى كل يوم
السجبان ديناراً فاستكفراه أصحابه واكلوه في ذلك فقال لهم - فخص بن عمارة سمعت سفيان الثوري
يقول اذا كحل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر به لول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك
بالله أنت سمعته يقول هذا خلق بالله لقد سمعته يقول (وقال الشاعر)

ذريني أكن للعالم ربا ولا يكن * لي المال ربا تحمدى غبه غدا

أريني جوادا مات هزلا لعلى * أرى ما ترى أو يجيلا غملا

(وكان) عبد الله بن أبي بكر يفتق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره
وأربعين امامه وأربعين خلفه ويعد الهمم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد
مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة الاف فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابة
اجلوا على دابته الى داره (وقال عبد الله بن زهير) *

وعاذلة تخشى الردى أن يصيبني * نروح ونغدو بالملامة والقسم

تقول هلكتا ان هلكنا وانما * على الله اوزاق العباد كما زعم

واني احب الخلد لو أستطيعه * وكلنا عندى أن أموت ولم ألم

(وروى) ان اعرابيا قدم على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين الى اليك حاجة
الحياة يعني أن اذكرها قال فخطها في الارض فخط في الارض اني فقير فقال اغلامه يا قنبرا كسه
حلق فكساه الحلة فقال

كسوفنى حلة تبلى محاسنها * فسوف اكسولن من حسن الناحللا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداء السهل والجبلا

ان نلت حسن ثناء نلت مكرومة * لا تبغين بما قد نلت به بدلا

لا ترهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي في هلا

قال علي زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولي الاعرابي قال قنبرا يا امير المؤمنين لو نزلت في المسلمين
لا صلت بهم ان شأهم فقال له يا قنبرا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن
اثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وقال) مطرف بن النخعي اذا اراد أحدكم مني حاجة
فلا يرهها في رقعة فاني اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة (قري) على القاضي أبي الوليد وأنا اسمع
وأمره بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حيت سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى • بحب لاله في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله • فأكرمت نفسي أن يقال ببخل
ومن خد برحالات الفتي لوعلمته • إذا نال خديراً أن يكون نبيل
* (ولعمرو بن الوردي) *

واني امرؤ عافى أنا في شركة • واني امرؤ عافى أنا في واحد
اتضحك مني أن سمعت وأنت ترى • يجيئني شعوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسيم كثيرة • واحد سوق راح الماء والماء بارد
(وقال) بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام
وسخاؤها بما ملكك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه (وروي) أنه كان عند
الهملول بن راشد طعام فغلا السعير فأمر به فبيع له ثم أمر أن يشتري له ربع القدر فقبل له
نبيع وتشترى يقال فنروح إذا فرح الناس ويحزن كما حزنوا (ولهم حاتم طي فقال)
لعمري لقد مضى الجوع عضة • فاليك أن لا أسمع الدهر جاعاً
فقلوا لهذا اللام الآن أعفني • فإن أنت لم تستطع فعض الأصابع
فهو لي مازون الآن الأطيعة • فكيف يستركي يا ابن أم الطبايع
* (وقال آخر) *

أصون عرضي بما لي لأذنيه • لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال أن أودي فأجعه • وليست للعرض أن أودي بمحتال

(ويروي) أن رجلاً سأل الحسن بن علي رضي الله عنه شيئاً فأعطاه خسين ألف درهم وخمسة مائة
دينار وقال أنت بجمال يحمد لك فأتاه بجمال فأعطاه طيلة أنه وقال يكون كراء الجمال من قبلي
(ويروي) أن الليث بن سعد سأله امرأته مكرجة عسل فأمر لها بريق عسل فقيل له في ذلك فقال
انها سألت علي قدر حاجتها ونحن نعطى ما على قدر نعمتنا (وروي) أن رجلاً استضاف لعبد الله بن
عامر بن كريز فلما أراد الرجل أن يرتحل لم يعنه غلماناه فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون
من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

إذا ترحت عن قوم وقد قدروا • أن لا تشارقهم فالراجلون هم

• * (الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما) *

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل • كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن أعوذ بك
من شح نفسي وأمر أباها وأوساها (وروي) جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فإن
الشح أهلك من كان قبلكم حلهم على أن سقوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم ما نزلوا
فقالوا الشح أشد من البخل فإن البخل أكثر ما يقال في النقة وأما كما قال الله تعالى
سبطون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه وقال تعالى في
الشح أشد على الخبير أولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
فالشح يعني على الكرازة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر
ليس الشح أن يمنع الرجل ماله وإنما الشح أن يطعم فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك من

النفس عافى ايدي الناس أفضل من قضاء النفس بالبذل (وقال) رجل لابن مسعود اني أخاف ان أكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وانار رجل شمع لا يكاد ان يخرج من يدي شي فقال له ابن مسعود هذا اليس بالشمع الذي ذكره الله تعالى فانه أرى كل مال أخيك ظلموا ولكن ذلك البخل وبش الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى (وقال) ابن عباس الشح أن يجمع هواء فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح ان يبخل المرء بما في ايدي الناس والبخل ان يبخل بما في يديه (وروى) أنس ان النبي عليه الصلاة والسلام قال برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الصنف واعطى في الثأب (وقال) ابن زيد من لم يأخذ شيئاً الله عنه ولم يدعه الشح الى ان يجمع شيئاً أمر الله به فقد رماه شح نفسه (وقال) أبو اسحاق الاسدي رأيت رجلاً في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد علي ذلك شيئاً فسأته عن ذلك فقال اذا وقبت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيئاً يكرهه الله تعالى واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله أن لا يتخلف ولا ينشب وهذا هو التصديق بما تكفل الله به ويطلق الخلل والامتناع الى جميع الامور بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في ترك معاونة ثم والنصح لهم (وقال) كسرى لا صحابه أي شيء أضرب ابن آدم قالوا الفسقة فقال كسرى الشح أضرم من الفقر لان التقير اذا وجد اتسع والشح لا يتسع أبداً ولما قدم الشافعي من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشتري بها ضيعة فضر ب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما ساء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء (ولما) قربت وفاته قال مروافلاً نأبغسلني وكان الرجل غائباً فلما قدم اخبر بذلك فعاينته فوجده عليه سبعين ألف درهم ديناراً فقصاها وقال هذا غسلي اياه (وروى) ان رجلاً اراد ان يؤذي عبداً لله بن عباس فأتى بوجه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تخدو اليوم عندي فأتوه فخلوا الدار فقال ما هذا فاخبروا فامر ان تشتري القوا كفي الوقت وامر بالخبر والطبخ فاصلى القرى فلما فرغ قال لو كلاته أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليغدهوا لكاهم كل يوم عندنا * ومن الخصال الجارية تجري الكمال والجمال ولعلها من الاصول الصبر

(الباب الثاني والثلاثون في الصبر)

الصبر زمام سائر الخصال وزعيم الغنى والفقير وملاك كل فضيلة وبه يتال كل خير ومكرمة قال الله تعالى وتمت كل ربك الحسنى على بن امير اتبل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فحظهم وغنائف الدين ذكر الله ورسوله بما عملوا ما ان اقامها الا الله برفاقه بغير حساب وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا المصابروا قبل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد علم أنك بصديق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد علم انه لا يجزيك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن المظالمين بايات الله يجمعون وقال تعالى ولتسعين من الذين أووا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيرا ثم هداهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتمتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الامور والمكابر وعن التواهي والمعاصي الا ترى ان أهل الجنة نودوا فقبل لهم سلام عليهم بما صبرتم فتم عقبي الدار فاخبر الله تعالى انه انابهم جنته به بصرهم يعني صبرتم على

طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والأشى أي احبس نفسك الآية فمن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في
الملمات والرفق عند النوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود
من صبر علينا وصل اليانا (وقال) سفيان بلغنا ان لكل شئ غمرة وغرة الصبر الظن قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الإصلاح على
الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا وعدوكم ورابطوا فيه قولان قيل
رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدمى على ما يحيط الله به الخطا ويرفع به الدرجات قالوا بلى
يا رسول الله قال اسبغ الوضوء عند المسكاه وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد
الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى واذا بلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال
ابن تيمية بالكو كعبه فصبروا بآلما بذيح ابنه فصبروا وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان
الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولاً عظيماً يحمل تقسيمه مع الصابرين دون الصائين
وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يكن عندى من خير قل أخره عنكم ومن يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغفه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر
(وقال ابن مسعود) قدم النبي صلى الله عليه وسلم قمماً فقال رجل من الانصار والله انهم القسمة
ما أريد بها وجهه الله فخيرت النبي عليه الصلاة والسلام فتقربا به وتغير وجهه وغضب حتى
وددت انى لم أكن أخبرته ثم قال قد أودى موسى بأكر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه
الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها انى الله واصبرى فقالت اليك عنى فانك لم
تصب بمثل مصيبتى فلما قيل لها هذا رسول الله جاءت اليه فتذرا ثم لم تعرفه وقالت ما صبر فقال
النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحفل هذا الحديث وجهين اما
الطائفة فقال معناه ان الصبر المأمور عند اول نزول المصيبة ردة فانك بالجزع واما القابضة
فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليم الكل
من فاته الصبر به هول أو نسب ان أو غلبة (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان
فقال الصبر والسماحة (وفي منشور الحكم) قالت الصفة بالاحقة بارض المغرب قال الجوع
وأنا معك قال الايمان انالاحق بارض الحجاز قال الصبر أنا معك قال الملك انالاحق بارض
العراق قال الفتك أنا معك (واعلم) ان العجالة خرن ومخرجها من قلة القتل واخرق من ذلك
التقريب في الامر بهد النذرة ومثل ذلك كالتقدي على النار ان كان ماؤه قليلا غلت يديه
من السراوان كانت عملاً لم تغل حتى تكثرت نارها وطول مدتها وفي كتاب جابريان خردوايس
للجهم كتاب مثله قال محرم على السامع تكذيب القائل الاثني ثلاث من غير الحق صبر الجاهل
على مضض المصيبة وعاقلة بغض من أحسن اليه وحماة أحببت كنة

*(فصل) * واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب له بد وصبر على ما ليس بكسب
فالصبر على الكسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على
ما ليس بكسب له بعد فكسبه على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيها له فيه مشقة وينقسم

من وجه آخر على أربعة أقسام فأول أقسامه وأولها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتهاز عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو نقضت أوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل مله وعند كل أمة مؤمنة أو كافرة (وقال كثر بن صبيح) من صبر ظفر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الصبر مطية لا تمكبو والتناعة سيف لا يفتبو (وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) افضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم اسمع اعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت ايهم اركبت (وقال) بعض الحكماء الصبر على مواقع المكروه تدرك الخطو (وقال) ابن المقفع في كتاب اليتيم الصبر صبران فالثام صبرا جساما والكرام صبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوى الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الخير ولكن ان يكون للنفس غلوا بالامور ومحفلا بطنائه عند الحفاظ مرتبطا (وفي مشور الحكمة) من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبرا (وقال) بزرجه لم اظهر اعملى تنزل الدول كالصبر ولا مذلا للساد كالجمول ولا مكسبة لادجال كتوق المزاج ولا محلبة للمقت كالاعجاب ولا متلفة للمروءة كاستعمال الهزل في وضع الجهد (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال اوامر الله تعالى والانتهاز عن محاربه فيه بضع اداء القرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعيمص (وكان حبيب بن ابي حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا ثم العبد انه أو اب بكى ثم قال واجباه اعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليهما وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيئا صبر على التراب منه وصبر عند الكراهية لما يجد من ضرره ومن رجاشه صبر على طلبه ليطفر به (واما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو نقضت أوقاته من مصيبة فانه يتجمل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طاعة استراح واحرز الثواب وان لم يصبر جمل الهم والوزر (وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان نصبر في أبواب الله تعالى خلف من ابتك ان نصبر على عليك القلم وأنت ماجور وان جوعت جري عليك القلم وأنت مأزور ونظامه أبو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعت * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أصبحت للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلوا المآثم
خلقنا رجالا للجلد والعزاة * وتلك الايامي للبكا والمآثم

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضي امر الله وكنت ماجورا وان
جزعت مضي امر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كلفنا الجزع ما قناه فالحمد لله
الذي اجبرنا على ما لوئها ناعنه لصرنا اليه وعن هذا قالت الحكيمة الجزع اتعب من الصبر في
الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والابر ولو صورا الصبر والجزع لكان الصبر احسن
صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع اقبح صورة واخور طبيعة ولكن الصبر أولاها بالغبلة
لحسن الخلقة وبرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع للبعوا الى الصبر (وقال)
شبيب بن شيبه للمهدي ان المرء احق ما صبر عليه ما لم يجد سبيلا الى دفعه وأنشد
• واذا تصبكت مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر
• (وقال آخر) *

وعوضت أجر من فتيد فلا تكن * فتبدل لا ياتي واجرك يذهب
(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التلهف على فانت أو أكثر الفرح عند
مستطرق (وقال) الحكميم ان كنت جازعا على ما انت من يدك فاجزع على ما لم يصل اليك
ومن ايقن ان كل فانت الى نقصان حسن عزائه عند نزول القضاء (وقال الشاعر)
اذ اطال بالهمزون أيام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر
ولاشك ان الصبر يحمد مدغمه * ولكن انشاق عليه من العمر
(وقال بعض القدماء) الصبر على أربع مراتب على الشوق والاشتاق والزهد والتقرب
فن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن الهرمات ومن زهد في
الدينامهاون بالمصيبات ومن راقب الموت أقصر عن الخطيئات (واما القسم الثالث) وهو
الصبر فيما ينظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يهاونها فبالصبر والتلف
تدفع عادية ما يخاف ويثاب نفع ما يرجو (قال) النبي عليه السلام انتظروا الشرج من الله بالصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)

ان الامور اذا اشتدت مسالكها * فالصبر يقع منها كل ما رجا
لا يتأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بنى الصبر ان يحظى بجاهته * ومد من القرع للابواب ان يلجا
(وقال بعض الرواة) دخلت مدينة يقال لها ذفار فيينا انا اطرف في خرابها اذ رأيت مكتوبا
على قصر خراب

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغسرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في مثل * عند الايام فابن الله والقدر
ثم للخطوب اذا احداثم اطرقت * واصبر فقد فاز اقوام بالصبروا
فكل ضيق سياتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(وتحمته ~~توب~~ بفتح آخر) لو كان كل من صبر اعقب الظفر صبرت ولكنا نجد الصبر في العاجل يغني العمر ويدني من القبر وما كان أصح لذى العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيت له لكتبته تحمته في الصبر استبجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأبر بغير حساب وفي الجزع استبجال الهم ونهم البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الأثم مع العقوبة وما أحسن بذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المني ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير * وكل شر به يهون

اصبر وان طال الليالي * فربما ساعد الحرون

وربما يسيل بالصغار * ما قيل هيئات لا يكون

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أنعم الله على عبده نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا إلا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه وقرأ أنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) أن جارية كانت لابي بن ابي طالب رضى الله عنه تنصرف في حوائجها فكلما خرجت تصدى لها أخياط كان يقرب دابرا على ويقول لها والله اني لأحبك الله فلما أكثر من ذلك شكته الى علي فقال لها على اذا قال لك مرة أخرى فقول له والله اني لأحبك ما الذي تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وأنا والله احبك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب فرجعت الجارية واخبرت ولا هافد عا على رضى الله عنه الخياط فوجد أمره على الصحة فوهبها له مع نفقة يستعين بها (وقال) على رضى الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والتوكل لا يحبطه والعاقل لا يذل بأقل نكبة ولا يفرح بأقل رفعة وكان يقال الصبر سلامة والعيش ندامة (واما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفخ وجوه الأراء وتنويع مكاييد الأعداء قال الله تعالى ونمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الأمور وروى ابن عباس ان النبي عليه السلام قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكبر واليسر مع العسر (وقال على رضى الله عنه) الصبر مناضل الحدقان والجزع من أعوان الزمان * وقال الحكميم مفتاح عزيمة الصبر تعالج مغالبات الأمور (وانشدوا)

انما اجرع مما أتق * فاذا حل فمالي والجزع

ولما حبس ابو ايوب في الحبس خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقله صبره فرد عليه جواب رفعة

صبر ابا ايوب صبر مبرح * فاذا عجزت عن الخطوب ثن لها

ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك حلها

صبرا فان الصبر يعقب راحة * فلعلها أن تبجلي ولعلها *

فلما وقف عليها ابو ايوب كتب اليه

صبرتني ووعظتني فانالها * وستبجلي بل لا أقول لعلها

ويجملها من كان صاحب عقدها * كرمها به اذ كان يملك حلها
فما لبث بعد ذلك الا يا ما حتى اطلق مكرما (ولقيم بن المعز)
ساكت صبرا واحتيافا فاني * ارى الصبر يغاليس فيه فلول
عذابي ان اشكو الى الناس اني * عليل ومن اشكو اليه عليل
وان الذي يشكو الى غير نافع * ويسهو بما في نفسه الجهول
(وانشدوا) دع الدهر يجري بأقداره * وبفضي عجايب أوطاره
ونومة عن ولادة الامور * وخل الزمان بتدواره
فانك ترحم من قد غبطت * وتحب من قبح آثاره
(وانشدني بعضهم)

وينبغي الشكوى الى الناس اني * عليل ومن اشكو اليه عليل
وينبغي الشكوى الى الله أنه * عليم بما القاه قبيل أقول
ولا تخز اذا ابلت فتق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلى هو الله
الباس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تياسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرة * مالا مرئ حيلة فيما قضى الله
وسرف من هذه الانظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر من صبر في الله على المكاره
فتاوه بهجز وتاره يصبر والصابر من لا يشكو ولا يهجز والصابر الذي لودفع عليه جميع البلايا
والحن لم يغير وجهه في الحسنة وان تغير من وجهه الرسم والبشرية والخلافة كما قال القائل
صابر الصبر فاستعاض به الصبر * وفصاح الصبور يا صبر صبرا
وهذا اقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل

صبرت على الايام صبرا صارني * الى ان ينادي الحلال لا صبر الصبر
والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق
باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور ويقال الصبر لله غني والصبر بالله غني والصبر في الله
بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وأنشدوا

اذا اذهب الرجال بكل شيء * رأيت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عن حل مني * بمنزلة اليمين مع الشمال
وقال الحماسي بن الصبر والتصبر حالة هي التمس وذلك اذا رفع الله له علما من اعلام الاخرة فبده
على منازل الصابرين عنده فيتتم القلب بسور النعيم وقال أبو محمد الجريري الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة والحاجة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع
وجدان انك الحجة وأنشدوا

صبرت ولم أطلع هو الذي على صبري * واخفيت ما بي منك عن موضع السر
مخافة ان يشكو ضميري صابقي * الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري
وقيل للحماسي بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان في صبرك رضامولا لك اما
سمعت قول الحكيم

رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر
وفي معناه سابر كي ترضى وأنت صبر * وحسبي ان ترضى وتطيق صبرى
قال شيخنا وشكلك من محبة أعظم من شكك لنفسك هذا أيوب لما أصيب بنفسه قال مسنى
الضر ويعقوب لما أصيب بجيبه قال وأسفا على يوسف قال احمد قال لي أبو سليمان الداراني
اقدري بما اذا أزال العقلاء اللاتعة عن اساء اليهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك
فصبروا وروى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت بعدى بلائى فدعاني فطالته
بالاجابة فشكاني فقلت بعدى أرحك من شئ به أرحك وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
انه الصبر الذى لا شكوى فيه ولا يث قال أنس ما صبر من يث وقال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لا تنغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر * ولا يبعث الا حزن مثل التذكر * وعما يعين
على عظم الاسبى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المضار الذاهبة وكثرة الشكوى
والاسف وقال الشاعر

لا تنكسر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا الخلق * لا يخرج الغريق بالغريق
وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر أعظم المصيبين واعلم انه قل من صبر على شدة الالوان ما يرجوه
من فرج * وفيه نفي ان نزلت به مصيبة أو كان في شدة ان يسهلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر
ما يتقنه من وجوب القضاء وتقضى المسار فان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له وعليها بعدى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسبى من لا فقه له
من صبح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها قن حلالها حساب
وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خير ما يدوم ولا شر ما يئق ولا فيها الخلق بقاء فاذا
تصور حقيقتهم الخيبة ذرى الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر
يمثل ذو الالب في نفسه * مصائب من قبل ان تنزلا
فان نزلت بغنة لم ترعه * لما كان في نفسه منلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فصبر آخره أولا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يمدح ومن راقب لم يهلك ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم
يشعر نفسه ما ذكرنا من أحوال الدنيا وتقضى المسار ثم النوا في العبود بين اطباق التراب
والجنادل قد فارق الاحياء وهجره القرباء والبعدها القته الحوادث واقتا سلبته الصبر
وضاغت عليه الاسبى وقال ابن الرومى

ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف فهو غير مطاق
وأشدوا تهودت من الضر حتى القتسه * واسلمنى حسن العزاء الى الصبر
ووسع صدرى للادى كثرة الادى * وان كنت احيا ما يضيق به صدرى
وحسن لي ما من الناس كلهم * لعلى يصنع الله من حيث لا ادرى
ولبعض الاعراب

نعز فان الصبر بالحر أجمل * وليس هلى رب الزمان معول
فلو كان يغوى ان يرى المرء جازعا * لناسبة أو كان يغفى التبدل

لكان التعزى عند كل مصيبة * ونازلة بالخمر — رأوى وأجل
فكيف وكل لم يرعد وجماعه * ومال امرئ عما قضى الله مرحل
فان تكن الايام فينا نددات * يئوس ونعمى والحوادث تفعل
فما لذت منا قنائة صليبة * ولا ذلتنا للذى ايس يجمل
واكن وجدناها نفوسا كريمة * تحمى مالنا من طبع فتحمى
وقينا بفضل الله منا نفوسنا * ففهمنا الاعراض والناس عزل

(الباب الثالث والثلاثون فى كتمان السر)

قال الله تعالى حكايته عن يعقوب عليه السلام يائى لا تقصص رزقك على اخوتك فيكيدوا لك
كيدا فلما أفشى يوسف رؤياه بشهادة امرأته يعقوب أخبرته اخوته لعل به ما حل وفي الحديث
استعنوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من
الاحمال المهمة فى جميع الخلق ومن الوازى فى حقوق الملوك ومن الذرائض الواجبة على
الوزراء ورجال الملوك والاتباع * قال على رضى الله عنه سر لك أسيرك فاذا تكلمت به صرت
أسيره واعلم ان امانة الاسرار أشد ذرا وأقل وجودا من امانة الاموال وحفظ الاموال
أسير من كتم الاسرار فان أحرار الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحرار الاسرار بارزة
يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وعبء الاسرار أثقل من عبء الاموال وان
الرجل يستقل بالجل النقييل محمله ويعشى به ويقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون
سره فى قلبه فيلتمه من الدقاق والكرب ما لا يطقه بحمل الانتقال فاذا أذاعه استراح قلبه
وسكن جاشه وكأنما أتى عن نفسه جبلا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعى والشفاه
اقلها والالسن مفتاحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره * ومن عجب الامور ان اغلاق الدنيا
كلما كثرت خزائنها كان اوثق لها الا السرفاته كلما كثرت خزائنها كان أضعف له وكمن اظهر امره
أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطوانه قال انوشروان من حصن
سره فله تحصينه خصصت ان الظفر بجاحته والسلامة من السطوان وقال بعض الحكماء
سر لك من دمك فلا تجره فى غير اوداجك فاذا تكلمت به فقد أدركته وكان عثمان بن عفان
رضى الله عنه كاتب له يشال حمران فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدى اعيد الرحمن بن
عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى بماذا فاخبره بالخبر
فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان فقال عثمان اعاهد الله أن لا يساكننى حمران أبدا ونفاه الى
البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمان رضى الله عنه واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر
الرجال وكأنه لا خير فى آية لا تمسك ما فيها فلا خير فى انسان لا يسك سره ويروى ان رجلا
أودع سره عند رجل فقال له افهم قال بل جهات قال احفظت قال بل نسيت وقيل
لبعضهم كيف كتم السر قال اجمد الخبر واحلف للمستخبر وقال الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما شئت * منى الضلوع على الاسرار والخبر

لكن أول من يذى سر امره * اذ كنت من نشرها يوما على خطر

قال شيخنا ومن احسن شئ سمعته فى كتمان السر ما أئذنيه بعض فقهاء البصرة بالبصرة فقال

ولها سرائر في الضمير طويها * نسي الضمير بانها في طيه
 وفي معناه ومستودعي سرا كتم مكانه * عن الحسن خوفا ان ينم به الحسن
 وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعه في حيث لا تبلغ النفس
 قال العتيبي امر معاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عتبة حديثا فقلت لابي ان امير المؤمنين
 امر الى حديثا فاحدثك به قال لا من كتم حديثا كان الخيال له ومن أظهره كان الخيال عليه
 فلا تفعل نفسك ملوكا بعد ان كنت مالكا قلت يا ابا عبد الله هذا بين الرجل وأبيه قال لا يا بني
 ولكن اكره ان تذلل لسائل بافشاء السر قال فحدثت به معاوية فقال أعنتك أخى من رق الخطا
 وقيل لبعض الملوك ما صعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويحكم سره وقال قيس
 ابن الخطيم

اجود بمكنون البلاء واتى * بسر كعمن سألني افسنين
 اذا جاوز الاثنين سرفاته * يث وثك كثير الوشاة فنين
 وان ضيع الاقوام سرافاتي * كتوم لاسرار العشير أمين
 يكون له عندى اذا ما ضمته * مكان سويداء القواد مكنين

قال شيخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثني المودع والمودع ولا يبعد ان يريد به الشفيعين
 وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يده لصديقه فيموشك ان يصبر عدوا وقد
 روى في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة
 قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال أبو بكر بن حزم انما
 يجالس التجار بالامانة بالله فلا يحل لاحدهما ان يفشى على صاحبه ما يكره وقال هشام بن
 عمرو ما من رجل يتقص من امانته الاقص ايمانه وقال جعفر بن عثمان
 يا ذا الذي اودعني سره * لاترج أن تسجعه منى
 لم أجره قط على فكرتي * كانه لم يجري في اذني
 وكان عمرو بن العاص يقول ما انشيت سرى الى رجل فافشاء على قلته اذا كان صدرى اضيق به
 وقال الاخنف بن قيس يضيئ صدر أحدهم بسره حتى يتحدث به ثم يقول اكنمه على وفي مشهور
 الحكم ان فرد بسرك ولا تودعه حازم افيزل ولا جاهلا فيخون وأنشدوا

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السراضيق
 وفي مشهور الحكم من افشى سره كثر عليه المتامرون وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر ولا تنطق بسر كل سر * اذا ما جاوز الاثنين فاشي

وقال آخر تبوح بسر ضيقا به * وتبني اسرك من يكتم

وكفائك السر فيها تخاف * وفيما تحاذره أحزم

اذا ذاع سر من مخبر * فانت اذا التمسه ألوم

وقال آخر اذا ضاق صدرك من حديث * وافشته الرجال فمن تلوم

وان عاقبت من افشى حديثي * وسرى عنده فانا المعلوم

وقال الحكيم ما كفته من عدوك فلا تظلم عليه صديقك فان لم يكن لك بدم من اذاعته لقريته
تقتضيه من صديق مساهم أو استشارة ناصح مسالم في صفات أمير الاسرار ان يكون ذاعقل
ودين ونصح ومروءة فان هذه امور تنفع من الاداعة وتوجب حفظ الامانة ومن مكات فيه فهو
عنقاء مقرب ولا تودع مراكب من يستدعيه فان طالب الودعة خائن قال صالح بن عبيد
القدوس لا تدع سرا الى طالبه منك والطالب للسرمذيع وفي الجملة اذا زال مراكب عن عذبة
لسانك فلا اداعة مستولية عليه وان اودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان
على قلبك اسهل عليك من القفل بقلبك مراكب غيرك واعلم ان افشاء مراكبك اقبح من اظهار مراكب
نفسك لانه يوجب احدي وسعتين اما الخيانة ان كان مؤثما أو انفة ان كان مستغبرا وقال
بعض الحكماء لا ينبغي ~~كن~~ جواد بالمال في مواضع الحق ضيفا بالامرار عن جميع الخلق
فان احمد جود المرء الاتفاق في وجهه البر والجل بمكثوم السر وكان يقال صدور الاحرار
قبور الاسرار وقال الشاعر

الم تر ان وشاة الرجا * لا يتركون أدبها
فلا تفش مراكب الاليك * فان انكل نصيح نصيها
وقال غيره ما كل مكثوم ياحبه * احذر لسانك من جوابه
ليس الهوى ما كنت تعرفه * أيام تلعب في جوابه
هذا هوى لو قد فصحت به * فحك الحسام الى مضارب

*(الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر
الخصال وزعيم بالزيد من النعماء والا لامن ذى الجلال)*

وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آناه الله ملك الدنيا والجن
والانس والطير والوحش والرياح تجري بأمره كيف أراد فلما استمكن ملكه قال صلى الله
عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلغني أو أشكر أم أ كفر فاعدها نعمة كما عدها ملوك الارض
ولاحدها كرامة من الله تعالى عليه كما ظن ملوك الارض بل خاف ان تكون استمدوا جامن
حيث لا يعلم كما قال تعالى في أمة أراد هلاكهم فسند درجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم
ان كيدى متين جه في التفسير أصب عليهم النعم وانسهم الاستغفار وانما القرح بما أوفى من
الدنيا واقبضة بزهرتها والاعتزاز بزخرفها من شعار الكندار الاترى الى قول فاروق العيين
انما أوفىته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى خذنها بيدك الارض ولما خاف
سليمان عليه السلام ان يكون استمدوا جامن كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن
أو أمسك بغير حساب واعلم ارشدك الله ان الشكر ليس هو حافظ النعم فقط بل هو مع حفظه
لها زعيم بزيادة النعم وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر باقرب وشكر
باللسان وشكر بالجوارج فاما الشكر الواجب على جميع الخلق فذكر القلب وهو ان يعلم
ان النعمة من الله وحده ولانهمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبدايتهم ان الله
تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نعمه وعن غيرك بعونه نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد ان يشكر الله على نعمه اسديت الى غيره

والدليل على ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمتي ان ليقنوا
انهم من الله والى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه ايضا قوله
تعالى واقد نصركم الله يدركم انتم اذلة قاتقوا الله اعلمكم تشكرون أى اتقوا فانه شكر نعمتي
وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم
تشكرون والعبارة عنه أن يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع
ويقال فيه الشكر اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر
معرفة العجز عن الشكر وروى ان دارد عليه السلام قال الهى كيف اشكرك وشكرى لك
نعمة من عندك فاجبى الله تعالى اليه الا أن قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال دارد عليه
السلام الهى ابن آدم ايسر منه شعرة الاوتحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن ابن يكافؤا فاجبى
الله تعالى اليه ياد اودانى أعطى الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة
فى وفى هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر وذلك بان ترى شكرك برفيقه ويكون
ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى
وهذا الشكر ايضا واجب ولحمود والوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق به الاوهام والسر والجهر
ومن أقرب نعم الله واحسانه فقد أقرب قدر ما كاف لان أحد الا يمكنه ان يوازي شكر نعم الله
تعالى وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خاقت آدم يدك وفعلت وفعلت فكيف
شكرك فقال أن تعلم أن ذاك منى فكان معرفته بذلك شكره لى

* (فصل) * وما شكر الله ان فقال الله تعالى فيه وما من نعمة ربك تحدث قبل معنى التوبة وقيل
بمعنى القرآن وحكم الآية عام فى جميع النعم وروى النعمان بن بشير أن النبي عليه الصلاة
والسلام قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذى مديننا وعده قال عامل
عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حفر نهر البصرة الذى يقال له نهر عمرانى حفرته لاهل البصرة
نهر أعذب لهم مشرب وجادت عينه ولم أر لهم على ذلك شكرا فان اذنت فى قسمت عليهم
ما أنفق عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز انى لأحسب أهل البصرة خلوا من رجل قال
الحمد لله حين حفر لك هذا النهر وان الله قد رضى ما شكر من جنته فأرضهم الله بكرام نهرك
والسلام وحقيقة الشكر فى هذا القسم الثناء على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول
يوصف الرب تعالى بأنه شكور حقيقة فتشكر العبد لله ثناؤه عليه بذكر احسانه وشكر الله العبد
ثناؤه عليه باحسانه واحسان الرب العبد انعامه عليه وهذه اللفظة مأخوذة من قولهم دابة
شكورا اذا اظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويقال وجه شكورا اذا كان يمتلئ
الحسن ظاهرها وفى الحديث يقول الله تعالى انا والجن والانس فى تباعظهم الخلق ويعبد

غبرى وارزق ويشكر غيرى وقال بعضهم انما ائى الناس لانهم في موضع صبرهم يحبون
انهم في موضع شكر

* (فصل) * واما الشكر الذى على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من
عبادى الشكور فجعل العمل شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة رضى الله عنها مع عبيد بن
عمر فقال لها عبيد يا أم المؤمنين حديثنا بحسب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت
وقالت وأى شأنه لم يكن عجباً انه أثنى في ليلة قد دخل معى في فراشى حتى من جلدى جلده ثم
قال يا ابنة أبى بكر ذربنى اتبعى مدربى قالت انى أحب قربك ناذنت له فتنام الى قرينة من ماء
فقوضأوا كثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى
ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذهبه باصلاة فقالت يا رسول الله ما يبكيك وقد
غفرا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبداً شكوراً فلم لا أفعل وقد أنزل
على أن فى خلق السموات والارض فجعل النبى عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبينه
مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكوراً
أى كل واحد منهم ما يخاف الا تخرفن فانه العمل فى أحدهما على الاخر فجعل الاوراد
والاعمال بالجوارح شكراً وروى ان النبى عليه السلام قام حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول
الله تفعل هذا وقد غفرا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبداً شكوراً وقال
أبو هريرة دخلت على أبى حازم فقالت له رحلك الله ما شكر العبيد قال اذا رأيتهم ما خبرا
أذنته وان رأيتهم ما شراستره قلت له فما شكر الأذن فقال اذا سمعتهم ما خيرا حفظته
واذا سمعتهم ما شراستره قلت فما شكر اليدين قال أن لا تأخذهم ما مالى لك ولا تمنع حق
الله تعالى فيما قلت فما شكر البطن قال ان يكون أسفله صبراً وأعله علماً قلت فما شكر الفرج
قال كما قال الله تعالى والذين هم اقربوهم حافظون الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم
غـير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقاً وفى حكمة ادريس عليه السلام لن يستطيع
أحد ان يشكر الله تعالى على نعمة بخل الانعام على خلقه ليكون صانعاً الى الخلق مثل ما صنع به
الخلق تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها ما هو أشد ملازمة من غيره فالنمازة فى
مواساة الفقراء أشكل بالشكر على الغنى من غيرها لانهم من جنس النعمة فاذا أدت أن تجرس
دوام نعم الله تعالى عليك فأدوم مواساة الفقراء والطاعة فى رفع ذوى الضعة والخلول والمسكنة
بغير مصيبة أشبه بالشكر على رفع قدرك والتسوية بآمالك والطاعة فى تبريض الفقراء وتلطيف
أغذيتهم أشبه بالشكر على العافية من سائر الطاعات والطاعة فى الشفاعات عند السلطان
وقضاء حوائج الغرباء والاخوان أشبه بذوى الجاه من سائر الطاعات وعلى هذا المثال ينبغي
ان يقال سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر أن يقال معرفة بالحنان
وذكر باللسان وعمل بالجوارح

* (فصل) * فى الكلام على الزيادة قال الله تعالى ان شـكـرتـم لا زـيـدـة لـكـم فقال قوم انما
خطب الله تعالى به وذا بقوله ادعوني استجب لكم فومادون قوم والدليل عليه انارى
من يشكر على الغنى ثم يتلى بالتقوى ومن يشكر على العافية ثم يتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف

وعده وقال قوم معناه لازيدنكم نعمة الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد
عليه فاجابوا ان النعم الدينية والآخرية وان تفاضلت واختلقت فكلها متجانسة من حيث
انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير واللاح قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع
والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى ان يعطيه مالا أرى صبح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه
المال لنفقه في المعاصي أو وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الاقدام فالمنع ههنا موهبة
من الله تعالى جزيلة وعن هذا قال العلماء صنع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء
فيه أي لئن شكرتم لازيدنكم ان الان تعصوا فاعاقبكم بالحرمات فاجعل ذلك كفارة لكم وهو
أصلح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسلون من الذنوب ولوتهميا ان يسلوا من الذنوب
لدرت الزيادات قال الله تعالى ولوا هم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم
لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا ويعدكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لاجل اذلو كانت على عمومها
لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق
وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا
رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد أدخل بالشكر الذي أخذ عليه
امان لا يركبه أو يركبه لغير الله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه فيه من
كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل
ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب
أو اخلاق بحق أو الما يذنب كما قال بعضهم ادنى الشكر ان لاتعصى الله بنعمه فان جوارحك
كلها . نعم الله تعالى عليك فلا تنعمه بها ويحتمل ان يكون معنى الآية لئن شكرتم لازيدنكم
ان شأنا ألا ترى انه قال ومن كان يريد سرث الدنيا فؤته منها وكثير من الخلق يريدون سرث
لدينا ولا يؤتونه فيكون التقدير فؤته منها لمن نشأ بدليل قوله في الآية الاخرى بعلمنا انها
مانشأ لمن يريد وهكذا قال تعالى ادعوني استجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا
يستجيب لهم ولكن معنى الآية استجب لكم ان شئت وان شئت بدليل قوله تعالى فيكشف
ماندعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيد كنت بين يدي السرى
وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
ان لا يعصى الله تعالى بنعمه قال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا تزال أبكي على هذه
الكلمة فان قيل ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما تحصل من الافعال في
الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاؤه ودفع البلياء
نعم لا يمكن احصاؤها وما يدفع الله عنهم عما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى
(فصل) ثم عدنا الى أقوال العلماء والحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر
من النعمة موضع القرى من الضيفان وجدته لم يرم وان عدمه لم يقيم واجهت حكما العرب
والجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الوجود وصيد المفقود
وقالوا مصيبة رجب أجزها خير من نعمة لا يؤدى شكرها وقال بعض الحكماء من أعطى

أربعة لم يمنع أربعة من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستغارة لم يمنع الغيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب • وكان يقال إذا رعبت النعم بالشكر فهي أطواق وإذا رعبت بالكفر فهي أغلال (قال حبيب)
نعم إذا رعبت بشكر لم تزل • نعم ما فإن لم ترع فهي مصائب

(وبعث) الحجاج إلى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يحجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهي ولا ينهي ويأمر الناس بما لا يأتي تحب الصالحين ولا تعمل بأعمالهم وتغض المسيئين وأنت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك • وقال المفسر بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا بقاء للنعمة إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت وإن الشكر زيادة من النعم وأمان من النقم (وكان) الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وأنت مرتين بها كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تشك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها • وقال سفيان الثوري البشير إلى يعقوب عليه السلام قال على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الحمد لله الآن غت النعمة (وروي) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعى إلى قوم ليأخذهم على رية فافترقوا قبل أن يبلغهم فأتى عثمان رغبة شكر الله تعالى أن لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (وروي) أن الحسن بن علي الترمي الركن وقال الهى نعمتى فلم تجردنى شاكرًا وابتليتنى فلم تجردنى صابرًا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أنت أدمت النعمة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم إلا الكرم ولأن الجاني إلا الجفاء • وقال عون بن عبد الله الخليل الذي لا ترفيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة (وروي) أن غلة قالت سليمان بن داود عليه السلام يا بني الله أبا على قدرى أشكره منك وكان راكبا على فرس ذلول فخره ساجدا أشكر الله ثم قال لولا أنى أشجلك لساأتك أن تنزع منى ما أعطيتني (وقال) صدقة بن يسار ينادى داود عليه السلام في محرابه أذمرت به دودة فتشكر في خلقها وقال ما يعبد الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى فقال لها داود تعجبك نفسك لا ما على قدر ما آتاني الله أذكرته وأشكره منك فيما آتاك (ولمجد الوراق)

الهى للالحمد الذى أنت أهله • على نعمة ما كنت منك لها أهلا

متى ازددت تقصيرا زدنى فضلا • كفى بالتقصير استوجب الفضلا

(وكان) لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارسل إليه فقال له صاحبه أشكر الله تعالى فضرِب الرجل فكتب إليه أشكر الله تعالى فحُبِسَ المحبوس مجوسى مبطون وقيد فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المحبوس يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب إلى صاحبه فقال أشكر الله تعالى فقال إلى متى تقول وأى بلا فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذى في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذى في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم • ومن الرزية أن شكرى صامت • مما فعلت وأن برك ناطق

أأرى الضيعة منك ثم أسرها • انى إذا لندى الكريم لاسارق

(وقال) رجل لسل بن عبد الله إن اللص دخل دارى وأخذ منى فقال أشكر الله تعالى لو دخل

الص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ماذا كنت تصنع (ولما) بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سأل المغفرة فقيل له فيه فقال لا شكره فاني كنت اعمل قبله لا مغفرة فبسط الملاك جناحه فرفعه الى السماء * وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بجعر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فأطلقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فانا أبكي من خوفه فدعا النبي عليه السلام ربه أن يغيره من النار فأوحى الله تعالى اليه اني أجرتك من النار فز النبي عليه السلام ثم عاد فوجد الحجر يتغير منه مثل ما كان فتعجب فأناق الله تعالى الحجر فقال لم تبتك فقال ذلك بكاء الحزن والظوف وهذا بكاء الشكر والسرور * وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعا في فقال الهى ما بال المعاني فقال لقله شكرهم على عافيتي اياهم وبلا رجل اعرا بيا بلا حسنا فقل لأبلاك الله بلاه بهجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة بهجز عنها شكرك (وأنشد بعضهم)

سا شكر لا تني اجازيك منعم * بشكري ولكن كي يرى ذلك الشكر
وأذكر ايا ما لذي اصطنعنا * وآخر ما يقي على الشاكر الذكر
(وانشدوا) *

أوليتني نعمما أبوح بشكرها * وكفيتني كل الامور بأسرها
فلا شكرنك ما حيت وان آمت * فلتشكرنك أعظمي في قبرها
(وبعض الاعراب) *

الهى قد أحسنت عودا وبدأة * الى قلم ينض باحسانك الشكر
فن كان ذاعذرك وديك وحجة * فعذري اقراري بأن ليس لي عذر
(وكان) مطرف يقول الهى منك تكون النعمة وعليك تمامها وأنت تعين على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد وقد أنى الله على بعض عباده فقال انه كان عبدا شكورا (وقال) تعالى شاكر الانعمه اجتنابه وكذلك سائر ما أنى الله تعالى به على عباده ثم قال فن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن تزكى فأنما يترك لنفسه ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم ليس الرب تعالى فيها الا قبل ولا كثير فانه أجل من ان يتال الخطوط وأجل من ان يلحقه شاة من أو شكر شاكر فأخبر ان العلو والجلال لدونهم وانه يقدس عن الناس ببناء من أو كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم ليغفر لكم فواجبوا أعطى ثم أنى وقال على رضى الله عنه كفر النعمة داعية الحق ومن جازى الشاكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك وحيث يبين أسديت اليه نعمة أو قضيت له حاجة ان يكافى فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد أدى حقها (قال الشاعر)

فلو كان يستغنى عن الشكر ما جد * لرفعة حال أو علومه كان
لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروني أيها الثقلان
(وقال البستي) *

انن بهجت عن شكر برك قوتي * وأقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائى واعتقادى وطاعتى * لا قللا ما أوليتنيه مرا كز
وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى وقتت علينا امرأة فتناات يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر

وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر فرحم الله امرأته فهم بعقل واعطى من فضل وواسع من كفاف
واعان على عذاف (وأشددوا)

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر

لملته لك حسنى تراه * فتعلم الى امرى شار

ولكنه ساكن فى الضمير * يحركه الكلام السائر

(وقيل) اكسرى ما الشكر فقال المكافاة على قدر الطاعة قبل فيما الشكر قال ترك الجزء ولو
بالثناء قبل وهل يكون أحد الجمل عن يجعل بالثناء قال نعم من عادى على الصنعة

*) (الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يتبع عليها الامير والمأمور
ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم) *

قال الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا نم امثالكم فانبت الله تعالى
المعائنه ينفعا وبين سائر البهائم ومعهم انهم لا يعاينوا فى خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه العين
منهم ومنافقهم المعائنه فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا رقيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا
تجد اخلاق الخلائق محتلفة فاذا رأيت من الانسان خلقا ساريا عن الاعتدال قابض ما يماثل
ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحق به وعامله كما كنت تعامله فمقتدر تستريح من منافقهم
ويستريحون منك وتدوم العصبه فاذا رأيت الرجل الجاهل فى خلقه العليق فى طباعه القوى
فى بدنه لا يؤمن طباعه واقراطه فالحق به بعالم النور والعرب تقول اجهل من غرأنت اذا رأيت
النمر بعدت عنه ولم تخصمه ولا تدأيه فاسالك بالرجل كذلك واذا رأيت الرجل الغالب على
اخلاقه السرقة خفية والنقب البلاء على وجه الاستسمر وقلنا هذا يماثل عالم الجرد فذرع ملاحته
ومخاصمته كما تدع سباب الجرد اذا أفسد رحلك ثم أحمى رحلك بما يصلح له واذا رأيت هجاما على
اعراض الناس وثلبهم فقد مائل عالم الكلاب فان داب الكلب ان يجنومون لا يحفوه ويبتدئ
بالاذية من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبحك الست تذهب فى شأنك ولا تتجاسمه
ولا تسبه فافعل بمن يتضم عرضك مثل ذلك واذا رأيت انسانا قد جعل على الخلاف ان قلت لا
قال نعم وان قلت نعم قال لا فالحق به بعالم الجمار فان داب الجمار ان ذنبه بعدوان أبعده من قرب وانت
تسقى بالجمار ولا تسبه ولا تتفارق فاسقمع أيضا به ذا الانسان ولا تسبه ولا تتفارقه واذا رأيت
رجلا يظلم عثرات الناس وسقطاتهم فمقتله فى الآدميين كمثل الذباب فى عالم الطير فان الذباب
يقع على الجسد فيتجأى مصيحه ويطلب المواضع النحلة منه وذرات الماددة والدم والتجاسة
واذا بليت سلطان يهجم على الاموال والارواح فالحق به بعالم الاسود وخذ حذر له منه كما ناخذ
حذر لمن الاسد وليس الا الورب منه كما قال النابغة * ولا قرار على زامن الاسد واذا بليت
بأنسان خبيث شير الروغان والمفاخرة فالحق به بعالم الثعالب وذا بليت بمن يشى بالفتائم
وفى فرق بين الاحسنة فالحق به بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا
ينهم ظربان فمتفرقوا خاصة هذه الدوية اذ حصت وسط جماعة ان يتفرقوا وكان الجماعة
اذا أقيمت نخوهم هذه الدابة طردوها ومنعها الدخول بينهم كذلك فبغى اخراج الغنام من بين
الجماعة فان لم يفع لهوا يوشك ان يفرق ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض واذا رأيت انسانا

لا يسمع العلم والحكمة ويتقرن بمجالس العلماء والحكماء وبالف سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر انظرافات وما يجري في مجالس العوام فالحقه بعالم الخنافس فانه يجبه أكل العذرات
ويالف روائح التجاسات ولا تراه الا ملايس الاخيلة والمرامض ويتقرن روائح المسك
والورد واذا طرح عليه المسك والورد مات واذا رأيت انسانا اتخذه أبه حفظ الدنيا لا يستحي في
الوثوب عليها فالحقه بعالم الاحدية بان تحي رجلان عنه واذا بليت بالرجل تظهر عليه الديانة
والسكينة وقد نصب اشراكه لاقتناص الدنيا وكل أموال الودائع والامانات والارامل
واليتامى فالحقه بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت بركع

يدعو ورجل دعائه * مالا تريسة لا تنفع

يجل بها اذا العلا * ان القواد قد انصدع

احترز منه كما تحترز من الذئب واذا بليت بصحبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كلمات
في الحكم لانه لا يقبل له خبر كالخبر للميت وكما لا تصعب الموق لا تصعب الكذاب (وقيل) في
المثل كل شئ شئ وصحبه الكذاب لا شئ ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدق جميع يضم تحت
الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل وأخرى تحت طاقه من الرمل وسائر يرضه في قعر الحفرة
فاذا رآه الغريبا خذ تلك البيضة وينصرف أو يكشف عن وجهه الرمل فيجسد الاخرى فيظن انه
ليس شئ شئ آخر والخبر بمحالة النعام اذا رأى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر
بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمع منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية في الكشف عنه
واذا رأيت الرجل انما دأبه ان يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلاها يبيض ثيابه ويعدل عامته
ويشقي ان عسه شئ غيره وينظر في عطفه ويطرح القذاعن نوبه ليس له همة بين الجساء الا
نظروا الى نفسه واصلاح ما أنشئ من ثيابه فالحقه بعالم الطواويس الذي هذه صمته فانه يتجترق
مستبته وينظر الى نفسه ويفرش ذنبه فيخذل الملوك استحسنائه واذا بليت انسان حقود لا ينسى
الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات فاسقه بعالم الجمل والعرب تقول فلان أ- قدم من
جمل ويحب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق يطن
خلاف ما يظهر فالحقه بعالم البربوع فان البربوع وهو فار يكون في البرية يتخذ بجزر تحت الارض
يقال له النافق وله فوهتان يدخل من احدهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق
فاذا هم أحد بأخذه دخل بجزره وخرج من الباب الاخر فيصير الصياد خلفه فلا ينظر بشئ
كذلك ل- المنافق لا يصح منه شئ وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تستريح منهم وترى بهم
مثل فاعلم ان الله ما استقامت لي صحبة الناس وسكنت نفسي واستراحت من مكابدة اخلاقهم الا
من حيث سرت معهم هذه السيرة (وقيل) الرياحي ياتي رياح لا تتحرق واصغرا تاخذون عنه فاني
أخذت من الثعلب روغانه ومن الفرد مكابده ومن السمور صرعه ومن الكلب نصرته ومن
ابن آوى حذره وقد نعت من التمر مشى الليل ومن الشمس الظه ور في الحين بعد الحين

(*) الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال الساطان

وشقاء الدود ورواية القلوب وطيمة الذنوس (*)

اعلم أيها الملك انه متى كتبت إليك الخصال المحودة والاخذ لاق المشكورة والسيرة المستقيمة
وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضت حقدك
وجهلت قدرك ولم تؤفك حظك فبلغك منهم ما يسوءك ورأيت منهم ما لا يجهل فاعلم انك لست
بأله فلا تطمع ان يصفوا لك منهم ما لا يصفونهم للاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان
الله تعالى خلق الخلائق أجمعين وأنعم عليهم بأنواع النعم فأكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات
ثم آفاض عليهم نعمه وملكاته لهم المذاق وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظمه وحق
عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضاءوا إليه ما يتقدس عنه
وسلموه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى ففهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال
له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم قال له البنات ومنهم من يجده ومنهم من يشبهه ومنهم من
انكره وأما قال بالخلق صانع كما حكاه الخالق عنه فقال غررت ونجها وما يملك الا الدهر وهو
مع ذلك يجيهم بهم ببقيتهم ويصنع أجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينقضهم ويتقضى ما ربه لهم
وأوطارهم وعتقهم من أحوالهم ويبلغهم آمالهم في معظم ما يحتاجون اليه فعاصيهم اليه صاعدة
وبركانه عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته وينفق بما عنده وكل ذى حال أولى بها (وفي مناجاة)
موسى عليه السلام انه قال الهى أسألك ان لا يقال في مالى في فارحى الله تعالى اليه ذلك شئ
ما فعلته لنفسى فكيف أفعل بك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكى لمن اذكر مع انك ان
التمت رضا جميع الناس التمت ما لا يدرك وكيف يدرك رضا الخلقين فأيها الملك الذى قد
كتب الله عليه القناء والعمر القصير والزمان اليسير والايام المعدودة والانفاس المصورة
كيف أردت ان يصفوا لك من الرعية ما لم يصف منهم ثلثاتهم ورازقهم وشحيهم ومجبتهم هيئات
هيئات بعيدا ما لمات ومستحيل ما طلبت فلك في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بمرضى منهم
خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربه فيهم ألم تر كيف أحسن اليك فرضى منك باليسر من العمل
وأكثر لك من النعم من الاموال والظول فانظر كيف يستتر لزانك ويتعمد سائلك ولا
يفضحك في خلواتك ففي هذا ما تهتد النفوس ويؤدب ذوى العقول ويهتدى الى الصواب
ويوضح طرق الرشاد ولله درعربن الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما تلونه عليك فانه
روى عنه انه كتب الى عروب بن العاص كن لرعيته ما نخب ان يكون لك أميرك

*(الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التى فيها الجأ للملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال)*

أيها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرت في قلبك وجوه
الرأى وتنكرت عليك المعارف واكفره لك وجه الزمان فلا يعقل ذلك خصلتان اترك للناس
دينهم وديناهم ولاك الامان من طوارق الحادثات وما بأنى به الخوان وقد روى ان الامور
قال في أحمر وافقة مع أخيه الامين وقد نفذت بيوت الاموال والعت الاجناد في طلب
أرزاق الامون بقيت لآخى خصلته لو هلهام لك موضع قدى هاتين قيل له وماهى فقال والله انى
لاضن بها على نفسى فكيف على غيرى فلما اخلص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان
الامين نادى في جميع بلادها قد سطت الخراجات والوظائف السلطانية وسأرا الجبايات عشر

سنتين لملك الامر على ولكن الله غالب على امره واما خشي المأمون انتفاض بيعته مع أهل خراسان في امر فنته مع أخيه الأمين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة ببسط العدل والقعود على اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم النواد والملوك وابناء الملوك وتعيد المواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكة ففعل ذلك وحط عن أهل خراسان ربع الخراج فمال وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلام وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهوان تصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتحسن الى حملة القرآن والعلم وحفاظ الشريعة وتدني بمجالسهم وتقرب الصالحين والمتريدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والروساء المتبوعين من كل غلط فهو لا هم أزمة الخلق وبهم عيال من سواهم قن كمال السياسة والرياسة ان تبقى على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عززة وعلى كل ذي منزل منزله فحينئذ يكون الروساء لك اعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق به أن يدوم سلطانه والعامية والاتباع دون مقدمهم وساداتهم واقناعهم اجساد بلا رؤس واشباح بلا ارواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة وابسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صنعة فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال شق الكبرياصبي فذهبت مثلا

(الباب الثامن والثلاثون في بيان انحصار الموعدة لزم الرعية للسلطان)

قال حكيم الفرس ذم الرعية لملك على ثلاثة أوجه اما كريم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضغنا واما لئيم بالغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما راجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافأة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة المستله (وقيل) لالاكسندران فلانا ينتقصك ويسىء الثناء عليك فقال أأعلم انه ليس بشيرير فينبغي أن نعلم هل ناله من ناحيتنا أم ردعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجد هارئة فامر له بصله سنبة فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال أما ترون ان الامر النان يقال فينا خير أو شر وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقنية فيكونوا عليه بلا وقتنة ولكن يتخذهم أهلا واخوانا فيكونون له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خيرا من كثرة الجنود

(الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجار)

مثل السلطان العادل مثل الباقوتة النفيسة الرقيقة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة وأول ما يبصر المتقبلون وينقد الناقدون الواسطة وانما ينفي المتنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كما قال ابن سعدة لقيت بالبحار بين مكة والمدينة سكتة بنت الحسين رضي الله عنهم فاسفرت لي عن وجهه ابنتها واذا وجهه كانه قطعة قرو قد أثقلت بالظواهر والواقيت وأنواع الدرر فالتفت الى وقالت والله ما لفته عليها الا لفتضخمته وكان جمال السلك ان يلى الواسطة الا فضل فالفضل

من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان مني . النظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون الاقرب
 فالاقرب اليه أهل العلم والعقل والادب والرأى والاصالة والشرف والحصافة وذوى الكمال
 من كل قبيلة . وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكان جال العقدة واسطته كذلك
 جال الرعية بكمال سلطانهم وفضله وبراعته وعدله . ومثل السلطان الجار مثل الشوكة في
 الرحل فصل صاحبها تحت أم وقلق ويتداعى لها سائر الجدد ولا يزال صاحبها يروم قلعها وبسبب
 بما في ميسوره من الآلات والمناقب والابر على احوالها لانهم في غير موضعها الطبيعي ويوشك
 ان تنلع بالاجرة فحين غر الباقون من شوك القناد

) الباب الموقر أربعين فيما يجب على الرعية اذا جارا السلطان .)

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لا هـ له ورأس الوعاء أطيب من أصله كما ان رأس الجرة أقر
 واصنى من أصلها فقلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية أيضا ليسوا
 كمن مضى من للرعية ولست بان تدم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يذل أميرك
 اذا نظرت آثار من مضى من الرعية فاذا جاور عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزن (روى)
 البخارى عن عباد بن الصامت قال يا بعنا النبي عليه السلام فكان فيما أخذ علينا ان يايعينا
 على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وأن لا تنزع الامر أهله
 الا ان تروا كفرا بواحد منكم فبه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أمره شيئا
 فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال اذا
 النبي عليه السلام انكم سترون بهدى أثره وأمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال
 أدوا لهم حقوقهم واسألوا الله حدكم (وروى) أبو داود في سننه ان النبي عليه السلام قال
 يا أيها الذين آمنوا لا يحب منكم ما لا يحب عليكم فاداسوا ذلك فأعطوهم ولا تسبوهم
 ولتدعوا لهم وهذا حديث عظيم الموقر في هـ هذا الباب فندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا
 تنازعهم فيه ونكتف السنتنا عن سبهم يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه
 ولكن الثقة بالله ولا محنة فوق محنة إبراهيم عليه السلام ما جعلوه في كفة المتجشقين ليدنف به
 في النار قال اللهم انك تعلم ايماني بك وعداؤه قومي فيك فانصرني عليهم واكنى كيدهم (وقال)
 مالك ابن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدى
 فمن أطاعني جهنم عليه رحمة ومن عصاني جهنم عليه نعمة فلا تغفلوا انفسكم بسب الملوك
 ولكن توبوا الى الله أعظمهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك
 من ظلمه فان شئت أجبتك وأجبتك عليك وان شئت أخرت الامر الى يوم القيامة فيسبهم العنوا
 (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لا تجعل ملأك في الاعداء المكافاة ولكن الثقة بالله
 وروى أبو داود في السنن قال سرق مخلفه لعائشة رضي عنها فجعلت تدعو على من أخذها
 فسمعها النبي عليه السلام فقال لا تسخى عنه يعني لا تتخفى عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما
 ترى فاذا حال للمظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فتدعوا على نفسه وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه
 ظلم ولو كان موقفا ما ظلمك فان استجيب دعاءك فيه زاد ظلمك ومن الالفاظ المروية عن سلف
 هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) الفضل

لو ظفرت بيت المال لاخذت من حلاله وضعت منه أطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الأخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم أما لو اندعوا رباً أن يوفق ملوكاً وسائرين بلى علينا وجعل اليه أمرنا لو اقدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وأبنتاه فقال معاوية يا بنت أخي ان الناس أعطوا ناطاعة واعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حلمات تحت غضب واطهروا لظاظة تحت حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكسنا بهم نكشوا بنا ولا ندري أعلينا نكون أم لنا ولان نكون ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن نكون ابنة أمي من عرض المسلمين (وروي) ان رجلاً من المعتلة غصبه بعض الولاء فضعفه فاستعدى عليه الى المنصور فقال له أصلحك الله أذكر حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلاً فقال بل أضرب لي قبلها مثلاً قال أصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يفر الى أمه اذا لا يعرف غيرها وظننا منه انه لا يصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان فراره وشكواه الى أبيه العبدان أباه أقوى من أمه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلاً وحر به أمر شكالى الى الوالى لعلمه بانه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله واشتدت شكيمته شكالى السلطان لعلمه بانه أقوى من سواء فان لم يصفه السلطان شكالى الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك أحد أقوى منك فان انصفتني والارفعت أمرها الى الله فى الموسم فالى متوجه الى بيته وحرمة اذ ليس فوقك أحد الا الله تعالى قال بل تضنك وامر بان يكتب الى واليه برضى عته اليه

(الباب الحادى والاربعون فى كما تكونوا بولى عليكم)

لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونوا بولى عليكم الى ان ظفرت بيد المعنى فى القرآن قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً وكان يقال ما أنكرت من زمانك فانما أنفسه عليكم علك وقال عبد الملت بن مروان انصفونا يا امير الرعية تريدون مناسبة أى بكر وعمر ولا تسير وافئنا ولا فى أنفسكم يسيرتم ما نسأل الله أن يعين كلاً على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا أنت فى السماء ونحن فى الارض فكيف نعرف رضاك من محطك فاوحى الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خياركم فقه درضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخفت عليكم وقال عبيدة السلماني اهلى رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أنى بكر وعمر انطاع الناس لهم والدينيا عليهم ما أضيق من شرفاتهم عليهم ما وابت أنت وعثمان الخلافة ولم يسطعوا السكرا وقد اتعت فصارت عليك أضيق من شبر فقال لان رعية أبى بكر وعمر كانوا مثلى ومثل عثمان ورعيتى انا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) أخ لمحمد بن يوسف يشكو اليه جور اعمال فككتب اليه محمد بن يوسف بلغنى كتابك تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه الا من شوم الذنوب والسلام

(الباب الثانى والاربعون فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية)

اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها أثرا فى عسكهم باديانهم وحفظهم روايتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفاسف الاخلاق وبعده عن مواضع الرب وترفيعه نفسه عن استعجاب البطالة والمجون واللعب والهوى والاعلان بالفسوق وقد كانت محبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع والماجن الرقيب أبى نواس الشاعر وصمة

عظيمة عليه أو هن بها سلطانه ووضع عند الخاص والعام قدره وأطلق السنة الخلق بالشتم
والثناء التبع على نفسه فخلعه بذلك أخوه المأمون عن الولاية ووجه طاهر بن الحسين
لحاربه يبعداد وحاربه حتى قتله وانفذ برأسه الى المأمون وكان يعمل ككتابة على المنابر
من خراسان ويقف الرجل فذم أهل العراق فيقول أهل فسوق وخجور وماخور ويعيب
الامين بذلك فيقول استعجب أنا نواس شاعر اما جانا كافر استخلصه معه لشرب الخمر
وارتكاب الماسم ونيل المحارم وهو القائل

الافاسقنى خرا وقللى هى الخمر * ولا تسقى سر اذا أمكن الجهر

ويج بهم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر
حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت له وجوه الورى فلما بلغ الامين حبسه ثم أطلقه
بعد ان أخذ عليه أن لا يشرب خرا ولا يقول فيه شعرا ففى أراد السلطان اصلاح رعيته وهو
متناد على سب أخلاقه كان كمن أراد بقاء الجسم دمع فقد رأسه أو أراد استقامة الجسم
مع عدم حياته ولكن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء
واقدر صاحب الخلد فى قوله اصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعالك وقديما قبل من أصلح
نفسه أرغم أنف أعدائه ومن عمل جده بلغ كنه أمانيه (وسئل) بعض الحكماء بم ينقسم
الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولا بى الفخ البسى

اذا غدا ملك باللهو مشغلا * فاحكم على ملكك بالويل والحرب

أعزى الشمس فى الميزان هابطة * لما غدا وهو ربح اللهو والطرب

وصحبة الاشرا تورث الشر كالريح اذا مررت على السنين جلت تننا واذا مررت على الطيب
جلت طيبا فحال استصلاح رعيته وأنت فاسد وارشادهم وأنت غاو وهدايتهم وأنت
ضال وقد سبق لمثل ومن المجائب آعش كمال وتقول العرب يا طيب طب نفسك وكيف
يتبدل الاعى على أن يهدى والفقيه على أن يغنى والدليل على أن يعز فبعدك عن تطهير
غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبد الطيب عن ابراهيمه من دابه مثله (وقال)
بعض حكماء الهند ان يبلغ الف رجل فى اصلاح رجل واحد يحسن القول دون حسن الفعل
كما يبلغ رجل واحد فى اصلاح ألف رجل يحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدوام من السقام لذى الضنى * كما يصعب به وأنت - صقيم

ما زلت تلتصق بالرشاد عقولنا * عظة وأنت من الرشاد عديم

ابدا بنفسك فانها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم

خهناك يقبل ما تقول ويتقدي * بالرأى منك وينفع التعليم

لاتنه عن خلقى وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن أقوى الاسباب فى صلاحهم عند قوت صلاحه استماعه لعليم الخاصة منهم وذوى
الاحلام والمروآت القائمه والاذبال الطاهرة ففى رأس العامة سرايرهم فقه والطريق الى حفظ
أديانهم ومرواتهم وقاسمهم عن الانغمال فى المخطورات وملابسة الحرمان وقال الشاعر

لاتصلح الناس فوثنى لاسرائيلهم * ولاسراة لاذاجها لهم سادوا
(وقال) مردك الفارسي خلتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية مما سواهما نقية الرأي
ونقية الرحمة وما حق السلطان أن يسلط بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون معه
فحينئذ يكون رئيس الرؤساء وأميراء على السادة والنضلاء وان أهملهم وركوب شهواتهم
ونوسط لذاتهم ذهب أديانهم وسقطت مرواآتهم وبقوا كاجاء المثل في الجماعة المذمومة
تقول العرب في القوم لارؤساء فيهم ولا مرواآ بينهم هم سواسية كاسنان الحمار وتقول
سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاسنان الحمار فلا ترى * لذى شبيهة منهم على ناشى فضلا

ولان يكون أميراً على الفضلاء والرؤساء خيراً من ان يكون أميراً على الاخساء والرمادية
والغوغا والاذنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان يوماً وقد استقام له الامر من بعد رضى من
عبد الله بن عمر فانه أبى ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه تستخيره وتضربه عنقه
وتسبى رجز منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من أكون أميراً ولما صار داود الى
الحجاز في الدولة العباسية ليقول من هنالك من بنى أمية قال له عبد الله بن الحارث بن ابي ربيعة اذا
اسرعت في قتل اكفائك فمن تباهى بسلطانك اعف يعف الله عنك فعفا (وقال) ارسطاطاليس
للاسكندر استصلح الرعية وأذهب شرهم تكون رئيس الاخيار ومدحجين ولا تكون رئيسا
لشرارهم ذمومين فتكون كراعى البقر

• (الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية) •

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تطفر عنهم بالمحبة فان طلب ذلك
منهم بالاحسان هو أودوم بقاء منهم بالاعتصاف واعلم انك انما تملك الابدان فتخطاها الى القلوب
بالمعروف (واعلم) انه اذا عدل السلطان ملك القلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء
والتصنع وفي الما تقدمين قلوب الرعية خزانة ملوكها فاقبأ ودعوها من شيء فليعلموا انه فيها
(واعلم) ان الرعية اذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد ان لا تقول تسلم من
ان تفعل وليس هذا خلاف ما روى عن معاوية ان رجلاً أغلظ له فلم عليه فقبل له التحمل على مثل
هذا فقال اني لأحول بين الناس وألصقهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلاطنتنا وذلك ان نفسهم يقولوا
فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عدت لم تسلموا بشيء وهذه السيرة أحسن من سيرة اردشير لما رفع
اليه ان جماعة من بطائنه قد فسدت دينهم فوقع فيهم معاشر الملوك انما غفلت الاجساد لا النيات
وتحكم بالعدل بالرضا وتفحص عن الاعمال لا عن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لان
يجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين
هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت أمس في عدة قليلة وتلك حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء
فيها فوقع من عم احسانه أمن أعداءه وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان بأهل الشام
انما انا لكم كالظلم الرائح على فراخه يبقى عنهم القدر ويساعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر
ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذئاب يا اهل الشام أنتم الجبة والرداء وأنتم العدة
والجداة وقالت العجم أسوس الملوك من قادر عيته الى طاعته بقلوبهم ولا ينبغي للوالى أن يرغب

في الكرامة التي بناها من العاسة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر و صواب التدبير
وقال عمر بن عبد العزيز اني لاجع ان اخرج للمسلمين امرا من العدل فاخاف ان لا تحمله قلوبهم
فاخرج معه طمعان طمع الدنيا فان ذرت القلوب من هذا سكنت الى هذا وقال معاوية
لزياد من أسوس الناس أنا وأنت فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله رجلا يحفظ الناس بسيفه من
اسمع الناس وأطاعوا له بالين و يروى ان سليما مولى زياد غفر زياد عنه معاوية فقال معاوية
اسكت فما أدرك صاحبك بسيفه أدركت أكثر منه بلساني

• (اناب الرابع والاربعون في التحذير من محبة السلطان) •

اتفقت حكماء العرب والعجم وصاياهم على النهي عن محبة السلطان قال في كتاب كليله ودمنه
ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل محبة السلطان واتقان النساء على الاسرار وشرب السم على
التجربة وكان يقال قد خاطر نفسه من ركب البحر وأعظم منه خطر محبة السلطان وقال
مردك أحق الامور بالتفت فيها أمر السلطان فانه من محب السلطان بغير عقل فقد لبس
شعار الغرور وفي حكم الهند أيضا محبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر
وانما تشبه بالجبل الوعر فيها الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء
ليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتمكنا فخير السلطان وشره لان خير السلطان لا يعدو
من زيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال وينتف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في
الشيء الذي في سلامته مال وجه وفي نكته الجائحة والتلف ولهذا الما قبل العتابي لم انتصب
السلطان على ما فيك من الادب قال اني رأيت يعطى عشرة آلاف في غير شي ويردى من الصور
في غير شي ولا أدري أي الرجلين أكون (وأخبرني) أبو العباس الجازي وكان من دوح أرض
الهند والصين وانتهى الى صبي الصين الى جبل الياقوت بالهند وان فيه ثعابين ليس في معمر
الارض أعظم منها فان الواحدة منها اليباع الثور صبي فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار أحدرت السيول منه الحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مسقرة المياه على
مسير أيام من الجبل فيجث الناس ذلك الحصى فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار
الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويرضى
رضا الصبي ويبطش بطن الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما محبت السلطان
وقال الاحنف بن قيس ثلاثة لا أقولهن الا لعقبريين لا أخلف جليسى الابهأ أحضره ولا
أدخل في أمر لا أدخل فيه ولا أتى السلطان الا ان يرسل الى وقال ابن المقفع لا يسه ان
وجدت من السلطان ومحبتة غنى فاغن عن نفسك واعتزل جهدا فانه من يأخذ السلطان
بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا ومن لا يأخذ بحقه يكسبه القضيعة في الدنيا والوزر في الآخرة
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعة لا تعجب سلطانا
وان أمرته بالعرف ونهته عن المنكر ولا تخلون بامرته وان قرأتها القرآن ولا تصل من
قطع رحمة فانه لك أقطع ولا تكلم بكلام اليوم تعتذر به غدا (وفي منشور الحكم) كثرة
الاشغال مذه له عن وجود اللذات بكنهمها وكم قد رأينا وبلغنا من محب السلطان من أهل
الفضل والعدل والعلم والدين ليصله نفسه هوى فكان كما قال الأول

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجبر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطاً مثلاً فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه وفي كتاب كليله ودمه لا يسعد من ابتلى بصحبة المولك فانه لا عهد له ولا وفاء ولا قريب ولا جيم ولا يكرم عليهم احد الا أن يطعموا فحينئذ يقر بوعده عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخاء الا البلا يجزى والذنب لا يغفر له وقال بزرجه ولا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مؤاخاة الاخوان الا باللين والمواساة (وقال) بعض حكماء القوم المال والسلطان مفسدان لكل أحد الارجل له عقل كامل وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لم يركبه أخوف وقالوا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ وامرأح الاذي وصل الى حاجته كالكرم لا يتعلق بآكره الشجر لكن بادناها وكانت العرب تقول ان لم تكن من قرياء الملك فكنت من بعدهائه (وفي) حكم الهند انما مثل السلطان في قلة وفاته مع أصحابه وسخاء نفسه عن نفسه بهم كمثل الصبي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر والعرب تقول السلطان ذو غداوات وذو بوابات وذو ندرات وتريدانه سريع الانصراف كثير البدوات هجم على الامور وأصله من الدر وهو الدفع

(الباب الخامس والاربعون في صحبة السلطان)

قال ابن عباس قال لي أبي يابني اني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد عليه السلام واني أوصيك بخلاف ثلاث لا تفصح لهن سرا ولا يجبرن عليك كذبا ولا تغتابن عنده أحدا (قال) الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف قال اي والله ومن عشرة آلاف وقالوا صحبة السلطان بالحذر والصدق بالتواضع والعدو بالجهر والعامية بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأي الملك الا بحسن أثره (قال) بعض الحكماء لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تنفس ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استثقله ومن امنن عليه عاداء ومن أظهر انه يسه به بعده (وقال) بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك السلطان أخافا جعله أمانا وان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاخذوا في الشراء عليه فعليك بالدعاء له وان نزل منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تألوا بامعظته وذكرته وقاله ابن المقفع انما يمكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضائك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذخرفسأيتك منهما ما يكتفي ويطيب (وقال) مسلم بن عمرو من خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تغتر اذا أقصاك وروى ان بعض الملوك استعجب حكما فقال له أصحبتك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لسترنا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيري قال هذا لك في عندك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوتر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستعجب انت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أرى الناس بالهلكة الفاحشة يقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالحجة

الملك كدة وقال بزرجهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تضع في معصية خالقت فان احسانه
 اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اعظم من ايقاعه احبب الملوك بالهيئة لهم والوفاء لانهم
 انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انك بهم فهو حجبهم منك
 لاتعط السلطان مجهودك في أول محبة له فلا تجده بعد المزيد موضعاً ولكن دع للمزيد
 موضعاً علم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشير به اذا أحلك السلطان من
 نفسه بحيث يسمع منك ويتقربك فأياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير
 لك فيكون عوناً عليك أياك ان تعادى من اذا شاء يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في نية به فعل
 وفي الامثال القديمة أحذر رمة المخدة وفيه قيل

ليس الشفييع الذي يأتيك مؤتزراً • مثل الشفييع الذي يأتيك عربياً

وفي الامثال لا تدل فتمل ولا توجف فتجف وقال الرشيد لا تجعل ابن صديق ايك والدالة فانها
 تفسد الحرمة وقال سليمان بن داود عليهما السلام لا تغش السلطان ولا تتعد عنه وقال
 الحكماء شدة الانقباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تفتح باب المالة واعلم ان
 من طلب العز بلاذل كانت غمرة عليه الذل أحرز من ذلك عند السلطان بمن لا كتبتهم من
 الجد والمناجحة واحذر ان يحطك انما هو عار فالك اليه التحفظ ان أثق الناس بالسلطان
 صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار أسرعها احتراقاً من لزيم باب السلطان بصبر جميل
 وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاحنف بن قيس) لا تقبضوا عن
 السلطان ولا تملأ الكؤا عليه فانه من أشرف على السلطان أرواه ومن نضرع له تحطاه • وقال ابن
 عباس رضي الله عنه ثلاثة من عاداتهم عادت عزته ذلة السلطان والولد والعريم واعلم انه انما
 يستطيع بحبة السلطان أحد درجتي اما فاجر مصانع مثال حاجته بنجوره ويدلم بصانعة
 وامام فقل مهين لا يحسده أحد فاما من أراد ان يحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف
 فقل انما يستقيم له محبته لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق
 فينافسه في منزلته فيطمع عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرض
 للهلاك • وقال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة لا يحشد
 من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك لصروته اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشترط قفاه
 ويخرج دمه (وفي الامثال) لا حلم لى لاس فيه له • وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استحب معه
 رجلاً لانيه ما فيه يستدفع به شر السفهاء وأهل الوغاة والدغارة وقال المعتمد ارسل السلطان
 اسكرات فنها الرضا عن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول
 الحكماء خاطر من يلج في البحر أعظم منه خطر من يحب السلطان وقال ابن المقفع لانيه
 لا تعدن شتم السلطان شتماً ولا اغلاظه اغلاظاً فان ربح المزة تبسطه في غير باس ولا حقد
 (وقال ساميد) أحد حكم النرس أربعة أشياء ينبغي ان تفسر للفهم كأنفسر للبلد ولا يشك
 فيها على ذ • أحد تأويل الدين واخلط الادوية وصفة الطريق المخوف والراى
 في السلطان واعلم ان السلطان اذا انتطع منك في الآخرة نسي الاقل فارحامهم متطوعة
 وحبالهم مصرومة الامن رضوانه في وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالى خللاً لا تنبغى

فلا تكابد على ردها فانما ارياضه صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطايا اللطيفة أكثر من تبصرك واجعل العدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكنت اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالي بالمسئلة ولا تستبطئه وان أبطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيلاء فانك اذا استحققتة أتاك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان أعجل له وقال يحيى بن خالد اذا محبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة النتيجة للزوج الاحق المبعوض وقال يحيى بن خالد بعض اخوانه تنكر لي هرون الرشيد فقال له ارض بقليل من كثيره ويا لك ان تسخط فيكون احفظ منك

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند)

اعلم ان الجند عند الملك وحسنه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذي ياتي العدو والسهم الذي يرمى به والصلاح المدفوع في شجرة فهم يذب عن الحرم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والذادة عن الحرم والشوكة على العدو وعلى الجند الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليجمعوا في الطلب وان تكن عليهم فليكسر والاعنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا أخبار غدي وينبغي للملك ان يتفقد جنده كتفقد صاحب البستان بستانه فيقارع العشب الذي لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بالدرار رزاقهم وسد حاجتهم والمكافأة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة ونحوها وقال أبو رزيرة لابنه شيرويه لا توسع على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم من عابجا لا توسع عليهم في الرضا ولا توسع عليهم في العطاء * ولما أفضى الامر الى أبي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال لقواده سبروا وبطل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجمع كليلك يتبعك فقام أبو العباس الطوسي فقال يا أمير المؤمنين أخصني أن يلوح له غيرك برغيف فيتيبعه ويدعك (وبروي) ان كسرى منع طعاما في سماط فلما فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل من أصحابه قد أخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام فبعههم كسرى يتكلمون فقال مالكم فقالوا فقد ناجا ما من الجامات فقال لا عايكم آخذ من لا يرده ورأه من لا يفتخه فلما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيئا (وسئل عمر بن معاذ) وكان على المواقف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو في كل سنة ويخبر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهور والقديد وكثرة الكعك (وروي) ان بعض أمراء العرب كان ظالم الرعيته شديد الاذى لهم في أموالهم فعوتب في ذلك فقال اجمع كليلك يتبعك فوشوا عليه فقتلوه فزبد بعض الحكما فقال ربعاً كل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه

(الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استحياء الخراج)

أيها الملك من طبال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة وإقاحه

الامن وتناجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال أقوى العدو على العدو
وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع في حقه
ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصلحتها ثم يتفق ذلك في
الوجوه التي يعود عليها فقها فيما آيها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام
آيها الملك مرجبة الاموال بالرفق وبجانبه الخرق فان العلقمة تنال من الدم بغير اذى ولا
سماع صوت ما لاتناله البعوضة بلسعته واهول صوتها (ولما نزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر
استعمل عليها ابن أبي السرح فخل من المال أكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو
أشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم آجبتم أولادها وقال زياد احسنوا الى
المزارعين فانكم لم تزالوا سمانا ماسنوا وفي منور الحكمة من جاوز في الحلب حاب الدم
(وفي الامثال) اذا استتفى العجل في مص امه رفسته وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك
وما استغزى بعمل العدل ولا استغزى بعمل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين
وهلاك الرعية وانكسار الخراج بالجور والتحامل وسئل السلطان اذا حمل على أهل الخراج
حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية
فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم
الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطبخ سطحه بثراب أساس بيته
ومن يدمر حرالعمود يوشك ان يضعف فتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة
الارضين فيتركونها فتترب الارض ويهرب الزراع فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج
ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجنود طمع الاعداء في السلطان آيها الملك كن بما يتيقن
في يد رعيته أفرح منك بما تأخذ منها لا يقل مع الصلاح شيء ولا يتيقن مع التسادني وصيانة
القبل أولى من تربية الجليل فلا مال لا خرق ولا عيلة للسلع (وروي) ان المأمون أرق لبلبة
فاستدعى سميرا لخذته بجديث فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت
بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها الابن فقاتل بومة البصرة لا أنكحك ابنتي الا ان تجعلي في
صدأها ما نة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله
علينا سنة واحدة فمات لك ذلك قال فاستنقذ المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم
من بعض وقفند امر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون
ما زال أهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتفاض لما كانت الارض
مقطعة في أيدي الاجناد فكانوا يستعلمونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته
وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والسكرع والسلاح فوق
ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجنود مشاهرة بقبض
الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجبونها فاكوا الرعايا واجتاحوا أموالهم
واستضعفوا فتهارت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلبت الجبايات المرتفعة الى السلطان
وضعت الاجناد وقرى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذوا الكثير منهم ولم يزل أمر المسلمين في نهص
وأمر العدو في ظهور الى ان دخلها المتلثمون فردوا الاقطاعات كما كانت في الرمان القديم ولا

أدري ما يكون وراء ذلك

* (الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال) *

وهذا باب سلك في ملك العواطف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحتجها دون الرعية وتعدّها ليوم كريمة على ما بينا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها وتطعن الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان جوعه كان أكثر من شعبه وانه مات ودرعه مرهونة في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وان النبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجي له الاموال فيفرقها اليومها وقد توضع في المسجد وتفرش الانطاع ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال (وروي) أبوداود في السنن أن النبي عليه السلام صلى العشاء الاخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعاً في يديه خريقة فيها ذهب فقصه ثم قال ما ظن ال محمد لو أدرك الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدون بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جيت من حلها بين المسلمين وربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت فن حضر من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظّه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا ايضاً ويا جرأ يا يهني واحجى وغري غيري ثم أمر فقسم ما فيه على المسلمين وأمر قباير أن يكنسه ويرشه ثم دخل فصلي فيه ثم كثير من الملوك ساروا في الاموال على نحو هذا السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما هلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم تكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على رجاله بالطاقس و يأخذ مثل ما يأخذون وقد لا يأخذ شيئاً منها وانما كانوا يصطعون بها الرجال وكانت سلاطيننا تحتجب الاموال وتضيع الرجال فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال فهذه الخلة فهورنا وظهروا علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو الملك بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف أحدهما قوى الآخر واذا ضعف بيت المال يبذل للعمدة قوى الناصر واشتد بأس الجند وقوى الملك واذا قوى بيت المال وأمتلأ بالاموال قل الناصر وضعفت الحماة فضعف الملك فوثبت عليه الاعداء وقد شاهدنا ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لافي الاموال وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال فلاش ان بيت رجال خير من بيت مال وقد قال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع الاموال لتتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقوية الاعداء يعني اذا جمعت الاموال أضعفت الرجال فطمع فيك الصديق وينب عليك العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيها عين معينة فان هو قام على البستان فاحسن تدبيرها فهندس أرضها وغرس أشجارها وظهر على جوانبها ثم أرسل عليها الماء اخضر عودها فقويت أشجارها

وأيست غمارها وزكت بركاتها فكانوا جميعا في أمان من الضعة ولا يخافون فقرا ولا
شتانا وان هورغب في غلتها وجناها ولم ينق فيها ما يكفيها ولا ساق اليها من الماء ما يرويها
رغبة في الغلة وضمة بالمال ضمنت عمارتها ودقت انبجارها وقلت غمارها وذهبت غلتها
ومحق الدهر ما جنى من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك في جمع المال
المتفقوى به على عدوه مثل طائر يتفريشه ويمصر أصولها وبأكل ما من منها فلذلك طيها
وأعجبه خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى
الارض فاكتسه الهوام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك ان وزيره اشاء عليه
بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عندك اليوم فتي احضرتهم عرضت
عليهم الاموال فتهاقوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضورتنا الساعة
ذباب قال لا قال فامر بالحضار حفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار
السلطان بعض أصحابه في ذلك فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس في كل وقت
أردتهم حضروا فسأل هل لذلك من دليل قال نعم اذا أمسينا سأخبرك لمأألم الليل قال لا الملك
هات الحفنة فحضرت ولم تحضر ذبابة واحدة (وقد روي) عن سيرة بعض السلاطين في أرض
مصر وكان قد ملكها وكان اسمه بالقدور انه كان يجمع الاموال ولا يحصل بالرجال فقال له
أصحابه ان أمير الجيوش بالشام وهو يتواعدك وكأنه قد قدم عليك فاستعد للرجال وانفق
فيهم الاموال فاومأ الى الصناديق موضوعة عنده وقال الرجال في الصناديق فجزأ أمير
الجيوش ذلك الملك في مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك فكان رأيهم رأيا فاسدا لان رجالا
يقيمهم لوقتة ويصطنعهم لحاجته انما يكونون أجنادا مجتهدين وشريعة ملتفتين ليس
فيهم عناء ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للحروب (ومن السير) المروية في هذا الباب انه لما
فتحت العراق جيء بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال ادخل بيت المال فقال لا ورب
الكعبة لا يروى تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطي في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من
المهاجرين والانصار فلما أصبح نظروا الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدرىة لا
فبكى فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين والله ما هذا يوم بكاء ولكنه يوم
شكر وسرور فقال انى والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم الاوقع
بأسهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم انى أعوذ بك ان أكون مستدرجا فاني
أسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقه بن جعشم فاني به أشعر
الذراعين دقيقتها فاعطاءه سوارى كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله أكبر قال الله أكبر
قال قل الحمد لله الذى سلهم ما كسرى وألبسهما سراقه بن جعشم اعرايا من بنى مدج ثم قبلهما
وقال ان الذى أتى هذا لا أمين فقال له رجل أنا أخبرك أنت أمين الله تعالى وهم يؤذون اليك
ما أدبت لله تعالى فاذا رعت رعتوا قال صدقت وانما البسهما سراقه لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لسراقه ونظر الى ذراعيه كأنى بك قلبت سوارى كسرى ولم يجعل له الا السوارين
(ولما ولي أبو بكر الصديق) رضى الله عنه جاءه مال من العمال فصب في المسجد وأمر فنادى
من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عدة فليحضر قال أبو أيوب الانصارى فخته

فقلت يا خادمة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاني مال أعطيتك هكذا وهكذا وأشار بكنفه فسكت أبو بكر فأنصرف ثم عاد وانه فسكت عني ثم انصرف وعاد وانه فسكت اما أن تعطيني واما أن تجعل عني فقال ما يجعل عنك اذهب فخذ خفت خفت قال عذها فعددت ما فوجدت فيها خمسة دنانير وأبو يوب من أغنياء الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث على ان بيت المال للفقير والفقير ودل ايضا انه لا يجب أن يساوى فيه جميع المسلمين بل ذلك موكل الى اجتهاد الامام

(فصل) قال الحسن بن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدته في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر بحق الخراج مما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا منافسة وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للمعاملين وتقوية لحالهم من العيين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد لحفر الخليج والاتفاق على الجسور وسد الترع واصلاح المنشآت ثم تقوية من يحتاج الى تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك من آلات وأجرة من يستعان به لحل البذار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشاذية والعلمان وأشبايعهم وعدة جميعهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى أتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة ألف واحد عشر ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم ولما ينصرف للارامل والايتام يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محندين حتى لا يتخلوا أمثالهم من بفرعون اربعمائة ألف دينار ولما ينصرف في كهنة برايتهم وسائر يوت صلواتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصيب مساكين وينادي برأت الذمة من رجل كشف وجهه اتفاقية ولا يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يراد أحد والامناء جلوس فاذا رأوا انسا نالم يجيرونه بان ياخذ افرده وبعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة تعدد دخل أمناء فرعون اليه وخنوه بتفرقة المال ودعواه بطلون البقاودوام العز والسلامة وأنهى اليه حال تلك الطائفة فيأمر بتعبير شعنها بالهجوم واللباس ثم عذ السمات فبأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان ودفعه مثل ما كان له وان كان سوء رأى وتدبير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه وبأخذ بالادب والمعرفة التي لا يصلح الابهامات ألف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبه لسنه مائتا ألف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما تسلمه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لتواقيب الزمان أربعة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف دينار (وقال أبو وهب) كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء يجري تحت منازلها وأقذنتها فيجسده كيف شاؤا ويرسلوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون وكان ملك مصر عظيم لم يكن في الارض أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بجانب النسل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها

تروى من ستة عشر ذراعا لمدبر وافي بسورها وحافاتهما والزروع ما بين الجبلين من أقولها
 الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها
 فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها ألف منبر (وقال عبد الله بن عمرو) استعمل فرعون
 هامان على حفر خليج سر دوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه ان يجرى
 الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا وكان يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب ومن
 الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد فليس في مصر خليج أكثر عطوفا منه فاجتمع له من
 ذلك أموال عظيمة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف
 على عبيده وينقيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل القرى
 ما أخذت منهم فرد عليهم أموالهم فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف
 عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن
 بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس) رضى الله عنه ما في قوله تعالى اجعلنى على
 خزائن الارض انى حفيظ عليم قال هي خزائن مصر وكانت أربعين فرسخا في مثلها ولم يطع
 يوسف فرعون ويحاشه وينوب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعلنى على
 خزائن الارض (ولما استوتق) أمر يوسف الصديق عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه
 وأراد ربك أن يعرضه على صبره لما لم يركب محارمه وجلت سنة والغلاء والجوع مات العزيز
 وذهبت الذخائر واقتقرت ولجأ وعى بصرها وجهات تشكف الناس فقبل لها الوتر عرضت
 للملأ اهل برحك وبغنيك فظالمها حفظته وأكرمتيه ثم قبل لها لا تفعل لانه ربما يذكر
 ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسى اليك ويكافئك فيما سبق منك اليه فقالت أنا
 أعلم بحلمه وكرمه وجلت له على راية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مائة ألف
 من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحسبته قامت وقالت سبحان من جعل الملوك عبيدا
 بعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ومن أنت قالت أنا التي كنت اخدمك
 على صدور قدي وأرجل جثك يدي وأكرم منوال يجهدى وكان منى ما كان وذقت
 وبال أمرى وذهبت قوتى وناف مالي وعى بصرى وصرت أسأل الناس فتم من ربحى
 ومنهم من لا ربحنى بعدما كنت مغبولة أهل مصر كلها صرت مرحومة منهم بل محرومة منهم
 هذا جزاء المقدسين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها اهل بى في قلبك من حبك
 اياى شئ فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليا لا لنظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهباً
 وفضة فغضى يوسف وأرسل اليها ان كنت ايماء تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيانا
 فقالت للرسول الملك أعرف بالله من أن يستمزى بى هو لم يردنى في أيام شبابى وجمالى فكيف
 يقبلنى وأنا عجوز وعيما فقيرة فأمر به يوسف عليه السلام فجهزت فزوجها وأدخلت عليه
 فصف قدميه وجعل يصلى ودعا الله باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شياها وجمالها
 وبصرها كهينتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افسرا ثم يوسف وميشا بن
 يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فميجب للقوى أن لا يضى الضعيف
 ولا يلقى أن لا يضى القدير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه بصير راغبا ومسؤول بصير

سائلا وراحم بصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في بداخوته
 يوم الحب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت
 تنكشف الناس في الطرقات قال الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
 الارض ومغاربها التي باركنا فيها فكان يوسف عليه السلام بعد هذا يجوع ويأكل خبز الخبيث
 ولا يشبع فقبل له أن يجوع ويسدك خزائن الارض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين
 (وقدر أيت) أن الحقبة تنقبه في مثلها فيتنافس العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء وذلك اني
 لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك والغالب على ألقابه خواجه برك رحمة الله تعالى
 قد ووزر لأبي الفتح ملك الترك ابن الب أرسلان وكان قد ووزر لأبيه من قبله فتقام دولتهما
 أحسن قيام فشد أركانها وشيد بنيانها واستمال الأعداء ووالى الأولياء واستعمل
 الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والبعيض والحبيب والبعيد والقريب حتى ألقى
 الملك بجوانه وذلك الخلق لاطمانه وكان الذي مهد له ذلك باذن الله تعالى وبوقته انه أقبل
 بكليته على مراعاة جمال الدين فبني دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس
 الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والنقراء ثم أجرى لهم الجرايات والكساوى
 والنفقات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم
 بذلك سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى
 وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها الى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة
 يوم حامل علم أو طاب له أو متعبدا أو زاهدا في زاوية الأكرامته شاملة له ولباغية عليه
 وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الابواب ستمائة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة
 الى أبي الفتح الملك وأوغروا صدره عليه وقالوا ان هذا المال المخرج من بيوت الأموال يقيم
 به جيشا يركز رايته في سور قسطنطينية فغامر ذلك قلب أبي الفتح الملك فلما دخل عليه قال
 يا أبت بلغني انك تخرج من بيوت الأموال كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا يفتننا ولا يفتي
 عنا فبكي نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أجهى لو نودى على فمين يزيد لم أحفظ خمسة دنانير
 وأنت غلام ترك لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشغول بالذاتك منهمك
 في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم
 للتوابع اذا احتشدوا كالفواغتك بسيف طوله ذراعان وقوس لا يفتنى مدى مرماه
 ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخور والملاهي والمزمار والطمبور
 وأنا أفت لك جيشا يسمى جيش اللبيل اذا نامت جيوشك لبلا قامت جيوش اللبيل على
 أقدامهم صفوفان يدي رجم فارس لو ادموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا الى الله
 أنهم بهم بالدعاء واللبيل وجيوشك فانت وجيوشك في خفاوتهم تعيشون وبدعائهم يبتغون
 ويبركاتهم تحطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكي ابو
 الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش يا أبت شاباش أكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب)
 هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له أبو سعيد الصوفي فقال له يا خواجه أنا بئس مدرسة
 يفتد امدني السلام لا يكون في معصورا الارض مثلها يخلد بها ذكرك الى أن تقوم الساعة

قال افعل وكتب الى وكلائه فيغدأ أن يكتنوا من الاموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وخط
 المدرسة النظامية وبنهاها أحسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبي حوالها أسواقا تكون
 محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات وأوقفت عليها فكمثلت النظام الملك بذلك
 رئاسة وسودد وذكرجيل طبق الارض خبره وعم المشارق والمغارب أثره وكان ذلك في سني
 عشر الخمين وأربع مائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ ما يقارب
 ستين ألف دينار ثم غنى الخبير الى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها
 نحو من تسعة عشر ألف دينار وان سائر الاموال احتجها لنفسه وخاتك فيما فدعاه نظام
 الملك الى اصهارن للحساب فلما أحسن أبو سعيد بذلك أرسل الى الخليفة أبي العباس يقول هل
 لك في أن تطبق الارض بذكرك وأنشركم لا تخروا لايام قال وما هو قال بمعمو اسم نظام
 الملك عن هذه المدرسة وكتب عليها اسمك وتزن لستين ألف دينار فأرسل اليه الخليفة
 يقول له أنت ذم من يقبض المال فلما استوفى منه مضى الى اصهارن فقال له نظام الملك انك قد
 رفعت البناء نحو من ستين ألف دينار نفقة وأحب اخراج الحساب فقال له أبو سعيد لا تغفل
 الخطاب ان رضيت والامحوت اسمك المكتوب عليها وكتب عليها اسم غيرك وأرسل هي
 من يقبض المال فلما أحسن نظام الملك بذلك قال يا شيخ قدموا غنالك جميع ذلك كله ولا تخ
 اسمنا ثم ان أباسع يد بنى بتلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات
 والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباط أبي
 سعيد الصوفي وأوقافه يتقلبون ببغداد ففي هذه المناقب فليتذمرا المتنافسون ومثل هذا
 فلم يعمل العاملون فان فيهم اعز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جيل المذكر
 فانما لم نجد شيئا يقي على الدهر الا الذي كرسنا كل أوقفيها وقال الشاعر
 ولا شيء يدوم فكس حديثا * جيل المذكر قاله يا حديث

فانه تفرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر
 بالصالحات كما ذكرنا وادخرنا لك في الآخرة كما ادخروا واعلم ان الما كول للبدن
 والموهوب للمعاد والمتروكة العتق فاختر أي الثلاث شئت والسلام (وكا) ابن أبي دؤاد
 الوزير واسع النفس مبسوط البدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يردسؤالا ويتدنى
 بالتوال فقال له الواثق أمير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت
 الاموال فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا أمير المؤمنين ذكرا أخرجها راصل اليك ومقاتيج
 شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك نعش في ابصال البناء اليك فقال الواثق لله أنت جد
 بالاعطاء وأكثرت الشكر والنماء

(الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال)

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزان الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له
 أنجوع ويبدك خزان الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجوعين (وروى) البيهقي
 باسناده قال لما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه أين تريد قال السوق قال قد جاءك ما به غلظك عن السوق قال سبحان الله يشغلني

عن عبالى قال تقرض لك بالمعروف قال فأنفق في سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم
 ووسى أن ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصرى قال لما حضرت
 أبا بكر الوفاة قال انظر واكم أنفقت من مال الله فوجدوا قد أنفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف
 درهم قال اقضوها عني ففضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين إنه قد حضر من قضاء الله ما ترون
 ولا بد لكم من رجل يلى أمركم ويصلى بكم ويقا تل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وانقرت لكم
 وان شئتم اجتهدت لكم فوالذى لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خيرا فبكروا وقالوا أنت خيرنا
 وأعلمنا فاخترنا فقال قد اخترت لكم عمر (وروى) مالك هذا القصة على غيره هذا الوجه قال
 بلغني ان أبا بكر لما لوى لم ينفق من مال الله شيئا وغدا يوم ما من بنى عمرو بن عوف وكانت له هناك
 امرأة من الانصار في جبال له يريد أن يبيعها فلقبته بعض المسلمين فقالوا له ما تصنع هذا اشغلك عن
 الناس وعن النظر في أمرهم قال فكيف أصنع قالوا لا تفرغ للنظر في أمورهم وتستنفق من
 هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال فكان يتفق من
 المال على نفسه وعلى عباله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز فلم يتفق منه
 فقيل له قد صنع أبو بكر وعمر ما قد علمت قال أجل وليكني أخذت من هذا المال فان يكنى
 فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لتهللت (قال) ابن القاسم قلت لمالك فإين قولهم عن
 عمر انه رد ثمانين ألفا قال كذبوا انما يقول هذا أعداء الله هو لم يجز لولده ساق أبي موسى اياه
 حين أخذ منه فضله فكيف يأخذ من مال الله ثمانين ألفا فلما توفي أبو بكر استرجع على رضى
 الله عنه وجاء مسرعابا كيا وقال رحمك الله يا بكر لقد كنت والله أول القوم اسلا ما وأكملهم
 ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله تعالى وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأشبههم به هديا وخلقا وسما وفضلا وأكرمهم عليه وأرفعهم عنده فجزاك الله عن
 الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسمك الله في كتابه صديقا فقال تعالى
 والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وأنسته حين تخلفوا وقت معه حين قدموا
 وصحبته في الشدة حين تفرقوا أكرم العصابة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه
 في الهجرة والمزل عليه السكينة وخلقه في أمته أحسن الخلقة فقيب حين ضعف
 أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالامر حين فشلوا ومضيت بقوة أذوقنوا كنت
 أطولهم حمتا وأبلغهم قولا وأجمعهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا كنت كما قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعي فاني بدك قويا في أمر دينك متواضعا في نفسك عظيما
 محبوبا إلى أهل السموات والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله
 أبا بكر لقد أنعب من بعده تعباً شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضى الله عنه انه قال انى أنزات
 نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولى القيم ان استغثت استعنت وان افقرت أكت بالمعروف
 (وفي رواية أخرى) ان احببت أخذت منه فاذا أيسرت رددته (وفي رواية أخرى) أخبركم
 بما استحل من مال الله تعالى وما قال يقول لى أسحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للقيظ وما
 أجمع عليه وأعمر وقوتى وقوت عبالى كقوت رجل من قريش لامن أغنياهم ولا من فقراتهم
 ثم ان بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم (وقال) أنس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر

رضى الله عنه فكل خبر الشعيير وكان قبل ذلك لا يأكله فاستسكره بطنه فصوت فضربه بيده
 وقال هو والله ماترى حتى يوسع الله على المسلمين (وقال) أبو عثمان النهدي رأيت عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة موف فيها اثنا عشر رقعة احداها بادم أحمر
 (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل
 ابوانا من ابوان كسرى فاذا صم بشير بام معه الى الارض فعدا ربعين فقال والله ما يشير
 هذا الى الارض الا وشمئى فاحتقروا فاستخرجوا منه سقاطا فبه جوهر فكتب الى عمر بن
 الخطاب أما بعد فاني دخلت ابوانا من ابوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتقرت فأخرجت
 سقاطا فبه جوهر فلم أجدا حق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقسمه بينهم انما
 أصبنا شأنا تحت الارض فلما قدم السبط على عمر وعلمه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم
 كأن نارا أجمت وهو يرادى في فاما فكتب الى السائب أن أقدم على قال فقدمت عليه وهو
 يطوف في ابل الصدقة فطقت معه الى نصف النهار ثم دعا بعباءة فاعتدل ودعا الى عباءة فاعتدلت
 ثم ذهب الى منزله فاني بطمس غليظ وخبر مقتضئ فقال انظر من على الباب فاذا سودان من
 الصوفية فاذن لهم فعمل يا كل معهم فاذا لحم غليظ لا أستطيع أن أسيغه وقد كنت تعودت
 درمك أصهنا اذا وضعت في دخل بطني ثم دعا بالسبط وقال أتعرف خاتمك قلت نعم فقال
 كتبت ترفقي تزعم اني أحق به من أين أصبته فأخبرته قال اذهب فاجعه له في بيت مال المسلمين
 حتى أقسمه بينهم (وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فصنع له طعام لم ير قبله
 مثله فقال هذا لنا في القراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبر الشعيير قال خالد بن
 الوليد لهم الجنة فاغروا وقت عيناهم وقال لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة
 لتدينا بنونا بوابعيدا (وقال) عبد الله بن عمر العمري ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين
 قدم الشام قال لاني عبيدة اذهب بنا الى منزلك قال ما تريد الى ان تقصر عينك على قال فدخل
 منزله فمر بشيا فقال عمر أين متاعك لأرى الابدأ أوشنا وحصنة وأنت أميراً عندك طعام
 فقام أبو عبيدة الى جوفه فأخرج منها كسرات فبكي عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك انك تقصر
 عينك على يا أمير المؤمنين بكفك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بذلك يا أبا عبيدة
 (وقال) الشعبي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فأبطوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا
 بالصدقات فقام فيها مترابعا في مختلف في أولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان
 حتى اتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا أمكن أكله ثم قال من أدخله بطنه أبعده
 الله (وقال) طاوس اجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما أكل سمن ولا
 سمينا حتى أكل الناس (وقال) سعيد بن جبيران عمار رضى الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة
 وعليه أزاران قطريان قدر قع ازاره بخرقه است بطرية من ورانه فجاءه اعرابي فنظر الى ذلك
 الخرقه فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت أو تقول قال ان
 هذا خير لي في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبه ببشبه الصالحين قبلي وأجد رأت تتدبني من أتى
 من بعدى (وقال) الحسن ان عمر بن الخطاب يذا هو يعس في المدينة بالليل أتى على امرأ من
 الانصار تحمل قربة فبأهلها فذكرت ان لها ابنا ليس لها خادم وأنها تخرج في الليل فتسقيهم

الماء وتكره أن تخرج بالتمار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغد على عمر غدوة
يخدمك خادما قالت لأصل اليه قال انك ستجديه ان شاء الله تعالى فغدت عليه فاذا هي به
فعرفت أنه الذي حمل قريتها فذهبت تولى فأرسل في أثرها وأمر لها بخادم ونشئة ومالاج عمر
رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا رفا قال ثمانية عشر ديناراً يا أمير المؤمنين قال ويحك
أبخفنا بيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل
حصى فقال أكتبوا لي فقرأهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سبعين عامراً فقال من سعد بن
عامر قالوا أميرنا ففجأ عمر وقال كيف يكون أميركم فقيرا فقالوا انه لا يسلك شيئا فبكي
عمر وبعث اليه بألف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته مالك
أصابك أمير المؤمنين بشئ قال أعظم من ذلك أتتني الدنيا دخلت على الدنيا واني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم يا ربيع عامر
فوالله ما يسرني أني حبت عن الرعي الأول واني به ما طلعت عليه الشمس قالت فاصنع
فيه ما شئت قال هل عندك معونة قالت نعم فأتته بخمارها فصر الذنان فيها اسررا ثم جعلها
في مخلاة وبات يصلي ويكفي حتى أصبح فأعرض جيشا من المسلمين فأماها كلها
فقالت امرأته رحل الله لو حبست منها شاة استعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الأرض للمأت الأرض من ربح المسك واني
والله ما اخذارك عليمن فسكت (وروي) ان عمر رضي الله عنه استعمل على حصص رجلا
يقال له عمر بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشع به عمر إلا ان يقدم ماشيا
حافيا معه عكازته وادواته ومزودته وقصعته على ظهره فلما انظر اليه عمر قال يا عمر أختننا
أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أمان الله أن يجهر بالسوء وعن سوء الظن وما تزي
من سوء الحال وقد جئتك بالدينأ بجرها بقرها فقال ومما علك من الدنيا قال عكازة أو ك
عليما وأدفع بها عدوا ان اقبته ومزودى اجل فيه طعاعى وادواتى هذه اجل فيها ما لشرى
وصلاتى وقصعته هذه أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسى وآكل فيها طعاعى فوالله
يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبعا لما مهي قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبى بكر فبكي ثم قال اللهم الحقتي بصاحبى غير مفقضى ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه
ثم قال ما صنعت في عمالك يا عمر قال أخذت الرقعة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت
الجزية من أهل الذمة عن يدهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل
فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شئ عندى أتيتك به فقال عمر عد الى عمالك فقال عمر انشدك
الله ان لا تردني الى عملى فنى لم أسلم منه حتى قلت لاذى اخزك الله ولقد خشيت أن يخصمنى
له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول أنا جميع المظلوم فما حاجته حجة ولكن ائذن لي الى
أهلى فاذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يشال له خبيب جماعة دينار فقال انت عمر فانزل عليه
ثلاثا فان بك حاتمك يحف عليك في عيشه وحال أهل يته وان لم يك خاتما اليك فادفع
اليه المائة فاما خبيب فنزل به ثلاثا لم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاث قال
يا خبيب ان رأيت أن تحول الى جيراننا ففعل ان يكونوا أوسع عيشا منا أما نحن فوالله لو كان

قوله فما حاجته هكذا
في النسخة التي بأيدينا
ولعل من أواسم عمل
ما بين يعقل اه

عندنا غير هذا الاثرنا ليد (قال) فدفع اليه المائة وقال بعث بهم البكر أمير المؤمنين فدعا بشرو
خلق لامرأته فصرها الخمسة والستة والسبعة فقسمها فتقدم خبيب على عمر فقال
يا أمير المؤمنين جئتكم من عند أزهدهم الناس وما عندهم من الدنيا لا قليل ولا كثير فبعث اليه
عمر وقال ما صنعت في المائة يا عمر قال لا تسألني عنها قال لتخبرني (قال) قسمتها بيني وبين اخواني
المهاجرين والانصار قال فاصر له بوسقي طعام وفويين قال يا أمير المؤمنين (أما الثوبان)
فأقبل (وأما الوسقتان) فلا حاجة لي بهما عند أهل صاع من بر هو كافهم حتى ارجع اليهم
(وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بعائة دينار وقال للغلام اذهب بهما الى
عميد بن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت حتى ترى ما يبيع فذهب بهما الغلام اليه وقال يقول
لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه (ثم قال) نعال يا بارية
اذهي به هذه السبعة الى غلمان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أتفدها ورجع الغلام الى عمر فاخبره
(ووجدته) قد أعد مثلها المعاذين جبل فقال له اذهب بهما الى معاذين جبل وتلكا في البيت
ساعة حتى تنظر ما يبيع فيها فذهب بهما اليه وقال ان أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض
حاجتك فقال رحمه الله وأوصله (ثم قال) يا بارية اذهبي الى فلان بكذا والى فلان بكذا فتأملت
امرأته معاذونخ والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرق الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع
الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

• (الباب الموفى خسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال) •

(اعلم) أريدك الله تعالى ان اقول من اتخذ الدواوين واجرى الاعطية على ما روى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان يفضل أهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى أجرى على العامة شيئا
واحدا ثلثمائة واربعمائة وفرض للعمال مائة درهم في كل سنة (وكان) أبو بكر رضي الله
عنه يساوي بين الناس في العطاء ولا يفضل أهل السابقة ويقول انما عملوا الله فاجورهم على
الله وانما هذا المال عرض حاصر يا كاهل البر والقاجر وليس غدا لاعمالهم (وكان) عمر
يقول لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ولم يشدر عمر الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى
على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكأبه ومؤذنيه ومن كان يلي معه في كل شهر لما بعثه
وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف
شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ونصف جريب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربيع
شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاء خمسة آلاف درهم وأجرى على عبد الله
ابن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة
درهم في كل شهر وعشرة اجربة (وانما) فضل عمار اعلمهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك
وكان عمر لا يفرض لصغير وضع فاذا فطم فرض له فمر من الليل وصبي يبكي الرضاع وامه
لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض
عمر بعد ذلك للمولود مائة درهم في كل سنة (قال ابن) جبلة وفرض عمر للعمال لسل عمل من
ذكر وأنتى جريبين من بر في كل شهر وقسطين من زيت وقسطامن خل ومائة درهم في كل

سنة (قال) والجرب قفيز بالقرطبي والقسطا قد ربح الزيت بالقرطبي (قال) الحسن
 وكان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على زهاء ثمانين ألف من الناس (وكان) يحطب الناس
 في عبادة يلبس نصفها ويقتري نصفها فاذا خرج عطاؤه امضاه وكان يسف الخوص ويا كل
 من سقيف يده (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وقد من البصرة مع أبي موسى
 الاشعري قال فكأن دخل عليه وله كل يوم خير ثلاث (فريما) وافقنا هاما دومة بسمن واحيانا
 بزيت واحيانا بالبن وزجوا وافقنا القديد اليابس قد دق ثم اغلى عليه بجا وزجوا وافقنا اللحم
 القريض وهو قليل فقال لهم يوما اني ارى والله تقذيركم وكراهيتمكم لطعامي فاني لو شئت
 ان كنت أطيبكم طعاما وارفعكم عيشا اما والله ما جهل كراكم واسنة واعرف صلاهم صنايا
 وصلائق (قال) والصلاة الشواء والصناب الخردل والصلائق الخبز الرقاق ولكفى سمعت الله
 تعالى عبر اقواما امر فعلموه فقال اذهبتم طبيا تم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلتمنا أبو
 موسى فقال لو كلمت امير المؤمنين لقرض لكم من بيت المال طعاما فاكلتموه فكلتمنا فقال
 يا معشر الامراء هل ترضون ان تنفسكم ما ارضاء لنفسى فقلنا يا امير المؤمنين ان المدينة ارض
 العيش بها شديد ولا ترى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك وانا يا ارض ذات ريف وان اميرنا
 يغنينا وان طعامه يؤكل قال ففطر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من بيت المال
 شاتين وجريدين فاذا كان بالغداة فضع احدي الشاتين على احدي الجريين وكل أنت
 وأصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن عيذك ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم لحاجةك واذا
 كان العشاء فضع الشاة الغائرة على الجرب الاخر فكل أنت وأصحابك الا ووسعوا الناس
 في بيوتهم وأطعموا عيالهم والله ما أظن رستاها يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريان الا يسرعان
 في خرابه (وكان عمر) قد أطعم جريين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فلكفاهم فأجروا على كل
 رجل في كل شهر من كان في الديوان مكان ما كانت فارس يجريه على خيولهم وأساورهم
 (وقال) سعيد بن المسيب وأبو سلمة كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبيا الاعمال يسلم على
 أبو ايمن ويقول ألكن حاجة وأيتكن تريدان تشتري شيئا فيرسلن معه بجواثجهن ومن ليس
 عندها شيئا اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن
 يكتب أزواجهن ويقول أزواجكن في سبيل الله واثقن في بلاد رسول الله ان كان عندكن من
 يشرأ والا فاقربن من الابواب حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن
 حتى يبعث بكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فاذن من
 الابواب حتى أكتب لكن ويمر الى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعثهن الى أزواجهن (وقال)
 الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن
 الخطاب يا امرء القدام عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت برافقتك
 يا رفاقة مسترشد وابن سبيل أى الهيات احب الى امير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ الى
 الخشوة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا على
 عمر ففصفنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عني غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع
 ابن زياد الحارثي (قال) وماتتولى من أعمالنا قلت البحرين قال وكتم تزرق قلت الف قال كثيرا

تصنع بها قلت اتقوت منها يا أبا عود على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا
باس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فوجدني اصبوب فلم تمنع عينه اذ على
فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استكملته (ثم دعا) بالطعام
وأصحابي حديثه بعد بلين العيش وقد تجو عناله فأتى بجوز وأعضاء بعير فجعل أصحابي يعانفون
ذلك وجعلت آكل وجعلت أنظر اليه بلحظني من بينهم ثم سكت حتى كلمة تخليت اني سكت
في الارض ولم أقالها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاحون الى سلامتك ولو عدت الى طهام
الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلب قلت يا أمير المؤمنين لو ظر الى قوتك من الطحين
ان يحجزك قبل ارادتك اياه يوم يبط لك اللحم كذا فتمرتي بالخبر لينة وباللحم غر بنافسك
غيطه ثم قال ها هنا رعت قلت نعم (قال) يا ربيع انالوشنا الا باهذه الرحاب من صلاتي رسنايك
يعني خبز الحواري واكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيبة لكم
في حياتكم الذي اواسمتمهم بها ثم امر ابا موسى باقراري على علي وان يستبدل باصحابي (وقال)
قبصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبيد الله بن سعد وكان على أهل حرس فقال علام يحبك
أهل الشام قال اني أحبهم فأحبوني قال مالك قلت عبيدي وفري وبعلي وخادمي (قال) فماذا
تلبس في الشتاء قلت عبادة اشدهم رأسي وجبة وكساء قال ان تلبس في الصيف قلت قيصا
وربلة فاعطاني عمر الف دينار (وقال) خذوها واستنق منها أعط منها ارب لي فيها
يستجد من هو أوج اليها مني قال خذها فان النبي عليه السلام دفع الى مالا وهو دون الذي
عطيتك فقلت له كما قال لي فقال يا عمر ما آتاك الله من هذا المال عطاء من غير ان تعرض له
أو تشرف له فسلم فاقبله فآخذه فانطلق به الى امرأته فقال أترين رجلا له هذا من فقراء
المهاجرين هو ام من الأغنياء فقالت لمن الأغنياء فقسمها حتى بقيت منها صرة أطل فيها
ثلاثين أو نحو ذلك فقالت له امرأته اليس لي أبا حق فاعطاها اياه (وقال) زياد بن حيوة يما نحن
بجناصرة اذا بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فارشدناها الى الدار فرأت
دارا مشبعة فقالت لخطاط هناك استأذن لي على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قال فادخلي
وصوفي بها فانها تأذن لك فدخلت فلما أبصرت ما هناك قالت جئت ارمق فقري من بيت الفقراء
واذا رجل يعمل في الطين فسالتهم عن أمير المؤمنين فقالت هو ذلك يعمل في الطين فقالت له يا أمير
المؤمنين مات زوجي وترك ثمان بنات فبكيه بكاء شديدا ثم قال اها ما تريد بن قالت تنرس لهن
قال تنرسن للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبت لها فتات الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة
فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من
يده وقال اها ما لك لو ليت الحمد لأهل هذه السبع فلو اسين هذه الثامنة

• (الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل الذمة) •

(روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل
الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا
انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا
لكم على أنفسنا ان لا نتحدث في مدائننا ولا فيما حولها دبرا ولا كذبة ولا قلبا ولا صومعة

راهب ولا ينجس دماخرب منها ولأما كان محتطاً منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان
 توسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان تنزل من مربيان المسلمين ثلاث ليلال نطعمهم ولا
 تؤوي في كائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا
 نظهر شرعنا ولا ندعو إليه أحداً ولا نمنع أحداً من ذوى قربتنا الدخول في الاسلام ان
 اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا تشبههم في شيء من
 لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا تكلم بكلامهم ولا تسكني
 بكاهم ولا تركب بالسروج ولا تنقل بالسيوف ولا تتخذ شيئاً من السلاح ولا نحملة معنا
 ولا ننفس على خواتمنا العربية ولا نبيع الخمر وان نجوز مقام رؤسنا ونلزم زينا حيفنا
 كأوان نشد الزناير على أوساطنا ولا نظهر صلباتنا وكبتنا في شيء من طرق المسلمين ولا
 أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كئناسنا الا نضرب باخفية ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في
 كئناسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعائنا ولا باعوثنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا
 ولا نظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق
 ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما أتيت) عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد
 فيه ولا نضرب أحداً من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان
 فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضمنناه على أنفسنا فلازمة لنا وقد حل منّا ما يحل من
 أهل المعاهدة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان أمض ما دلوه وألحق فيه حريقت
 اشتطتهم اعلمهم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتروا شيئاً من سبايا المسلمين ومن ضرب
 مسلماً عداً فقد خلع عهده (وروي) نافع عن سالم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل
 الشام في النصارى ان يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا
 خلاف زى المسلمين ليعرفوا (وروي) ان بنى تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير
 المؤمنين ان اقوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نمارى قال ادعوا الى حجاجا ففعلوا
 فجز نواصيمهم وشق من أردبتهم حرم ما يحترمونها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا
 الاكف من شق واحد (وروي) ان أمير المؤمنين المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم
 واذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لانهم
 أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فاحيا الله به الحق
 وأمات به الباطل فهو يذكرك بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه يقول لانتعلموا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا
 ولما استقدم عمر بن الخطاب أيام موسى الأشعري من البصرة وكان عاملاً عليهم الحساب دخل
 على عمرو وهو في المسجد فاستأذن لكتابه وكان نصرانياً فقال له عرفناك الله وضرب يده على
 فخذه وليت ذمياً على المسلمين أما سمعت الله تعالي يقول يا أيها الذين آمنوا اتخذوا اليهود
 والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ألم لا اتخذت حنينا
 فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم اذأهانهم الله ولا أعزهم اذأذلهم
 الله ولا أدنيهم اذأقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثر

وان الجزية قد كثرت فنفسه يعير بالاعاجم ويكتب اليه عمرانهم اعداء لله واممهم لنا غششة
فأنزلهم حيث أنزلهم الله ولا تردوا اليهم شيئاً وقال عمران بن أسد أنا كاتب عمر بن
عبد العزيز الى محمد بن المنتشر أما بعد فإنه بلغني ان في ذلك رجلاً يقال له حسان بن برزى
على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
والمعاب من الذين أوثوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واقفوا الله ان كنتم مؤمنين واذا
أنالك كتابي هذا فادع حسان الى الاسلام فان أسلم فهو منا ونحن منه وان أبى فلا تستعين
به ولا تأخذ من غير أهل الاسلام على شيء من أعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فاسلم (ولما) خرج
النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني أريد ان أتبعك
وأصيب منك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أسعين بشرك ثم لحقه عند
الشجرة ففرح به أصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئت لاتبعك وأصيب
منك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أسعين بشرك ثم لحقه على ظهر البيداء
فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا أصل عظيم في ان لا يستعان
بكافر وهذا وقد خرج ليقا تل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعملهم
على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تقولوا على أعالنا الا أهل القرآن
فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيافة فكتب اليهم ان لم يكن في أهل القرآن خير فأجد رأن لا يكون
في غيرهم خير

• (فصل) • ومتى نقض الذي العهد بمخالفته لشي من الشروط الماخوذة عليه لم يرد الى
مامنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعي ويلزهم ان يميزوا
عن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزناير
في أوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو حرس يدخل معهم الحمام
وليس لهم ان يلبسوا العمامة والطيلسان واما المرأة فتشده الزناير تحت الأزار وقيل فوق
الأزار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون أحد خفيها أسود
والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والجهربا لا كف عرضا ولا يركبون
بالسروج ولا يتصدرون في الجحاش ولا يبدون بالسلام ويلجئون الى أضيق الطريق
ويعنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يعنعون وان
تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويعنعون من اظهار المنكر كالنمر والخنزير والنقوس
والجهر بالتوراة والانجيل ويعنعون من المقام في الجحاز وهي مكة والمدينة والبيامة
ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم وحلالهم ويستوفي جميع ما يؤخذون
به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتمسوا أحكام الله انتقض عهدهم
وان زنى أحدهم بمسلة أو أصحابه بشكاح أو أوى عن الكذار أو دل على عورة للمسلمين أو فتن
مسلمين دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق أو ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قبل بنة نقض
وان فعل ما يمنع منه مما لا ضرر فيه كترك العيار واظهار الخمر وما أشبههما عز عليه ومتى
فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في أحد القولين وقتل في الحرب في القول الآخر •

• (فصل) • في تقدير الجزية اختلاف بين العلماء يقبل انهم مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الفتي ثمانية وأربعون درهما وعلى من دونه أربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب أبي حنيفة وابن حنبل واحمد قولي الشافعي وجعلوه كانه حكم امام فلا ينقص وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقرب وقيل انهم مقدرة الاقل دون الاكثر فيصير للامام ان يري يدعي ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من المومنين اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرقيما قولان بناء على العشر المأخوذ منهم هل هو تقدير شرعي لا يجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايةان ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبدالعزيز الى عبد المجيد بن عبد الرحمن سلام عليك أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور من العمال وسبني سيشة منها عليهم حال السوء فاحرز عليهم أرضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطبقون ولا من انعام الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة لیس الهامس ولا اجور الضرايين ولا اداة الفضة ولا هدية التبرؤز والمهورجان ولا تمن المحصف ولا اجور البيوت ولا دراهم الشكاح ولاخراج على من أسلم من أهل الارض والواجب أن يؤخذ ما شرب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير دراهم • (فصل) • وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر ان تظهروا عليه خارجة من كنيسة ولا يظهره صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبدالعزيز وأمر ان لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بجال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل النعمة من بناء ما خرب قال الاصطخري ان طينوا ظاهرا لحائط منعوا وان طينوا داخله الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلا على المسابن في البناء ويجوز المساواة وقيل لا يجوز

الخ كذا بالاصل

• (باب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاية) •

اعلم أرشدك الله تعالى ان منزلة العمال من الولى منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهده في ابتغاء صالح العمال واذا فقد الولى عمال الصدق كان كفقده المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرع للاستحسان والسيف للمناجزة والرمح للمطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصن ولكل منها موضع ليس للآخر والرجال الملوك كالاداة للصانع لا يسهل بدوهم بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأى والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر

ومنههم للدعام والوفار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل للعالم ملك ما لم يجمع
هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال ان يفلح قوم اسندوا أمرهم الى امرأة
وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرقة قبل من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على
قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أميران هلاك والله القوم وائس يشترط الا
في الامامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استخضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين
وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تتخاطب الخلفاء ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد
فتد كان اسمعيل بن ابراهيم بن أمة واسحق بن حرة ومحمد عليه السلام من ولد اسمعيل ثم اتهمه
في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر
بتقوى الله ولا أحد دون ان يؤمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل أسأته عمله
على أمر قد أمهني قالوا وكيف تريد قال اذا كان في القوم وائس أميرهم كان كأنه أميرهم
واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا ما عمله الا الريحع بن زياد الحارثي
قال صدقتم هولاء ويروي ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يسأته عملهم فقال له بعض
أصحابه عليك باهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهدوا وجرت وان قصروا قال
الناس اجتمعوا عمر (ولما) قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سألته عن
بشر قال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذلك الاعسر
الاجود الذي كان يامن عنده البرى ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف
موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال
الحكيم اعتبر الرجل بأفقه اللهم لا يعظم اجسامهم فان التمر مع عظمه لا يأكل الا امتنا
وطير الماء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم
ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه مخافة شره كالسوع يقطع اصبعه ثلاثا لتشتت السم في
جسمه وربما بفض الرجل فاكره نفسه على توليته وتقريبه لغناه بجده عنده كسكاره المرء
على الدوا البشع لنفعه الا ان الاسلام شر وطا فلا تقيم هذه السيرة عليها الا ترى ان على
ابن أبي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان هاوية واليا على الشام من قبل عمر بن
عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على أمرته وأرسل اليه بعده فاذا دخل
في بيتك فاعزله فقال له وحك الله أنا أمرني أن أطلب العدل بالجوهر ثم عزله فكان سبب
عصيانه وهكذا أشاروا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تقصروا منهم
وانما الناس أصحباب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدت الى التسوية فقال أنا أمروني أن أطلب
العدل بالجوهر فبين وليت عليه والله لولا كان مالي لسويت بينهم ولم أفضل بعضهم على بعض
فكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا
ويضعه عند الله في الآخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله الا حرمة الله تعالى
شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم مظهر له الود والشكر فذلك ملق وخدعة
لينال منه فان زلت به الذل يوما فاحتاج الى معونته وكفايته ما سلف من مبرته فنشر خايل

والام خدين واباك أيم الوالى وحب المدح فار من أحب المدح عتد كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سمالا لقضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج انفسك لالههم وقال النبي عليه السلام احشوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجلا يدح عثمان ابن عفان فأخذ كفاه من تراب فالقاه في وجهه وسمع النبي عليه السلام رجلا يدح رجلا فقال قطعت ظهر أخيك لوسعها ما أفلح بعد ها ووصف اعرابي أميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جنونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالحسن راج والمسي مخاطف وقال عبد الله بن الزبير وما لا يدع ابن هند ان كانت فيه لخارج ما تنجدها في أحد بعد ما أبدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على برائه باجرأ منه فيتمقارق لما وان كنا نخدعه وما ابن ليله من الارض بأدهى منه والله لو ددت أنامته عناه مادام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يتخون له عتل ولا ينقص له قوة وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن القارة أمامه دفاه لانه لا يقبل امر الله في الناس الا حصيف العدة بعد الغرة لا يطاع الناس منه على عورة ولا يتحقق في الحق على الجرة ولا يخاف في الله لومه لائم (وقال) مالك حارجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسأله ان يكتب له كتابا في أمر فقال اذهب الى منزلنا فأتني بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا فذهب فلم يجد عندهم الا اذن مزود فكتب له في ذلك الاذن (ولما) ولي المأمون يحيى بن أكرم قضاء البصرة بعد ان استمع عقله وعلمه وامتحنه بمسائل فوجده فوق ما يريد فتلقاه وجوه البصرة فرأوا شابا صبيها ما بقت لحية فتعجبوا ونظروا بعضهم الى بعض يقولون الا كفت ويعجزون الحواجب فقال له بعضهم كم سن القاضي أصله الله قال مثل سن عتاب ابن أسيد لما ولاد النبي عليه السلام مكة فها هو لخدمة جوابه وعرفوا فضله وكان لعباب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلى أمور الناس الا حصيف العقل واقر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد غير عنيف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومه لائم وقال أيضا ينبغي ان يكون في الوالى من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق قتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجوز عمن قتل عصفور بغير حق (وروى) ان الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال له اني لأحسن القضاء ولا انا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال للشرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من الجبله ومن لم يجل قل خطؤه وانت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فنضم اليك من تفقه به فولى فها وجدوا فيه مطعنا وقال اياس بن معاوية استحضري في عمر بن هبيرة فحضرت فساكتي فسكت فلما طلت قال ايه قلت سل عما يد لك قال اقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض القرائض قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العرب شيئا قلت انما أعلم قال فهل تعرف من أيام الجهم شيئا قلت انما أعلم قال اني أريد أن أسمع بك قلت ان في ثلاثا لا أصل معهن للعمل قال ما هن قلت أنا دميت كما ترى وأنا حديد وأنا ماعى قال أما الدمامة فاني لأريد ان أحسن بك وأما الماعى فاني أريد ان أعرب عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط فولاني وأعطاني ألف درهم فهو اول ما عاينته وقال سليمان بن داود

عليه السلام ما دافاة بؤة سلمت أشبالها باصعب من لقما جاهل راض عن نفسه

• (الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهد التي تؤخذ على العمال) •

اعلم أرشدك الله انه يجب أن يولى على الاعمال اهل الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للعناء للالهوى وملاك الولايات وأساسها أن لا يولى الاعمال طالب لها ولا راغب فيها. روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحي يا رسول الله استعملني فقال عليه السلام انما الاستعمال على علمنا من أراد فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى) عن يزيد بن جهم وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال والله دمر عروبن العاصي حيث قال موت ألف من العيلة أقل ضررا من ارتفاع واحد من السلسلة • وقال العلامة بن أيوب غضب المأمون على بعض أصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا أمانك الله أوبى لك دولة السفلى وقال رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد أذاه ادر كنت امرأ الصبيان وقال المستوغرالا كبر وكان قد عمر في الجاهلية ثلثمائة سنة

وما سقطت يوما من الدهر أمة • الى الذل الآن يسود زميها

إذا ساد فمنا بعد ذل لثمتنا • تصدى لنا ذل وقد أديها

وما قادها للخير الا مجزب • عليم باقبال الامور كرمها

وما كل ذي اب يعاش بفضل • ولكن لتدبير الامور حكمها

واعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال أهل الحرص عليها لانه لا يخطئها الا لصر في ثوب ناسك وذئب في سلاح مجاهد حريص على جمع الدنيا نابذ لدينه ومروءته دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اختصفت حقوق المسلمين واكاث أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا في أول الكتاب الآثار كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتى على قط فتى في عالمي الا وجدت سببه جورا لعمال (فان قيل) فنامعني قول يوسف عليه السلام للمالك اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم (قلنا) يوسف كان نبيا من أنبياء الله تعالى وثامان نفسه بالكساية والامانة يزيدي من لا يتحقق بواطن أسرار ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات في أيدي من ليسوا أهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار ولا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل أن يذ كر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قول بعض أصحاب الشافعي اذا كان القضاء في يدي من لا يصلح له وجب أن يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقها الامصار على خلاف هذا الرأي ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل ونظم كلمة الاسلام فلما ذنبه على نفسه • ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبسا غليظا الشقيين مصنف القدمين لامرأة من بني الحسحاس وكان جديسا لدارد عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي بعثني انبوتهم يشاء فقال لقمان

يا جبريل ان امرني ربي فسمع وطاعة وان خيرني اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه
 الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان
 أوتيت الحكمة وأوتي داود البلية * وروى أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع
 فأقام حولاً بصرة صفة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأله عن ذلك فلما تم - حل لبس داود الدرع
 وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت - حكمة وقليل فاعله * وكان عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه اذا بعث عاملاً شترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل
 النسق ولا يتخذ حجاباً ولا يغلق بياض حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا أستعملك
 على أيشارهم ولا أعراضهم ولا أعمالهم وانما أستعملك لتعلمي بهم وتقضي بينهم بالعدل
 (وروى) عباية بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن أبي وقاص اتخذ قصراً وجعل عليه
 باباً وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عازماً أن يوقى بالامر كما هو
 عليه بعثه فقال له أنت سعد فأحرق عليه بابيه فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زنده واستورى
 ناراً ثم أحرق الباب فأتى سعد الخيل ووصفه بصفته فخرج اليه سعد فقال له محمد انه
 قد بلغ أمير المؤمنين انك قلت انقطع الصوت فخاف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد تفعل
 الذي أمرنا به ونؤذي عنك ما تقول ثم ركب راحته فلما كان يعطن البرية أصابه من الخوص
 والجوع ما الله به أعلم فابصر غمماً فأرسل غلامه بهما مته فقال اذهب فابزع منهم شاة فجاء الغلام
 بالشاة وهو يصلي فارد ذبحها فاشار اليه أن كف فلما قضى مصلاته قال انظر فان كانت لوكمة
 مسيتم افاردها الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هي - لوكمة فرد
 الشاة وأخذ العمامة فاخذ خطام ناقته فجعل لا يمر بقلعة الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم
 فأتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شيء غير هذا أتيناك به فقال بسم الله كل - لال أذهب
 السغب خير من ما كل السوم حتى قدم المدينة فقتل باهله فبقر من الماء ثم راح فلما أبصره عمر
 رضي الله عنه قال له لولا حسن الظن بك ما رأيت أنك أدبت وذكروا أنه أسرع السير فقال
 قد فعلت وهو يعتمد ويرجو بحاف بالله ما قال فقال عمر هل أمر لك بشيء قال ما رأيت مكاناً أن
 تاهري فقال عمر ان أرض العراة أرض رقيقة وان أهل المدينة يوتون حولي من الجوع
 فخشيت أن أمر لك بشيء يكون لك بارده ولى الحمار * وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه استعمل مولاه يدعى هنبا على الحبي فقال الهني اضعهم جناحك عن المسلمين واتق دعوة
 المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصرية وانخمة وابالك ونعم ابن عوف ونعم بن
 عفان فأنم - ما انتم لك ما يتهم ابرجعان الى زرع وتخل وان رب الصرية والغنية انتم لك
 ماشيتهم ما يتبين بينه فيقول يا - بر المؤمنين اقتاركم انالاً بالاك فالماء والكل لا يسرع على من
 الذهب والورق واما الله انهم ليرون اني قد ظلمتهم اسم التلادهم فاتلوا عليهم في الجاهلية وأسئلوا
 عليهم في الاسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحجل عليه في سبيل الله ما حبت عليهم من
 بلادهم - مشيراً (ومر) يوماً ببناء يبني بجارة وجهه فقال لمن هذا فذكروا له أنه لعامل من عماله
 على البحرين فقال أبت الدراهم أن لا يخرج اعناقها وقاسمها له (وكان) يقول لى على كل
 خائن أمين الماء والعطين * وكان أنوشروان يكتب على عهد الامال سمن خييار الناس بالهبة

وامرئح للعامة الرغبة بالرهبة وسر سقطة الناس بالاخافة (وقال) سليمان بردادوس علمهما السلام كما يصلح المهمل للفرس والرس للعمار كذلك يصلح القضيبة لظهور الجهال * وفي الامثال من لم يصلح بالين أصح بالتلين * وقال هلال بن سيار استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة بأمة غيرة قال خرجت يا رسول الله ومأثرى انى فى لى على أحد من القوم فارجعت الا وكأنهم عميىدى قال وكذلك الامارة بأمة غيرة الامن وقاه الله شرها قال والذي بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يمنعك ان تفشى العمل فى الافاضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من أن أدنسهم بالعمل * وقال ابرهيم النخعي كان عمرا إذا قدم عليه الوفدا لهم عن حاجهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم جدا فقه تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان قبل * ومثل السلطان اذاولى الأعمال الظالمين مثل من يستريح غنمه الذئب ومثل من يربط الكلب العقور ييباه وان العامة تشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبيد الملك بن مروان لانه الذى استرعاه الرعية وقد قيل

ومن يربط الكلب العقور ييباه * فقه رجيع الناس من رابط الكلب وكان العلامة ابن أبى بشار بن فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول أنهم حيونى عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه فعلى انصافه ونفقتهم جائبا وراجعا وأمر العمال ان يقرؤا عهده على أهل عملهم فى كل جمعة ويقول لهم هل استوفيتم

* (الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات) *

روى أبو داود فى السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع ل أخيه شفاعة فآدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسرفية أنك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم أو اليد القاهرة صا ذلك واجبا عليك * وروى البخارى فى صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن التينة فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا لى قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لى أفلا عذرتى بيت ايه واهمه فيمنظر هل يملى له * قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فى أخذ نصف أموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من اين لك هذا المال فقال ابو هريرة وابتاتج وتجارات تداولت فقال اذا شاطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم * وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله أخوه ابلا نبعناهما الى الحى فرعت فقال عمر رعيتماني الحى فشا طرهما وشاطر سعد بن ابى وقاص حين قدم من الكوفة كله رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا ياله غيره فجعله كالضارب للمسلمين ولما دفع ابو موسى الاشعري مالاً من بيت المال اميد الله وعبيد الله ابن عمر بن الخطاب بالبصرة

اشترى بصله بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمران بأخذ جميع الربح فراجعهم عبيد الله فحكم بينهم
بنصف الربح فأخذوا جميعه فانصف الربح واخذ عمر النصف أبيت المال (وكتب) عمر بن
عبد العزيز الى عماله أما بعد فإنا هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشتري ويطلمهم
الماتل حتى يفقدى الملك بالدين يقوى والدين بالملك يبي (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه
بأمره إذا قدم عليه العمال أن يذبلوا نهارا ولا يذبلوا ليلا كي لا يتعجبوا شيئا من الأموال
وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في علي الذي ولاني النبي صلى الله عليه وسلم الأنوبين
معقدين كسوتهم مامولاي كيسان وروى أن عليا رضى الله عنه استعمل أبا مريم وود الانصارى
على السواد فوجع الى داره وقد امتلأت فقال ما هؤلاء قالوا ذلك يصنعون بالرجل اذا
استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا في أمانتي وروى في أمارتي فرجع الى علي وقال
لا حاجة لي في العمل وقد ذكركنا بالنبي صلى الله عليه وسلم لم دعا عبد الرحمن بن مرة يستعمله
فقال يا رسول الله اختر لي قال اقم في بيتك وفي الامثال ان الهدية تهني وتهم وقال بعض
الحكام الرشوة رشاء الحاجة وأشد بهضهم

إذا أتت الهدية دار قوم • تطايرت الامانة من كواها

(ولبعضهم)

ان الهدية حلوة • كالسهر تجتلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى • حتى يصيره قريبا
وترد مضاعف العدا • وذهب دجفونه حبيبا

(ومحافظه في الرشوة)

وأكرم من يثق الباب شخص • ثقل الحمل مشغول البدين
ينوء اذا مشى نفسا ونحوا • وينطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يمشى عليها • ابوالمنقوش فوق الصفحتين

(وقلت ايضا)

اذا كنت في حاجة مرسلا • وأنت بانجازها مغرم
فأرسل باكمه خلاية • بهصم أعطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى • رسول يقال له الدرهم
(وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد ارتضى بكرمه
اذا رشوة من باب بيت تقمعت • اتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كأنها • حلهم تولى عن جواب سفيه

• (الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق)

اعلموا ارشدكم الله تعالى ان هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقبلوا القوس ركوة فعدوا الى
اخلاق العامة وخلاتق الغوغاء والاديان وما يجرى بينهم اذا اتلاقوا وتعاشروا من
الافراط في مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتضعف والملتق والمرآة والمعايير

عن الامور المكشوفة التي يسوء اظهارها والا تخراط في ذلك المزاج والمهارة فهو دأوما
اشبه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا قس مانص الله عليه وورده من حسن الخلق
فأول ذلك ان تعلم انه لم تحتوا الارض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من
تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قاربها أو بعضها كان أحسن الناس خلقا
وكل خلق ليس بعد من اخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا فضل الخطاب
في هذا الباب بل عقل وانما أوفى الناس في هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العامة
واستحسنوا الاخلاق النبوية بلهملهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهما انما نزل عليك
من اخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء والاصفياء والعلماء والصالحين ما ترجوا ان يتقنوا
الله واياك به قال الله تعالى انبياءه وصفه محمد صلى الله عليه وسلم وانك اعلى خلق عظيم
الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد عالم
بؤنه غيره ثم ما أنبى الله تعالى عليه شيء من فضائله بمثل ما أنبى عليه بحسن الخلق فقال وانك
اعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه
عليه السلام من حسن الخلق قال عبيد الله بن عمر قلت لعائشة أم المؤمنين صفي لي خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي أما تقرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك بهذا
القول من قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعرف بالبحسن الخلق فاذا كان خلق النبي صلى الله
عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحت علمها وينهي عن كل نقيصة ورذيلة
ويوضحها ويبينها ولذلك لما أنزل الله تعالى خذ العذوة وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك
وتعطى من حرملك وتعرف من ظلك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر اين اخلاق
العامة من هذا اللفظ وان أحدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويقطع من سالمه
ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها اصول الفضائل وينبوع
المنابع لان في اخذ العذوة صلة الناطع والصفح عن الظالم راعيا للمانع وفي الامر بالمعروف
تقوى الله وصلة الرحم وموون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل
جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وقوة
النفس عن عماراة السفه ومجادة اللجوج فبذلك الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع
نصا وتنبها وضحا واعتبارا (وروي) انس قبل يا رسول الله اي المؤمنين افضل قال احسنهم
خلقنا (وروي) ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لائم مكارم الاخلاق
اقضي الحديث ان كل نبي مبعوث الى امة انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان ينساجم هذا
صلى الله عليه وسلم بعث ليمم مكارم الاخلاق فاذا من حسن الخلق انما مثال الشرائع باسرها
(وروي) البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قاحشا ولا متعصبا قال وان من
أحبكم الي احسنكم أخلاقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء
فجراني غليظ الحاشية فبذره اعرابي جبذة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد
مر لي من مال الله الذي آتاك قلت تأمر لي بذلك ولا يعمل أهلك فالتفت اليه النبي صلى الله

عليه وسلم وقال مر واله ولم يكلمه بشيء (وروي) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل * واعلموا ان الخلق الحسن افضل مناقب العبد وبه يظهر
جواهر الرجال والافعال مستور بخلقه مشهور بخلقه ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى
الله عليه وسلم بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمنزل ما اتى عليه بخلقه
* وقال بعض المتأخرين في قوله تعالى وانك اهل خلق عظيم قال لا تخصم ولا تخصم من شدة
معرفة الله تعالى وقيل لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعدهم عرفتك بالخلق وقال المحاسبى كظم
الغيظ واطهار الطلاقة والبشر الالبتدع أو فاجر إلا أن يكون فاجراً اذا انبسط استخيا
والعقور عن الزاين الا بآداب أو اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعهاد الاتفاق
منكر أو أخذ مظلة لظلم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق ان لا تغشيه عن يقف في
الصف بجانبك (وقيل) للاخفاف عن تعلم حسن الخلق قال من قيس بن عامر المنقري قال
بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسقود عليه شواء فسقط من يده فوقع على ابن
له فبات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر اذا رأى
واحدا من عبده يحسن الصلاة يعنته فعر فوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراة
فكان يعنتهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله الخدعنا * وقال الفضيل لو ان امرأ
أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة واساء اليها لم يكن من الحسنين (وكان المحاسبى) يقول
فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخامع مع الوفاء
وقال الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق * وكان عبد الله بن محمد
الرازى يقول حسن الخلق استغفار ما منك واستعظم ما اليك (وقال سهل) حسن الخلق ان
لا تطمع فيما ليس به هذه الصفة أحد الا الله تعالى * وقيل حسن الخلق تحمل انتقال
الخلق * وقال شاه الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن وقيل حسن
الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما ردد عليك من
جفاء الخلق وقضاء الحق بلا تجبر * ولا تخلق وقيل الخلق الحسن الاحتمال المكروه بحسن المداراة
(وقالت امرأة) لما لك بن دينار يا مرأتى فقال يا هذمه وجدت اسمي الذي أضله اهل البصرة
* وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تسهوا الناس باموالكم ولكن تسهوه
ببسط الوجه وحسن الخلق (وروي) ان ابا عثمان اجاز بسكة وقت الهجرة فالتى عليه من
فوق سطح طست رماد فغير أصحابه وبسطوا السننهم في الملقى فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من
استحق ان يصب عليه النار فصول على الرماد لم يجز ان يفضب * وقيل لابراهيم بن ادهم هل
فرحت في الدنيا فقام مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فيال على والثانية
كنت جالسا فجاء انسان فصعقني (وكان أويس القرني) اذا راه الصبيان رموه بالجاراة وكان
يقول ان كان لا بد فارموني بالجاراة الصغار كي لا تدموا على ساقى فقهه وفي الصلاة (وروي) أن
عياض الله عنه دعا غلامه فلم يجبه فدعا ثانيا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال
اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حلك على رجلي جواي قال امنت عقوبتك فتكاسلت قال امض
فانت حرو لوجه الله وهذا كآثر قوة الهية بفرغها الله على المصطفين من عباده واهل الصفوة

من أوليائه ألا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانتقصوا من حولك فخرده عن حشائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على
صحبته وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسمه من أخلاقهم مع كونه مستغفرا
بأسبلاء الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن الف
ما لوف ولا خرفين لا يألف ولا يؤلف وإنما سمى بالآدمي لأنه تألف من الجواهر والألوان (وقال
عليه السلام) رجلين متباغضين آدم الله بينكما أي ألف بينكما ومنه سمى الادمي المأ كول لأنه
يؤلف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أراد أن يتزوج امرأة
انظر اليها فإنه أخرى أن يؤدم بينكما أي يؤلف بينكما وروى أن معروفا الكرخي نزل الدجاجة
يتوضأ ووضع مصحفه ومطهرته فجاءت امرأة فاخذته ما فتية بها معروف وقال بأختي أنا
معروف لا بأس عليك تلك ابن يقرأ آيات لا قال فزوج قالت لا قال فهات المصحف وخذ الثوب
(وروى) أن أناذر كان على حوض يسقى ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس
ثم اضطلع فقتل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس
فان ذهب عنه والا فلينطح (وقال علي بن ابي طالب) رضى الله عنه أنا انصاف كفا نرى
قطعهما وقال ابو ذر اننا انكسرت في وجوه قوم وان قلوبنا تلعنهم وقال الحرث بن قيس يعجبني
من القراء كل طليق مضحك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاه بعبوس عن عبدك بعله فلا أكثر
الله في المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة بنى تمكن كذلك طيبة وليكن
وجهك طلقا وتكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يعجب صاحب السوء لا يسلم
ومن يعجب صاحبها لا يغم (وروى) ان ابراهيم بن ادهم خرج الى بعض البراري فاستقبله
جندي فقال له اين العمران فاشارة الى المقبرة فضر برأسه فاوضعه فلما باوزه قيل له هذا
ابراهيم بن ادهم فانه خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتني سألت الله لك الجنة فقال
لم تقال قد علمت اني أوجر على ذلك فلم ارد ان يكون نصيبي منك الخير ونصيبيك مني الشر (وحكى)
ان ابا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافي باب الدار قال بالاستاذ ليس لي وجه في
دخولك وقد ندمت فانصرف رجعك الله فراجع ابو عثمان فلما وافي منزله عاد اليه الرجل وقال
يا استاذ ندمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة فتنام ابو عثمان ومضى معه فلما وافي داره قال
مثل ما قال في الاولى واخذ يعتذر ثم كذلك في الثالثة والرابعة وابو عثمان ينصرف ويحضر
ثم قال يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويعدده فقال
ابو عثمان لا تدحني على خلق تجده مثله مع الكلاب فالكلب اذا دعي حضر واذا جبر انزعج
(وروى) ان بعض الفقراء نزل على جعفر بن حنظلة وكان جعفر يحضه وهو لفقير يقول انم
الرجل انت لو لم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيدتي لا تنقدح فيما تحتاج اليه من الخدمة فقبل
لنفسك الشفاء وفي الهداية (وروى) ان ابا جعفر التميمي المتعبد لقي بعض الاجناد معه
كأب للصبي فقال له خذ هذا الكلب وقده خلني فاني فضر برأسه بالسوط حتى أوجعه
فقال له بعض المارين ويحك هذا ابو جعفر القمودي العابد فنزل عن فرسه وجعل يقبل يديه
ويعتذر اليه فقال أنت في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودي ليالى عديدة

فقال انما ادعوكم عار يض قد علم الله ذلك من نبي اما قولى ابقاك الله وتولاك فاريد ان يبقيه الله لغرم الجزية وتولا بالعذاب واما قولى اقر الله عينك فاريد ان تقرر حركم با تبرع عرض اها فلا تحرك جفونهم واما قولى يسرنى والله ما يسرك فان العافية تسرنى كما تسره واما قولى جعل الله يومى قبل يومك فاريد ان يجعل الله تعالى اليوم الذى ادخل فيه الجنة برحمة قبل اليوم الذى يدخل فيه النار بكفرة

(الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته)

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الناسقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه الاوصاف الثلاثة انكفروا الظلم والفسق وقال سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (وقال) أحمد بن خضيرة يرويه لواذن لى فى الشفاعة ما بدأت الا بالظالمين لاني ثبتت لعزىة الله تعالى فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا اعتدتم سفر الا يكون فيه من لا يؤذيني ويظلمنى شوقا منى لعزىة الله تعالى للماظلمين وقال ميون ابن مهران كفى به هذه الآية وعيد للظالم وعزىة للمظلوم وقال كعب لابى هريرة فى التوراة من يظلم يخرب بيته فقال أبو هريرة ذلك فى كتاب الله تعالى فملاك يوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى شئ الى سلب النعم وحلول النقم (وروى) مسلم فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستمروا فى الهدى كما يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموا فى أطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسبوا فى كسكم يا عبادى انكم تحطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروا فى أغفر لكم يا عبادى انكم ان تبغوا ضررى تقصر وفى ولن تبغوا نفعي فتشعروا فى يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئا يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانكم وجنكم كانوا على أجفر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسئلة ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المحيط اذا دخل فى البحر يا عبادى انما هى أعمالكم أحصياكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويه أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر ومسند الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ادريس اذا حدثه جنى على ركبته وروى عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال الظالم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بيننا وبين الله حجاب وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاهية عنده مظلمة من عرض أو شئ فليخلفه منه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا ظومة من سبع أراضين قال أبو جعفر الطحاوى معناه انه يقبض شجاعا أقرع فيطوقه كما قال النبي

صلى الله عليه وسلم لم يمنع الزكافيجي ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع يديه ويقول أنا مالك أنا
 كذلك فكان هذا إذا خلا في قوله تعالى سيطوقون ما يفتخرون به يوم القيامة وروى أبو هريرة أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال مطلق الغنى ظلم وروى أبو موسى الأشعري قال قال النبي صلى الله
 عليه وسلم إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وقرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي
 ظالمة إن أخذه اليه شديد وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالماً أو
 مظلوماً قالوا يا رسول الله كيف هذا انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً قال تأخذ فوق يده
 وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أهل النار لم أرهما نام معهم سيئات
 كأذناب البقر يضربون به الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات على رؤسهن مثل
 اسفحة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها وقال الله تعالى وإذا اردنا أن نهلك قرية امرئاً
 مترفها فنفسها فيها الحق عليه القول فدمرناها تدميراً وفي الآية تأويلان أحدهما امرئاً هم
 بالطاعة فنفسها أي خرجوا عن الطاعة والثاني على قراءة المدنى أي كثرت أعدادهم واستغنوا
 التسم عليهم فغصوا وتباغوا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة
 مأمورة أي كثيرة النجاج (واعلموا) أن حشرات الأرض وهوامها تلحق العصاة وقال مجاهد إذا
 أشعثت الأرض تقول البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم الله
 ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحسل لتقوت بذنب ابن
 آدم يعني أن بذنوب الخلق يتبع القطر فلا تنبت الأرض فتتهدأ الدواب والحشرات ومع أبو
 هريرة وجلا يقول إن الظالم لا يضره إلا نفسه فقال بلى والله إن الحبارى لتقوت هزلاني وكرها يظلم
 الظالم وقال ابن مسعود خاطبته بنى آدم قتلت الحسل (وروى) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة
 فقال الرجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله قال وإن كان قضيباً من أراك وقال ابن عباس
 ما ظهر الفلأول في قوم قط إلا شافهم الموت ولا تنقص قوم المكيال والميزان إلا انقطع عنهم
 الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا شافهم الدم ولا خرق قوم بالعهد إلا سلب عليهم العدو وقال
 بعض الحكماء إذا كر عند الظالم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يجيبك رحب
 الذراعين بسيفك الدماء فإن له قاتلاً لا يموت (وروى) أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظن إذا ما كنت مقتدراً * فالظلم مصدره يعرض إلى التدمر

تنام عينك والمظلوم منتصب * يدعوك عليك وعين الله لم تنم

انشدنا قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغانى رحمه الله يبعداد

إذا ما هممت بظلم العباد * فكن ذا كراهول يوم المهاد

فإن المظالم يوم القصاص * لمن قد تزودها شرزاد

وقال مصنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شيئاً قط هبتى رجلاً ظلمته وأنا أعلم
 أن لا ناصر له إلا الله فيقول لى حبيبك الله يبنى وبينك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فين
 لا ناصر له إلا الله وقال أبو سليمان الدراوى لما دخل أخوه يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه
 وكان على وجهه برقع فخلا بكبيرهم وكان ابن خالته فقال لهم أوصاك أبوك قال بأربع قال

قال وما هن قال يا بني لا تتبع هو التفتت فارقا يمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر من طقك بما لا يعينك فتسقط من عينه ولا تنس بربك الطن فلا يستجيب لك ولا تسكن ظالمًا فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على ابن الفضل يوم اقبل له ما يبكيك فقال ابني على من ظلمت اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولهم ود الوراق

اني وهبت لظالمى ظلمى • وتركت ذلك له على
ورايته اسدى الى بدا • لما ابان بجهله حلى
رجعت اساءته عليه واحسانى فاب مضاعف الجرم
وغدت ذابرا ومجدة • وغدا بكسب الذم والانم
ما زال يظلمنى وارجمه • حتى رثيت له من الظلم
وكأنما الاحسان كان له • واتا المسى اليه في الحكيم

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجردنا صرا غيرى (وقال) ابن مسعود لما كشف الله العذاب عن قوم يؤنس ترادوا المظالم حتى ان كان الرجل يقطع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال ثور بن زيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لا وشك أن تحترق وقال الحكيم العدل حرمة والظلم ظلمات فالعدل يجرب اليك الخواص والجور يهجم عليك الجوارح فاحذروا لاجنة له الا النقة بنزول الغير ولا سلاح له الا البتال الى مقاب الدول قال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يامعشر الظلمة لتجالسوا اهل الدكر فانهم اذا ذكروني ذكركم رحمتي واذا ذكروني ذكركم بلغوني وقال أبو امامة يحيى الظالم يوم القيمة حتى اذا كان على جسر جهنم نقيه المظالم وعرف ما ظلم به غاييرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما يديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على اناس وقد اقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال أما انى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وأخبرني رجل عن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عيناه المكاسين يدور حولهم فقرأت في النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجي فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فسالته فقال من الخبيم فقلت له فالى أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف اقيمت قال وماذا اقيمت كان لحي قد جعل في هاوون ودق حتى صار مثل الخ (وأخبرني) رجل من أهل العلم والدين قال راب فلانا البياع في النوم بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة قلت فبماذا قال كنت أبيع في الدكان فيردحم الناس على فأخذوا همهم فاضها في نبي وكلما تفرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فاختلطت في نبي الفضلات فجاء اثنان فدفعتا لاحدهما بقضة الاخر وكانت انقص من فضته بحجة ثم حوسبت فبقي على حبة فقلت فادفع له الحبة ويخلص بفعل بقلب ههنا ويقول من أين ادفع لمن أين ادفع له فكثرت رها مرأت

(وروى) أن يونس عليه السلام لما ذاب العراء وأنت الله عليه شجرة من يقطين كان بأوى الى
ظلمها قيدت فبكى عليها فأوحى الله تعالى اليه تبكى على شجرة فقدتها ولا تبكى على مائة ألف
أو يزيدون أردت أن اهلكهم * وقيل لابن السماك الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس
قال بين مظلوم لا يتصف وظالم لا ينتهي * وقال بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من
حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده * وقال رجل كنت جالسا عند عرب بن عبد العزيز
فذكر الخراج فسلم بيته ووقعت فيه فقال عمران الرجل انظلم بالظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم
ويسبه حتى يستوفى حقه فيكون للظالم حق عليه * وقال عرو بن دينار ادى رجل في بني
اسرائيل من رآني فلا يظلم أحدا واذار رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يسكى ويقول من
رآني فلا يظلم أحدا فستل عن حاله فقال بينما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام
اذ مررت بنبطي قدام طراد تسعة أنوان فاخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت رأسه فعض
النون ايماءى عنده بسيرة ثم كلناه فوقعت الاكلة في ايماءى فالتفت الاطباء على قطعة فقطعته
فوقع في كفى ثم ساعدى ثم عضدى فن رآني فلا يظلم أحدا فخرجت أسج في البلاد وأريد
قطع عضدى اذ رفعت لى شجرة قاوت الى ظلمها فقتلت فقتل لى في المنام لى شئ تقطع
أعضاءه رد الحق الى أهله فحقت الصيا فقلت يا عبد الله أنا مملوك فاعةنى فقال ما عرفك
فاخبرته فبكى وتضرع وقال أنت في حل فلما قالها تنازل الدود من عضدى وسكن الوجع
فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسي وأخذت السمكة انظرت الى السماء وبكمت
فقلت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقتنى
وخلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا فاسألك يا من خلقتنى وخلقته أن تجعله عبرة لخلقك
(وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدروهم على الانتقام وان أنقص الناس عتلا من ظلم
من دونه * وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم
لا يعبأ الله به شيئا فاما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله وأما الظلم الذى لا يتركه الله
فظالم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد لما بينه وبين الله تعالى * وقال
ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة فناته ان يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت
أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفى رجل من الحوار بين فوجدوا عليه وجدا
شديدا وشكوا ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاجابه الله تعالى
وفى رجليه فعلا من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا انى مرت عظامي
فلم أقصره فتعلت هاتين العليين وأما أنا ما وصيك اذا فعلت باحد مكرورها فادع الله تعالى له
واستغفره كما فعل موسى عليه السلام لما أذى هرون وأخذ بطيته ورأسه ثم نبين له برأه
وأن بنى اسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة الجبل فقال رب اغفر لى ولا تخى وأدخلنا فى رحمتك
وأنت أرحم الراحمين (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال فاهلكهم الله بها كانوا
يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار الممطرة وفى المياه الحاربة وفى شطوط الانهار وكانوا
يخذفون الناس بالحصى فيموتونهم واذا اجتمعوا فى المجالس أظهروا المنكر باخراج الريح
منهم والمظلم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا وياتون بالظلمة الكبرى

وهي اللواطة قال الله تعالى أنتم كنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبل وتأتون في ناديك
المنكر والننادى المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلالقة وضرب الدف وشرب الخمر
وقص اللحية وتطويل الشارب والتصديق ولبس الحرمة وتزويد عليهم هذه الامة بآيات
النساء بعضهم بعضا وانما حملهم على آيات الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة في منازلهم
وحوائطهم فاصابهم قحط وقلة من الثمار فقالوا بآي شيء تمنع ثمارنا حتى لا يطررها أحد من
الناس فاضطجوا على أن من وجدوه فيها نكحوه وغرموه أربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها
أحد من العالمين قال ابن عباس فكان بدء الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابلهس
في هيئة صبي أجل شيء رآه الناس فنكحوه وتجرأ على ذلك وقال أبو العاتية
أما والله ان الظلم لؤم * ولكن المسمى هو الظلوم
الى ديان يوم الدين غضى * وعند الله يجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تنقض * فتخبرك المعالم والرسوم
(وروي) ان أنوشروان كان له معلم حسن التاديب فعلمه حتى فاق في العلوم فضر به المعلم يوما من
غير ذنب فأوجعه فخذ أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال له ما جعلت على ما صنعت من ضربتي
يوم كذا وكذا اظلمت المارأتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد آيائك فاجبت ان أذهب
ظم الظلم لثلاث ظلم فقال أنوشروان زه

(الباب السابع والخمسون)

في تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤل اليه أمرهما
من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هما زشاء بنعيم متاع للغير عند أثيم عتل بعد ذلك
زقيم فذكر الله تعالى في القرآن أصناف أهل الكفر والالحاد والتثليث وأهل الدهر
والظلم والفسوق وأشباهم ولم يسب الله سبحانه أحدا منهم الا التمام في هذه الآية
وحسبك بها خمسة ورذيلة وسقوطا وضعة وهذه الآية تزات في الوليد بن المغيرة في أصح
الاقوال والهواز المغتاب الذي ياكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو
الذي يغمز باخيه في المجلس وهو الهمة الممزة والعتل في اللغة الغليظ وأصله من العتل
وهو الدفع بالقوة والعنف وقال علي رضي الله عنه والحسن البصري العتل الفاحش السيئ
الخلق وقال ابن عباس العتل الفاتك الشديد المناق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول
الشرب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا ينشعبه وقال يمان هو الجاني القامى اللثيم
العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبي الشديد في كفره عند العرب عتل وقيل العتل
الشديد الخصومة بالباطل والزئيم هو الذي لا يعرف من أبوه قال حسان بن ثابت
وأنت زئيم يطي في آل هاشم * كما يطي خلف الراكب القدح الفرد
(وقال غيره)

زئيم ليس يعرف من أبوه * بنى الام ذو حسب لثيم
وقال أكثر النقلة هذا رجل انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون

غاما الا وفي نسبه شيء وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة رجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف
 حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو اغير رشده يعني ولدنا وقال أبو موسى الاشعري
 لا ينبغي على الناس الا ولديني وقيل الزنيم الذي له زينة في عنقه يعرف بها كاتعرف الشاة قال
 ابن عباس لما وصفه الله تعالى بثلث الخصال المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم يعرف لانه كانت له
 زينة يعرف بها كاتعرف الشاة بزنتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
 بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معط بعثه النبي صلى الله
 عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الواقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه
 تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم فنزع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني
 صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله
 كذا فنزلت هذه الآية وسماء الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سمعوا نكذبا
 أكلون للصحبة فمهر الله تعالى بين السامع والقائل في القبح وسأوى بينهم في الذم فكان فيه
 تنبيه على ان السامع غمام في الحكم (وأما ما روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم
 في الصحيح قال همام كُتِبَ حذيفة فقيل له ان رجلا رفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله
 عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ آخر غمام
 • وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بشرا رخصكم قالوا بلى يا رسول الله قال من
 شر اركم المشاؤون بالنعمة المفسدون بين الاحبة المياغون العميوب • وروى أبو هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل سفار ملعون
 كل قتات ملعون كل منان فالسندار الحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام
 والمنان الذي يعمل الخير ويعين به • وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين
 فقال انهم الى العذاب وما يعذبان في كثير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الآخر
 فكان يمشي بالنعمة فاخذ حريدة رطبة فشقه اثنى عشر فرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم
 فعلت هذا قال لعله يتخفف عنهم امامي بيضا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم • (وأما السعاية) •
 الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة تجمع الى الخصال المذمومة
 الغيبة ولو لم تكن النجاسة والتغريب بالنفوس والاموال والقنح في المنازل والاحوال وتسلب
 العزيز عزه وتخط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكمن دم أراقه سعى ساع وكمن
 حريم استنيج بنجيت باغ وكمن من صفين تقاطعا ومن منوا ملين تباعدا ومن محبين تباعضا
 ومن اقيمت اجرا ومن زوجين افترقا فليقل الله ربه رجل ساعده الأيام وتراخت عنه
 الاقدار ان يصح لساع أو يسمع لنمام • وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة
 لا يدخلها ديوث ولا قلاع فالديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يثب بينهم
 والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل التمكّن عند السلطان
 فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه (وقال كعب) أصاب الناس قط شديد على عهد موسى صلى الله
 عليه وسلم فخرج موسى يستقي بئرا اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانيا فلم يسقوا ثم خرج الثالثة
 فاوحى الله تعالى اليه اني لا استحيب لك ولا لمن معك فان فيكم غما فقال يارب من هو خطي

فخر به من بيننا فاحسب الله تعالى اليه يامسى انها لكم عن النجعة وآتيا فأتوا فإرسلا فقه سبحانه
 عليهم الغيب * ولما لقي اسقف نجران عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يا امير المؤمنين احذر
 قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل بائى الامام بالحديث الكذب فيقبله الامام
 فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك أبعدت * ووجدنا في حكم القديما
 أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسبى بالنجعة باخيه الى الامام فيهلك نفسه
 وأخاه وامامه (وذكرت السعابة) عند المأمون فقال لولم يكن من عيهم الا انهم اصدق ما يكونون
 أبغض ما يبعثون عند الله تعالى * وقال حكيم القرم الصدوق زين كل أحد الا السعابة فان
 الساعى اذم وآتم ما يكون اذا صدق (وروى) أن رجلا سعى بجواره عند الوليد بن عبد الملك فقال
 له الوليد أما أنت فتخبرنا انك جارسو ان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أبغضنا لك وان كنت
 كاذبا عاقبنا وان شئت ناركك قال تاركنى يا امير المؤمنين قال قد تاركك * ولله در الاسكندر
 حين وشى اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلناك على صاحبك بشرط ان تقبله عليك
 وان شئت أقتلك قال أقتلنى قال قد أقتلناك كف عن الشريك عنك الشر (ومن العجب)
 الذى لا يحب بعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسال الناس عنه هل هو من
 أهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم يتم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال
 فتقبله * وقال يحيى بن زيد قلت للحسن بن على رضى الله عنهم الماسى اسم أخبرنى من سقائه
 فدعوت عينا وقال أنا فى آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة ناصر فى ان أغر * قال
 رجل للمهدى عندى بصيحة يا امير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه ألتا ام اعمامة المسلمين أم
 لنفسك قال لك يا امير المؤمنين قال المهدى ليس الساعى باعظم عورة ولا أجمع حالا من قبل
 سعابته ولا تخولون ان تكون حاسدا نعمة فلا تشفى لك غيظه أو وعدا فلا تقابل لك عدوك
 ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس لا ينصع لنا ناصح الا بآلة فيه رضا وللمسلمين فيه صلاح
 (وروى) ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن مهمل فوقع على ظهره كاهن فخرى فقبول السعابة
 أشرم من السعابة لان السعابة ذلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبل وأجاز لان
 من فعل أشرم قال (وروى) ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهره هذه نصيحة
 لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لى أننا على الله تعالى (وروى) ان رجلا قال للمأمون
 يا امير المؤمنين اقل الله فى أصحاب الاخبار فانهم قوم ان أعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا
 فان أعطوا مدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المأمون لله درهمان كلمة
 ما أقصدها وأبين فضلا وأمران ثبت فى أمراء أصحاب الاخبار (وقال مروان بن زباج)
 العيسى يابى عيسى احفظوا عني ثلاثا من نقى اليكم نقى عنكم واياكم الترويج فى
 البيوت السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان
 استكثروا يمكن * وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم
 السعاة والفسامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا المودات * وقال حكيم العرب اياك
 والسعاة فانهم أعداء عقلك ولصوص عدلك فيفرون بين قولك وفعلك (وفى المثل السائر)
 من اطاع الواشى ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبى ويتطعم اللحم بالسيف فيضدمل

واللسان لا يشد مل بجرحه وأحق الناس برعاية مرامته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكم واستودعته من هذه السير من آتاء الله سلطانا ومكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا أطاع الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من أراد ان يسلم من الاثم وينقي له الاخوان فيجعل نفسه بينه وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل أحد في أحد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فانا قد أحينا بقول أقوام وابعضنا بقول آخرين فاصبحنا نادمين ومن اطيع حكمه الله تعالى في النجاة لماعلم من شؤمها واستطار قشرورها وعموم مضرتها في الوري حكمه بقسوق الغمام حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره (وقال) ابن عمرو وقد الله الحاج ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان الى الناس ويسالهم عن حالهم فيخبرونه ان الناس راضون ولبسوا براصين واعلموا ان الله تعالى خلق الانسان على انحاء شتى لئلا تكثرها الا ان لكثرتها وطول تتبعها فخلق الله الحواس الشريفة والاعضاء النافعة للنفيسة في أفضل ما ركب فيه اللسان الذي هو آلة النطق والبيان وبه فصل بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر الحيوان وامتن عليه في أول سورة الرحمن فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وخلق فيه أعضاء تدل وتستهان وجعلها تجري لفصول الطعام والشراب فمن يتبع سقطات الكلام ويروي عنرات الانام التي هي كالعورات الواجب سترها ودفعها كان قد اسلم لعمل أشرف الآلات في أخس المستعملات فصار كمن لمس بلسانه سوءة أخيه وجعل أكرم جوارحه لآخر أجناس المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتبعه نمل الجسد ويقامى صحبه وقد كان له في نشر الحاسن شغل ولكن أهل كل ذي حال أولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن مطايع فلا تكن ذباياتفسد ومن لم يقدر على جميع النضائل فلنكن همته ترك الرذائل واذا تبخع الامام عورات الناس أفسدهم (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع قوما من أصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم حذر ان لا يفسد قلبه عليهم ولوعلم الذي يسمع أخبار الناس ما جرى على نفسه لعلم ان الصمم كان أهنأ بعينه وأنعم باليمن سماع الاخبار يا واحد ماذا عمل نقله الاخبار جلاو ذلك الصدق أو الكذب فتسكون في سماع الكذب بمن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب كالون للسمت ويكون في سماع الصدق جلالا لهم حرج الصدق على الخلق معاديا لهم متبعا لعنرات الخلق وخزانة لسقطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصف من قائل لانك ان كنت ذا قدرة أهلك الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقا لم يشف غفلك ثم أفسدت اخوانك وأبغضت من يجب ان تحبه وأحببت من يجب ان تبغضه ثم لا تزال تتحمل الحسائف وتزيد الاحقاد والاضغان وترصد لكل قائل يوما بشي صدر لك فيه فأعنى العاقل عن هذه البلية ولله در عمرو بن العاص روى انه لاحاه رجل يوما فقال له الرجل اما والله ان عشت لا تفرغن لك فقال له عمرو بن العاص الآن وقعت في الشغل يا ابن أخي

* (الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته) *

قال الله تعالى وانكم في القصاص حياة يا أولى الالباب يعني اذا علم القاتل والقاطع انه

يقتص منه اجمع ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياة الذي هم به (روى) ابن
 مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الدماء روى ابو هريرة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاهية منقلة فليتحلل منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم
 من قبل ان يؤخذ لاهيه من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات اخيه فطرح
 عليه وهذا حديث صحيح رواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزدر ذرة واحدة
 فكيف يؤخذ الظالم بذنب ركب المظلوم قلنا معنى الآية لا يعاقب احد بذنب احد ابتداء واما
 في مسئلتنا فقلت بقيت عنده وليس له وقام به فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله
 تعالى ولا يحمل انقالهم واثقالهم وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة في الذي تقضى يده
 لاحدهم احدى المنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل
 موته من كانت له عندي مظلة فليات حتى اقصه من نفسي فقام سوار بن غزية فقال يا رسول الله
 انك ضربتني على بطنى ايلة العقمة فاوجعتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال
 يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو
 كالقباطي يعني ثياب مصر فأكب عليه يقبله فقال يا سوار ما حملك على هذا فقال يا رسول الله
 دنا القاء هو لا المشركين ولا ندري فاردت ان يكون آخر العهد بك ان اقبل بطنك فهذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر له
 ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى اعدل من ان يدع مظلمة لاحد
 عندي ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة انا ظالم ان فاتني ظلم ظالم وروى ان
 داود عليه السلام يقدمه خصمه الى الله يوم القيامة فينتضى له عليه فيدفعه الى اورياشما
 ثم يستوجه به الله تعالى من اورياشما يعوض اورياشما على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان
 ابن عفان رضى الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له واذا في عنقه هاشي فاخذ باذنه فعركه ثم ندب
 فقال لغلامه قم فاقتص منى فابي الغلام فلم يزل به حتى قام فاخذ باذنه ثم قال يعرك وهو يقول
 شد شد حتى عرف عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واهالقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة
 (روى) عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لا وجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطنه عن ابن شهاب
 قال وقد أقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفة قتان من أنفسهم ليستق بهم ولم يتعمدا حيفا
 وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أندرون
 من المقلس قالوا المقلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال ان المقلس من أمي ياتي يوم القيامة
 بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب
 هذا فيعطي هذا من حسنة وهذا من حسنة فاذا قنيت حسنة قبل أن يقضى ما عليه أخذ
 من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان أبابكر الصديق رضى الله عنه
 لما ولي الخلافة ضرب رجلا ثم دم وقال مالي ولهذا الارردتها عليهم فمعهته فأنشئت فارسلت الى

عمر لجاهه عرف فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافي من هذا ان اضر ب فقال عمر كذلك
 الامام فقال فما المخرج قال ان تاتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فاتيته فاستحلاه دلت
 الا ثمار على ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذا جنى أحدهما على الآخر وان الامير
 اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المؤمر عليه - م
 حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت أمراء ليعلموا الناس دينهم - م
 ويقسمون بينهم فيهم ويعزلون فيهم ولم أبعثهم ليضربوا بأبشارهم ويحلقوا أشعارهم فن
 ظله أمير فلا امره عليه دوى حتى أخذته بحقه قال عمرو بن العاص الله الله يا أمير المؤمنين
 ان أدب رجل رجل من رعيته انك لا تقصه منه فقال عمر كيف لا قصه منه وقد رأيت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقص من نفسه (فاما القصاص بين البهائم) فاختلف الناس في حشرها وفي جريان
 القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال وحشر كل شيء الموت الا الجن
 والانس فانهم ما يوافقان يوم القيامة وقال معظم المفسرين انهم تحشرون ويقتص منها قال ابن
 حبيب تحشر البهائم وقال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب وقال أبو الحسن الأشعري لا تنقطع
 باعادة البهائم والجانين ومن لم تبلغه الدعوة ويجوز ان يعادوا ويدخلوا الجنة ويجوز ان يعادوا
 والدليل على ثبوت الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقال تعالى وما من دابة
 في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون (وروى)
 مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم
 القيامة حتى يتأد لشاة الجماعة من الشاة القرناء وقال أبو ذر انطلقت شاتان عند النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال اتدرون فيما انتطحنان قلت لا أدري قال لكن الله يدري وسيفضي بينهما
 قال أبو ذر لقد تركا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقرب طائر جناحه في السماء الا ذكرنا منه
 علما وقال أبو ذر ان الجبريل سئل عن نكبة اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم
 والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتيني أحدكم على رقبته بغير له ولاء على
 رقبته بقره لها أخوار على رقبته شاة تبعر ثم بسط لها بقاع فقرر فتطوء باطلا فها وتقطع
 بقرونها كلما مرت عليه أولاها عادت أخرها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن
 لا يجوز المقاصمة بين البهائم لانها غير مكافئة ولا يجري عليها التمسك قال وما ورد في ذلك من
 الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للبعائم من القرناء ويسئل العود لم خدش العود
 فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التنصص في الحساب وأنه لا بد ان يقتص للمظلوم من الظالم
 واي ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني قال في الجامع الجلي يجري القصاص بينها قال ويحتل
 انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلماذا جرى فيه القصاص وكلام الاستاذ له وجه
 في العصة لان البهيمة تعرف النفع والضر فتسفر من العصا وتقبل الى العلف وينزجر الكلب
 اذا زجر ويستاسد اذا شلى والطير والوحش يفر من الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجر
 عليها القتل في الدنيا فأنما رفع القتل عنها في الاحكام فان قيل القصاص انتقام وهو جزاء على
 جناية وقعت من مخالفة الامر والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا جوارح رسول والعقول
 عندكم لا يجب بها شيء على العقلاء فضلا عن البهائم وفي هذا اتصال عن قول الاستاذ انها

كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شيء وبشبهه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب انه ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكلفة كانت في المشيئة يفعل الله بها ما اراد كما سلط عليها في الدنيا الاستسغار والذبح فلا اعتراض عليه والله تعالى ان يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يؤلم البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد دحمتها والآية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يحرم عليهم القلم في الدنيا فاقام رفع القلم عنها في الاحكام ولكن فيما بينهما اتواخذ وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام فهدمه عجماء عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب بملكه لا بالعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر الذي مر بثوبه وبنو اسرائيل يتظرون عورته رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضر به بعصاه واخبر بفر موسى يقول نوبى مخزوبى حجر قال ابو هريرة قال الذى نفسى سيده انه لتدب بالحجر ستة اوسبعة وروى في تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التى تكسر الناس في الدنيا وروى ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع اياته فسأله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فلا ادري اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تناول بعضهم قول ابن عباس خسرهم اموالهم انهم خسر لضر من القصاص بينهما ثم تصير ترابا قلت وتاويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس في سوتها جمعها بل فيه تفرقتها وتفرقة اجزائها ثم قد قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى ربها

(الباب التاسع والخمسون في التبرج بعد الشدة)

قال الله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال انبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر ان يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذى نفسى بيده لو كان العسر في حجر لطمه اليسر ان يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسم صفة فانه اعادته كذلك فهو وفاد ان كثرته ثم كثرته كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن نال الزمان يلوى * عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع ناكبات * شئت دونها الحياة ومليت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها * فالزاي اذا نالت نوت
واذا أوهنت قوال وجلت * كسفت عنك جملة فتجلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء النطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطلقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم فقأ ابراهيم منطلقا فنبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتترك هذا الوادى ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت

له الله أمره بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعة نام رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند
الذنية حيث لا يرونها الله تقبل البيت بوجهه ثم دعاهم ولاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني
أسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى يبلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل
ترضع اسمعيل ولوشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدم في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها
فقامت عليه ثم استابت الوادي هل ترى أحدا فلم تر أحدا ثم سعى الانسان المجهود حتى
جاوز الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فتنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فقامت ذلك سبع
مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم فلذلك سعى الناس بينهم فلما شرفت على
المروة سمعت صوتا فالتفت فترى ناقة فقامت عليها فقامت أيضا فقامت قد سمعت ان كان عندك غنات
فاذا هي بالملك عنده فوضع زمرم فبيح به عقبه وأقال بجناحه حتى ظهر الماء فخرجت تحوضه
وتقول يدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سفاتها وهو يقول بعد ما تنظر فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمرم أو قال لو لم تعرف لك انت عيناه عينا قال
فسربت وأرضعت ولها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فانهم بنيت الله تعالى بيني وبين
الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهلها (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك
ومرار بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس وتغير وانما حتى تنكرت لنا الارض بما رحمت فها هي
التي أعرف وكنت أطرف في الاسواق وأشهد الصلوات مع المسلمين ولا يكلمني أحد واني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم أسلم عليه وأقول في نفسي هل حركت شفتيه برد السلام ام لا حتى اذا طال
ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عتي وأحب الناس الى فسلمت
عليه فوالله ما رد على السلام فلما كنت خمسون ليلة من يوم نهي رسول الله عن كلامنا صليت
صلاة التجبر وانا على ظهريت من يوتنا فينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى قد ضاقت
على نفسي وضافت على الارض بما رحبت وما كان من شيء أهدم على من ان أموت فلا يصلي على
النبي او يموت النبي صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس في تلك المدة لا يكلمني أحد ولا يصلي
علي فأنزل الله توبتنا فسمعت صوت صارخ من اعلى الجبل يا كعب بن مالك ابشركم بخير مما
لله تعالى وعرفت ان قد جاء الفرج فجعلت توبي على الصارخ بشراء والله ما ملك غيرهما ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يرق وجهه من السرور فقال ابشركم بخير يوم مر
عليك منذ ولدتك أمك فقامت يا رسول الله ان من توبتي ان أتخضع من مالي صدقة الى الله تعالى
واني رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض ماله فهو خير لك (ووروى) ان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما شب ودرج في موضع ربي فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا فقال
انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الاثمين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
فلما أفل بعد طلوع التجبر قال ان لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فلما أصبح ورأى الشمس
بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني يرى الله اني وجهت وجهي
لذي فطر السموات والارض نبيفا وما انا من المشركين وحاجه قوم قال أتاجوز في الله

وقد هدان يعني الى الاسلام ولا أخاف ما نشر كون به إلا أن يشاؤني شيأ وسع ربي كل شيء علي
 إذا تذكرون قالوا يا ابراهيم أمتنا أن تصيبك بسوء أنت سبيتها وأعبتنا قال
 وكيف أخاف ما أشرككم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطاناً فأي القرى بين
 أحق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع أصناماً يعبدها قومه ثم يعطيه ابراهيم يبيعها
 فيكسرها ويذهب بها الى غيرهم فيصهرها فيه على رؤسها ويوقل لها اشربي استشريها واظهارا
 اقومه فساد ما هم عليه فتشأ ذلك عندهم من غير أن يبلغ ذلك غرود فأول ما بدأ قومه ان ينظر
 نظرة في الجحوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى أصنامهم فظنوا انه مطعون وكانوا
 يشرون من الطاعون إذا سمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فدخل عليها وهم قد
 وضعوا لها طعاما وشربا فقال الانأ كلون ماليكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها
 وقطع أيديها وأرجلها حتى جعلها جذاذا وأوراق طعامها وشربها وسجد الى الناس فعلقه
 بيد الهم العظيم ثم خرج عنها وتركها فلما رجع قومه من عيدهم دخلوا بيت أصنامهم فلما
 رأوا ما صنع به أراهم ذلك وأعظموه وقالوا من فعل هذا يا آلهتنا انه لمن الظالمين فقال
 بعضهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبهم ويستزئيهم فقال غرود فأثوبه على
 آئين الناس لعلهم يشهدون فلما أتى ابراهيم صلى الله عليه وسلم قالوا أنت فعلت هذا يا آلهتنا
 يا ابراهيم قال بل فعله مبهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا
 انكم أنتم الظالمون قالوا انا قد ظلمناه بما نسبنا اليه ثم قالوا قد عرفوا انهم لا تضر ولا تنفع
 لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم
 ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له غرود حين سمع ذلك منه صف لنا الهك الذي
 تعبد وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال غرود وانا حي وأميت قال
 كيف ذلك قال أخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما قائما كأنه قد أمته
 وأغص عن الآخر فاكون قد أحييته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت بزعمك
 وأخرج روحا من جسدي من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله يأتني بالشمس من المشرق فأت
 بهامن المغرب فهبت عند ذلك غرود ولم يرد الى ابراهيم شيأ وأمر به الى السجن فلبث فيه سبع
 سنين وجعل يدعو أهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر أمره وقشا واتبه
 قوم كثير على دينه فلما أرادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع أمرهم على ذلك بنوا حيزا طول
 جداره ستون ذراعا ووضعه الى سفح جبل منيف لابرهم ولا يرقا ولبطوا الجدار فلا يمشي
 فيه أحد الا زلق عنه وأذن مؤذن غرود أيها الناس احتطبوا النار ابراهيم ولا يتخلفن عنها
 ذكروا أني ولا حول ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك ألقى في تلك النار
 فماتوا في ذلك أربعين ليلة حتى ان المرأة منهم تنذر ذلك على نفسها التي رجعت عنها وأفاق
 عليها حتى اذا كمل ذلك قد فوافيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافة البعيدة فلما
 بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة الميزان فقال وهب بن منبه فبلغني ان السماء والارض والبحار
 وما فيها ضجوا الى الله تعالى ضجة واحدة قالوا يا ربنا ليس في أرضك أحد بعدك غيره فأذن لنا
 في نصرته فأوحى الله تعالى اليهم ان استغاث بشيئ منكم فانصروه وأغيثوه وان دعاني فانا

وليسه وناصره فلما وضعوه في كفة المتجنيق وقذفوه قال - سي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايمانك بكَ وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فاوحى الله تعالى الى النار ان كوني بردا وسلاما على ابراهيم فاطاعت النار ربها ولولم يقل سلامات من شدة البرد ولبت ابراهيم في النار سبعة أيام وظن قومه انه قد احترق ثم قال غروذا نظروا ماذا فعل ابراهيم فاني رأيت الليلة في نومي ان جدار هذا الحيز قد تمدم وخرج ابراهيم عشي قال وذاب النحاس الذي سديه باب الحيز واحترق الجدار فصار رمادا فاظلموا على ابراهيم فأروه جميعا سلبيا وخرج الى الناس يتطرون اليه على تلك الحال فلما رأاهم خرج عشي حتى قد عاد الى أمه وهي في الجمع وأقبلت ساوة وكانت أول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم اني آمنت بالذي جعل النار بردا وسلاما قالت لها أم ابراهيم احذري القتل على نفسك فقالت اليك عني فاني لا أخاف شيئا وقد آمنت بالله ابراهيم وحول ابراهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم يأتون ليجددوا العهد ابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا نسفت رماد تلك النار في وجوههم - وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومدكر به وقال بما هود وقادة وغيرهما ان نبي الله سليمان بن داود عليهم السلام انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له مضفر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الخلا باخاتم فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالتقاء في البحر فالتقته سمكة ونزع ملك سليمان منه وأتى على الشيطان شبه سليمان فاجلس على كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان غير انه فجعل يتقاضى بين الناس والناس يشكرون قضاياه حتى قالوا لقد قن نبي الله سليمان ومكث على ذلك أربعين يوما ثم أقبل في حالته تلك وهو جاثع نافع حتى انتهى الى صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له يا سليمان فقام اليه بهضم - ففصر به بهما فشح وجهه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم أعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم وتفن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم الى شاطئ البحر فشق بطونهما وغسلهما فوجدهما في بطن أحدهما فاخذته فلبسه فرد الله عليه بهما - وملكه وجاءت الطير فقامت عليه فعرف النور انه سليمان فجاءوا يعبدون اليه (وروي) وهب بن منبه ان الله تعالى وهب لابراهيم اسحق فلما كان ابن سبع سنين أوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يذبحه وان يجهده قربانا فكنتم ابراهيم ذلك عن اسحق وأمه وجميع الناس وأسره الى خبيث له يقال له العازر وكان أول من آمن به من قومه يوم أحرق فقال له ان الله سبحانه رفع اسمك في الملا الاعلى على جميع أهل البلاء حتى كنت أرفعهم بيلة ليرفعك الله بقدر ذلك في المنازل والقضائل وقد علمت أن الله تعالى لم يبتلك بذلك ليشترك ولا يضللك فلا بأس بالله عليك وأعوز بالله ان يكون ذلك حتما في - الى الله تعالى أو اضططاب بحكمه الذي حكم على عباده ولكن هذا حسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فيمكن عندا حسن علمك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فتمزي ابراهيم عليه السلام بقوله واسند له رأيه وبصيرته وانطق باسحق فلما بعد الجبل ومعه السكين والجبل وأداة القربان فقال له اسحق يا ابت أرى معك أداة القربان ولا أرى قربانا قال ابراهيم يا بني القربان بهين ربك ينظر اليه وان شاهدهم أباك فلم يفتن اسحق فلما وافق رأس الجبل قال ابراهيم يا بني ان الله تعالى أمرني ان اذبحك وأجعلك

قربانا برعك اليه ويتقبل فانظر ماذا ترى فتمل اسحق واسمى قحليل وقال له والد له لعلك ترفعني يا بني
 يا صرما فجع به والدوله وانى لارى من سرورك بذلك وشكر لك ربك امر الرجوبه العافسة
 والفرج فقال يا ابت لم يكن شئ من الدنيا احب الى من البرك وبابى وقد حرمه ربي فاذا
 اردت ذبحى فاشدد وثاقى فانى اخاف حين يفرقنى عقى واجدالم الحديان ينحر كى منى عضو
 فيؤذيكم وأنا كره ان اختم بذلك على فاذا فرغت من امرى فاقرئ ائى السلام وقل لها
 لا تجزعى فقد اكرم الله لك ابنك فى جناحه فلما فرغ من وصيته عمدا ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه
 فمصبه بعمامته ما بين منكبيه الى الكعبيين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كى لا تدر كده
 رحمة اذ هو تنشط فادخل يده من تحت خافقه فلما اراد ان يحزن قلب السكين فاوجس ابراهيم
 فى نفسه ثم عاد الثانية فلما اراد ان يحزن قلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا
 كذلك تجزى الحسين ان هذا هو والبلاء المبين وفي رواية ذبح عظيم هذا فداء ابنك قد فداء
 الله لك به فظفر ابراهيم خافقه فاكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجهه ابراهيم الى
 القبلة وقاته يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضعا قربانا فرقه الله اليه
 وتقبله (قال أبو هريرة) ولما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحربة جزع جزعا
 شديدا وجعل يسكى الليل والنهار على أبويه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فاحيا اليه من
 اللبائى يدعو ربه تعالى وكان من دعائه ان قال يا رب اخرجنى من احب البلاد الى و فرقت
 بينى وبين اخوتى وأبوى ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث أحسب
 ومن حيث لا أحسب وحبب الى البلاد التى انا فيها وحببها الى كل من يدخلها وحببني
 الى أهلها وحببهم الى ولا تقبلى حتى تجمع بينى وبين أبوى واخوتى فى يسر منك ونعمة وسرور
 تجمع لنا به خير الدنيا والآخرة انك سمع الدعاء فانى يوسف فى نومه فقيل له ان الله تعالى قد
 استجاب لك دعائك وأعطاك منالك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك أبوك واخوتك
 وأهل بيتك فطبت نفسا واعلم ان الله تعالى ان يخاف وعده وبدعا يوسف صارت مصر محبوبة
 يحبهم من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكننا به قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت
 النعمة عليه اشتاق الى لقائه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلتني من تاويل الاحاديث
 فاطر السموات والارض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقه فى صالحين ولما وجه
 سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على
 يزيد بن أبي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افرىقية فاستغنى محمد بن
 يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم فاتى به فى شهر رمضان عند المغرب وفي يدان أبي مسلم عنقه وعقب
 فقال له يزيد حين دنا منه محمد قال نعم قال اما والله لما سألت الله تعالى ان يعكفنى منك بغير
 عهد ولا عقد فقال محمد وانا والله فاما لما سألت الله ان يجيرنى منك ويعذنى فقال يزيد
 فوالله ما أبارك ولا أعاذك وان سابقتى ملك الموت الى قبض روحك اسبقته والله لا كانت هذه
 الحبة حتى أقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم ليعلى وكان أهل افرىقيه قد
 اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله وقبل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت
 فسيهان من قتل الامير وأحبا الاسير سنة الله التى قد خلقت فى عباده طواع الحياة من شفا

الموت وحضور الموت من معدن الحياة (ويروى) ان سلطان مقلبة أرق ذات ليلة ومنع النوم
فارس إلى قائد البحر وقال انفذ الآن مركبا إلى أفريقية بأقوى باخبارها فعمرا القائد المركب
وأرسله لحينه فلما أصبحوا اذ بالمركب في موضعه لم يبرح فتنال له الملك أليس قد فعلت ما أمرتك
به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت المركب فرجع بعد ساعة وسجدت له قدم المركب فجاءه ومعه
رجل فقال الملك ما صنعتك ان تذهب حيث أمرتك قال ذهب بالمركب فينا أنا في جوف الليل
والبحارون ينفذون اذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكره همارا فلما استقر
صوته في اسماعنا نادى بنا همارا يا بليك بالبيك وهو ينادى يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه
يا بليك بالبيك وقد فطنا المركب نحو الصوت فالتفتنا هذا الرجل غريفا في آخر رمق من الحياة
فأخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كأننا من أفريقية ففرقت بيننا من هذا يوم
وما زلت أسبح حتى وجدت الموت فلم أشعر إلا بالغوث من ناخمتكم فسبحان من أسهر سلطانا
وأرق جبارا في قصره لغريق في البحر حتى استخرج من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
الوحشة لا اله الا أنت سبحانك (وأخبرني) رجل كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت
بمقلبة أيام فتن العدو فزحف البناي البحر من تقارب لثمة سفينة وأرست في الساحل
فرأينا أمرامهولا وفيما الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلما الناس اليه واستجبهوا وحوله
يتبعون به ويقطرون الفرج على يديه قال فنظر إلى السماء حينما وجد وعثر خديه بالارض
بقلمه ما عيننا وشمالا قال فوالله ما ذهبتا حتى هبت ريح مزقتها كل مرق في لم يجتمع منها اثنان
(وأخبرني) أبو القاسم بن فائق رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز فغطس الناس في منازلة برك
ففقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب بي بيته بالذنانير بارفع الاعنان فجاء رجل كان
موسوما بالصلاح عليه مقطعة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فتشبع إلى الجمال لبيعه الماء
بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الارض ونزع عليه الدقيق
ثم رمى السماء وقال الهى اناعبدك وهذا دقيقك ولا أملاك غيره وقد أبى ان يقبله ثم ضرب يده
في النطع وقال وعزتك لا يرتحت حتى أشرب فوالله ما تفرقتا حتى نشأ السحاب فامطر للعين
فتشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه
له لو أنعم على الله لا برة (وأخبرني) شيخ مسن عن كان يصحب العلماء بالقبروان يقال له حريز قال
أخبرني عبد الكافي الديباجي قال رأيت بالقبروان آية عظيمة بذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد
أسكت فلا يتكلم فدخل به إلى القنينة أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا قد أسكت منذ
أيام فلا يتكلم فادع الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق
الصبي فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم
التفت إلى الرجل وقال اكنها على الموت ثم التفت إلى جاريته فقال اكنها على الموت ثم التفت إلى
الموت وأنت حرة فلما كان يوم توفي الشيخ أبو بكر واجتمع الناس لجنائزته وتكاثر الامم قام
الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال يا أهل القبروان اسمعوا فسمعت مع هذا الشيخ وذكر
الحديث كما سقناه (وحدثني) هذا الشيخ قال نزل عندنا بالقبروان قصة لم يسمع في السالفين مثلها
وذلك ان بعض الجزاير اصبح كبايد بجمعه فخبط بين يديه فالتفت منه وذهب فقام الجزاير يطلبه

وجعل يشي الى أن دخل خربة فاذا فيه ارجس ملذبح تخبط في دمه فقزع وخرج هاربا واذا
 صاحب الشرطة والرجال عندهم خبر القتل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا بيده
 السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وجعلوه الى السلطان فقال له أنت قتلت
 الرجل قال نعم قال فماذا الواجب ستطقونه وهو يعترف اعترافا لا اشكال فيه فأمر به السلطان
 بمقتل فخرج للقتل واجتمع الامم ليصبروا قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتعيين
 اذ قال لهم لا تقتلوه انا قاتل القاتل فقبض وجعل الى السلطان فاعترف وقال انا قتلت فقال له
 السلطان قد كنت معافي من هذا فما جعلك على الاعتراف قال رأيت هذا الرجل يقتل ظلما فكرهت
 ان التي الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قال للرجل يأبى بالرجل مادعاك الى
 الاعتراف بالقتل وأنت بريء قال الرجل فلما جئني رجل مقتول بالخربة وأخذوني وأنا خارج
 من الخربة فبيدي السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من يقبلي وان اعترفت من بعد في نخلي
 سيدي له وانصرف مكرما (ولما وزر خفر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان القصر الملك ابن عمه يقال
 له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزله فقال للملك سنجار لا حياة لي معك الآن تقتل ابن عمي
 شهاب الملك فاني سنجار فزال يراجه الى ان أمر به فحبس في بلد يقال لها يتيق وكان الى ذلك
 البلد بكرمه بلالته وجماله أهل يتبعه واخل له دارا في القلعة مشرفة ثم جعل خفر الملك يقصد
 قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجار الى واليه بقتل شهاب الملك
 فاستعظم الوالي قتله وأخره أياما ثم لم يجد بدا من قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينما شهاب الملك
 يطلع من طاقاته الدار اذا بنارس يركض فاجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد أن يقتلني
 فوصل الفارس وقال مات خفر الملك في سيدي شهاب الملك ثم وزر سنجار فسيحان النعال لما
 يريد (أخبرني) أبو الفضل المعبر مصر قال كان بصير ملوك بني حمدان وكان الرئيس فاصر الدولة
 وكان يشكوا وجع القولنج فأعيا الاطباء ولم يوجده شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصده
 رجل معه خنجر فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة
 في أسفل خصره فأصاب طرف الخنجر المعى الذي هو القولنج فخرج ما فيه من الخلط ثم عافاه
 الله تعالى فصبح وبرئ كاحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو وبساحل
 مدينة برقا فأخذوا قوما من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم وشد ككافه
 من خلقه فلما تموا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفضه وأقام في البحر ثم طعنه برمح كان
 معه فلم يخطئ نصل الرمح جيل الكاف فطعته وانفجرت يدا الرجل فسبح حتى لحق بالساطي سليمان
 ووصل الى الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلا خبزا زائجا هو يحنق
 تنوره بعد نيته دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار
 فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا يترصون به ويحملون له الاطباء فيلجسون
 دلالته وموضع الحياة منه فقصوا بانه ميت ففعل وكفن وجعل الى الجبانة فبينما هم خارجون به
 من باب المدينة استقبلهم رجل طيب يقال له البيرودى وكان طيبا ما هراحا فبالطبيب فسمع
 الناس يلهمجون بقصة فقال لهم خطوه حتى آراه قال خطوه وجعل يقلبه وينظر في أمارات
 الحياة التي يعرفها ثم فتح فقه وسقفه شيئا وقال حقته فاندفع ما هنالك يسيل واذا الرجل قد دفع

عنيبه وتكلم وعاد كما كان الى دكاية (وكان رجل) يمشي يغدا فيبها في الطريق اذا برقد
وقعت عليه فخرت كالجليل العظيم واذا في الحائط طاقه فيا خطأت رأسه فصارت الدار كوما
وخرج الرجل من الطاقه سليما (وحديثي) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض
الصليحي فوشى بي الى السلطان فأمر بقتلي فاخرجت وقد قتلت وركني السيف ثم قال
لي مد رقبتي فددت عنق القضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اسمة قد قتلت دونك يا هذا فيسما نحن
كذلك اذا باصائح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلى (وجرت بقرطبة قصة غريبة)
في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنيسى شهد عليه بالزندقة
فحبسه المنصور مدة مع جماعة من الاديان من وجوه قرطبة ممن وقوف بالانهم المالك والزندقة وكان
يأدى عليهم في كل جمعة يوقفون اثر صلاة الجمعة يباب الجامع الاعظم من كانت عنده منهم اذ فيهم
فليؤدوها فثبت على قاسم عند القاضي سبيل شهادات الشهود بانواع منكرة تتضمن الزندقة
والكفر فظلموا الي القصر وعقدوا مجلسا اعطيا واستشير الفقهاء فيه فاجابوا بقتله فاستحضر
قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم وابسا وانياب الحداد وحمل أبوه معه
نفسا وجالين وجعل أبوه والصبيان يبكون على باب القصر واحدا ضرب عنقه سيف يعرف
باب الهندى ودفع اليه اسيف من القصر جعل يروىها ويلس شعارها وأبوه وابناه
ينظران وحضر النقيب أبو عمر والمكودي الاشيلي على كره منه وكان يأتي الحضور فاستنوه
فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسفك الا بالحق الواضح دون الشبهة احسبوا ان السنيسى فروجا
بما اذا تبحر فقلت القاضي ابن الشمر في عاين عتدى وأعفت النظر فيه قال القتيبة وأقننى
عليه فاخذ السبيل ونظر فيه فقال أخبرني عن قتله من هؤلاء الشهود قال بهم ذوا هذا حتى
عد خمسة قال القتيبة فيجمعهم يقتله قال نعم قال فلونهم منهم ثم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا
انما أقوى بعضهم بعضا وزكى أكثرهم عتدى فالتقت القتيبة الى الفتها المشاورين فقال يا هؤلاء
بالدعائم يقتل المسلمون عندكم ويسفك دماؤهم فليست أرى قتله ولا اسير به فرجع الفقهاء الى
قوله ولم يروا عليه شيئا بعدما اقنوا بقتله منذسته أشهر فانهض الجمع رشيم السيف وطار البشير
الى ابن أبي عامر فاخبره بالمجلس فقال ابن أبي عامر مضىم نقتلون ابن السنيسى فدفعتم القاضي
قد ايجتهدنا الدين ولا قال لوجب فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان النقيب يقول للقاضي في
مثل هذا قال القائل اذا سئل بم عرف الله قال بنقنه عزائي ومعنى الدعائم على لسان القتيبة
هم الشهود الذين لو انقروا منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبل فيه فاذا كثروا قوى بعضهم بعضا
فلا يثبت الحكم بهم (وفي نقيض هذا ما حدثني القاضي) أبو عمران الداني بطرطوشة وقد دلى
قضاء هافذا كرنا وما قال نزلت قافلة بشرية فخرت من أعمال دانية فآووا الى دار خراب هناك
ليستكنوا من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسواهم عيشهم وقرب تلك الخربة حائط
ماثل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تفتعدوا تحت هذا الحائط
ولا تدخلوا هذه البقعة فآووا الادخلوها وبات الرجل منتبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك
المكان ثم أصبحوا في عافية وحوالوا دوابهم فيبهاهم كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليستوقد
ميقية الدار فخر عليه الحائط فمات مكانه (وبلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا من الجيوش كان

بقتله ناهضاً من مكان الى مكان ففعدوا ساعة لبعض شأنهم فاذا عقرب يدب فضر به بهض
الاجناد بقرعة كانت معه ثم رنح القرعة الى فهو عنقه فاذا بالقرعة قد تشبث باهداب المقرعة
وهو لا يتحرك فلدغته في عنقه فقتل مكانه (واخبرني القاضي) أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال
كنت أقرأ على الشيخ أبي حمص عن ابن أحمد بن شاهين بغدادياً عن الحديث في حانوت رجل
يبيع العطر فباع رجل طوافاً بطبق يحمله في يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى أسماء
سماها من العطر فاشدّها في طبقه ومشى فنهط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكي
الطواف وجزع حتى رحناه فقال أبو حمص اصاحب الحانوت املك تجبره بعض هذه الاسباب
قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما اتص وأقبل الشيخ على الطواف بصبره ويقوله
لا تجزع فامر الدنيا أي بمرن ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ان جري اضباع ما ضاع اند
عالم الله تعالى متى كنت في القافلة القلانية فضا على هيمان فيه أربعة دنانير أو أربعة
آلاف دينار الشك من أبي ذر ومعهافوص قيمتها مثل ذلك فاجزعت اضباعها ولكن ولدي
في هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما يحتاج اليه النساء ولم يكن عندي غير هذه
العشرة دراهم فاشفت ان اشتري بها حوائج النساء فابق بغير رأس مال ولا قدر على
التكسب فقلت اشتري بها شيئاً وأطوف صدرنهارى فعمسى استفضل شيئاً أسد به رمى
وبقي رأس المال انصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضاعه جعنت فقلت لا عندي مال أرجع
به اليهم ولا ما اكسب به وتمت أنه لم يبق لي الا القراومهم وترهم على هذه الحال
يملكون بعدى فهذا الذى أوجب جزى قال الشيخ أبو ذر وكان رجل من الجند جالساً
على باب دارميس متوعب الحديث فقال للشيخ أبي حمص أنا أوجب اذا تمتم أمره أن تدخل
معه عندي وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيئاً فقال قد خلنا عليه فاذن لنا فدخل الطواف
بجبت من جوعه فأعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان به من
نظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامة الهيمان وفي أى موضع
سقط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندى لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فأخرج
الجندى هيماناً ووضعه بين يديه فقال هذا هيمانى وعلامة صحة قولى ان فيه من الاحجار
ما صفتك كذا وكذا ففتح الهيمان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك يا ربك الله
لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير أو أكثر فخذ انت الدنانير فنفسى طيبة
بذلك فقال الجندى لا آخذ على أمانتي شيئاً فدخل الطواف وهو من النقرات وخرج وهو من
الاعتناء فبكي الجندى بكاء شديداً واتحب فقال له أبو حمص علامتك بكي وقد أدى الله أمانتك
وقد بذل لك ما لا كثير وان شئت عرضنا عليه ان يعيده عليك فقال ما أبكي لذلك وانما أبكي لاني
ألم أنه قد خان أجلي فانه ما كان بيقى أمل أو له ولا أمانة آتمهاها الا ان يأتيني الله بصاحب هذا
المال فأخذه فلما قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لي أمل عات اند قد خان أجلي قال الشيخ
أبو ذر فبأنقضى شهر حتى توفي وصلاً عليه (قال القاضي) وحدثني أبو القاسم بن الحسين
بالموصل قال لقد جرت ههنا في هذا المسجد وهذه الدار الحانوت وأشار اليها قصة عجبة كان
يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر الى الكوفة في تجارة الخبز فيبناها ويحمل الخبز في
خرجه على حماله وهو جميع ما له نزل القافلة ناراد انزاله عن الحمالة تلب عليه فامر انساناً

هناك فأعانه على انزاله ثم جنس بأكل فاستدعى ذلك الرجل لياً كل معه فاجابوا كل معه ثم سألهم عن أمره فأخبره انه رجل خرج من الكوفة لامرأته بعد دونا فقال له الرجل تكون معي وتعينني على سفرى ويكون طعامك عندى فقال الرجل انى حريص على خدمتك ومحتاج الى دعامتك فسامعه في طريقه فخدمه على أحسن حال قال فوصد لا تكريت فتزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للتخادم احفظوا رحلتنا حتى ادخل واشترى حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فابطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة رحل معه فلم يزل يسي حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فساءلهم عن صاحبه فقالوا ما جاء معنا ولا رأينا له ولكنه ارتحل الاسباب على الحمار ودخل على أثره وظننا انه أمرته بذلك فذكر الرجل راجعاً الى تكريت وسأل عنه فلم يجد له أثراً ولا سمع له خبراً فيئس منه وادى الى الموصل وسلوب المال فوافاهم اراجاء تعاروا بانفقوا ما يجودوا فاستحبوا أن يدخل نهاراً فيسبوا العدو ويحزن الصديق فبقى حتى أمسى ثم دخل في باب الدار فقبل من هذا فقال فلان بمنى نفسه فظاهر واسروراً عظيماً وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة والفاقة فجلت جميع ماله وطال سفره واحتاج أهلاك وتداولت اليوم ولدا والله ما وجدنا ما نشترى به شيئاً للنساء ولقد كانت هذه الليلة طارئة على حالها ففحص لى لى دقيق ودهن نسرج به فلا سراج عنده فزاده غماً وكراً ان يحبرهم بجواله فيهنهم رأخذ وعاء للزيت وجراباً لدقيق وخرج الى هذا الخانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه وقد أغنى دكانه واطناً مباحاً وناقناده فاجابه وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الخانوت اقدح زناداً ازل لك الدراهم في دقيق وزيت وعسل احتجت اليه الساعة ذكر ان يحبره بنأخير الثمن فيمنع منه فتدح البياض الزناد واستصحب فقال له التاجر زنى من الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذا ومن الملح كذا وبيعه كذا كذا اذا كانت منه الثمن الى قعر الخانوت فرأى فيه حرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب عليه والتزمه وألقى يدهن أطواق صاحب الخانوت وجذبه الى نفسه وقال يا عدو الله أين مالى فقال صاحب الخانوت مالك يا فلان فوالله ما علمت تتعدى ولا علمتني جنبك عاينك ولا على سواك فها هذا قال خرجى فزنى به خادم خدمنى بجميع مالى وبجمل ما رى قال مالى علم غبارك رجلاً ورده على بعد العشاء واشترى منى عشاء واسد نصفانى فأعنتى وبعث هذا الخرج فى خانوتى وهذا الحمار دارجارما والرجل فى المسجد بائت فقال له اجل معى الخرج وامض الى الرجل فرفع الخرج معه وأثناء على عاتقه ومشى معه الى المسجد فاذا الرجل قائم فى المسجد فركسه برجله فقام الرجل مذعوراً فقال له مالك فقال له أين مالى يا خانن قال هو ذا على عنقك والله متعاد ومنه ذرة قال فأين الحمار قال هو عندك هذا الخانن معك فنهض الى دار فوجد متاعه سليماً ستخرج الحمار من الموضع الذى كان فيه ووسع على أهله وأخبرهم بقصته فزاد أهله فرحاً وتبركاً بذلك المولد ولما وفى موسى عليه السلام همهم شعيب عليه السلام الاجل الذى أجلاه رعى غنم شعيب التى رعاها موسى هروا عن مهرابته فخدم موسى عليه السلام زوجته وكررا جماس مدين فلما وفى الوادى المقدس عند جانب الداور بنهم الليل

بظلمته فامسوا باثنين فيمنهما هم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وبمس عندهم
ما تحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء وما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة
من الحيلة فخرج موسى عليه السلام يلبثت وينظر عينا وشده عسى يخرج الماء مسوا فيه من
الضرر اذ رأى نارا فقال لاهله امكنوا الى انسى نار العلى آتكم منها يقبسون أو أجد على النار
هدى فلما أتاها أضى ما يكون ذرعا وأحربه قلبا وآيسه عن رفق نودى من شاطئ الوادى
الايمان يا موسى انى أبارك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجافضله وتكلم
بألهدى والبشرى ينسخ الله فيه أمه ويعطيه فوق ماسأله هدا موسى عليه السلام خرج
يقبسون نارا نودى بالنموة وعن هذا قال عبا وأبليس في خصال الحيوان جات ولا في انواع
الاعمال وان عظمت أعلى من حسن الطن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

ايها العبد كن لما سرتجو * من نجاح أرجى لما أنت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا * من ضياء رآه والليل داج
فانى أهله وقد كلم الله ونجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد * ددت منه راحة الانفراج

(وروى) ان العبد تزل بساحة افرىقة في عدد كثير من المراكب فنفى ماؤهم وعطشوا فنفق
المسلمون لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فنفقوهم الثرول لاستقاء الماء وارسالوا
الى المسلمين ان يحلوهم واستقاء الماء فابوا فقتلهم حتى أشرفوا على الهلاك ففحقوا
أجابيلهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يك بأوشن من السماء
أن اقت باروا فها هم أرحم ماء كثير افسط القوم انظاعهم وجفاهم وآلاتهم ففسروا واملوا
أوانهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار واعداء الله ورسوله قد أخلصوا الى ربهم
وأبوا اليه وسالوه ماء يحبون به رمقهم فآفانهم فحق أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه
وأولى بالاجابة منهم ثم جد المسلمون في الدعاء والصلاة والابتهال الى الله تعالى في أن يرهم آية
يقوى بها قلوب الضعفاء ويترايدشكر أهل المعرفة والاولياء فيمنهاهم كذلك اذ أرسل الله
عليهم ريحا فبددتهم وحرقتهم كل محرق وكسرت مراكبهم ولم يجمع منهم اثنا * ومن عجائب صنع
الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار قبر الخليل صلى الله عليه
وسلم وأكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجها بكل
حيلة فاجتزته حتى تركته مضى ثم رجع الى بلاده فيمنها هو جالس اذ عطف فطارت العدسة في
الارض فاذا طائر قد التقطها الوقم وبرئ الرجل ففسحجان من جعل أنف هذا الرجل حرزا
لنقوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة * وأما ما ظلماهم سم بالرحيل من يلدى الى المشرق
في طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة ارجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان
ذهبت نفقتى ماذا أفعل وكان أقوى الاكمال في نفسه ان أحفظ البسافير بالاجرة وأدرس العلم
بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحات وكانت معي نفقة وافرة في هيمان على وسطى وكنت أسمع
المسافرين يقولون من نام بالليل في الضياء وله نفقة على وسطه فليكلها فان المصوص اذا كبرت
انطلق يتدرون أو ساطهم فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهي اذذ الحروب للاروم

فسرى بالمتناوأصبحنا على باب انطاكية فأخذتني عيني وحالت الهمان ونمت ولم أستيقظ الا ضحوة النهار فاستيقظت ومددت يدي الى الوميان فلم أجده فجلت أنظر الى القافلة والنفت الى الناس وقد أسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ورفعت أمري الى الله سبحانه واذارجل من أهل القافلة ملتحفا الى فوق وجهي في وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بي فتال مالك أيها النقيب قلت خير فراجعتي فقلت خير فقام الى وقال خذ هيمانك عافاك الله فسانته كيف ظفر به فقال رأسك قد تدرجت ذراعين أو ثلاثة والنفت فرأيت سوادا في الموضع الذي كنت فيه نائما فسرت اليه وأخذته فاذا هو الهيمان رحمة الله عليه ورضوانه لديه

الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلته وهي الشجاعة وبعبورها بالصبر وبعبورها بقوة النفس

قالت الحكمة أصل الخبرات كلها في ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجب به الهدى والعلم والجن غريزة يجتمعها سو الظن بالله تعالى والشجاعة غريزة يجتمعها حسن الظن بالله تعالى سئل الانفس عن الشجاعة فقال صبر سعة وسئل أبو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيف وراق ناقة وهو ما بين الجانبين واعلم ان القادم لاقتال طريفة من طرف الموت فاستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول رب حيا سبيها التعرض للوفاة و وفاة سبيها طلب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شقرة من شقار الموت والقاري يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا غرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبرا أكثر ممن قتل مقبلا وقالوا أخبر الاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جنة يحب ان تلقى عدوك قال بادي دلولته وانقضاء مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انتقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال علي رضي الله عنه اذا انتقضت المدة كانت الهلكة في الجبلية واعلم ان كل كربة ترفع أو مكربة تنكسب لا تصحق الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا هممت ان تنح شيأ من مالك خارطته لك ووهن قلبك وعجزت نفسك فشجعت به واذا حقت عزمك وقوت نفسك وقهرت ذلك العجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعته تكون طيبة النفس باخراجه أو كراهية النفس لاخراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل هي ما لم يتارنمها قوة نفس لم تحقق وكانت مخدوعة ويرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والجبن غرا تر يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده فالجبن يفر عن امه رأيه والشجاع يقاتل عن لا يؤوب به الى رحله بقوة القلب يصاب امتثال الاوامر والانتها عن الزواجر وبقوة القلب يصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتفتيح بالذائل قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه * ما أحسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر المجلس على اداء المجلس وجنا صاحب وبقوة القلب يكتم الاسرار ويدفع العار وبقوة القلب يتقهم الامور والصعاب وبقوة القلب يتحمل أثقال المكار وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة وروية وأوجها الحزم والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضعفان والاحقاد

كما قال أبو ذرنا لنكسر في وجوه قوم وإن قلوبنا تلغهم وقيل على رضى الله عنه قال النصاف
 أكنة أنزى قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس أن يكون مصرا في المحال بل وجا
 في الباطل ولأن تكون جلدًا عند الضرب صبورًا على التعب مصمًا على التعزير والنهور
 فإن هذه صفة الجبر والخنازير ولكن أن تكون صبورًا على أداء الحقوق عليك صبورًا على
 سماعها والقائمات إليك غالبًا هو الكمال كالشهوة أنك ملتزم للقضاء لا يجهدك عامل في ذلك على
 الحقيقة التي لا يجهل عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذي أشار به العلم
 وأوجب به العدل خيرا من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل كما قال علي بن الحسين رضوان
 الله عليهما يا بني وما يبالي أبوك لو أن الخلق خالفوه إذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق إلا بهد
 الموت ومن هذا قالت حكيم الهذلي ما لم يكن للملك من نفسه معين كان في جميع أموره ضعيفا
 مخذولا واعلم أن الجبن مقتلة والحرص محرمة والمجزل والجبن ضعف والجبان يعين على
 نفسه بفرع أمه وأبيه وصاحبه وبنيه واعلم أن كل كريمة ما بين الخليطين من الشجاع يحصى
 عن لا يناسبه وبني مال الجار والرفيق بهجته والجبان يخاف ما لا يحس به والجبان حقه من
 فرقه واعلم أن الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه رجل إذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان
 واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف إلى وسط المعركة يحمل ويكر وينادي هل من
 مبارز والثاني إذا انغم القوم واختلطوا ولم يدرك أحد من أين يأتي الموت يكون رابط الحاش
 ساكن القلب حاضر القلب لم يخامر الدهش ولا خالطته الحيرة فينقلب بقلب المالك لا مره
 القائم على نفسه والثالث إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول
 بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجي ضعفهم ويمدحهم بالكلام الجليل ويشجع
 نفوسهم فن وقع أقامه ومن وقف حملة ومن كرس فرسه كشف عنه حتى يئس العدو منهم
 وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء الفارين كلمة فقر من وراء الغافلين ومن
 أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهما ما أحدهما لا يجمل عليه
 والثاني لا يغفل عنه الجمان والقرار وكان شيوخ الجند يحكون في بلادنا قالوا دارت حرب
 بين المسلمين والكفار ثم افرقوا فوجدوا في المعركة قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته
 من الرأس فقال انه لم يرقط ضربة أقوى منها وكان شيوخ الجند في المناظر طوشة يحكون انهم
 خرجوا في أيام سيف الله في سرية إلى بلاد العدو فبينما هم يسرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون
 منامز يد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم
 فتوافقتنا ساعة ثم شدنا وشدوا فالتقتنا وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله تعالى أكتافهم فجعلناهم
 حصيدا كأنهم حمر على الأضام وكان هناك بقرهم قرية فيها شئ من الخرفسرباء وسكرنا
 ثم اشتبهنا شرائح العم فقمننا قطع من لحومهم ونجعل على النار وأكلنا منها ففرغ من
 كذا أسراهم منهم وبلغ الحديث إلى الروم فقتضت النصارى تعجيبا منا وفتدق الرعب في قلوبهم
 (وروي) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى عمرو بن معدى كرب فقال له يا عمرو رأى السلاح
 أفضل في الحرب فقال عن أيهما سأله قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما
 تقول في الرمح قال أخوك ورعما نك قال فما تقول في السيف قال ذاك الذي لا أملك قال فما

تقول في القوس قال هو الدائرة عليه تدور الدوائر وكان عمره هذا من شأن العرب ابطالها
 نزل يوم القادسية على الهرق قال لا يصحابه ابي عابر على الجسر فان أسرعتم تنادي بجزر الجوز
 وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاه وجهي وقد عقرني القوم واثاقهم يدهم وان ابطأتم
 وجدتموني قبيل بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم ابعبر يا بني زيد على ما تدعون
 صاحبكم والله ما أرى ان تدركوه حيا فماتوا فانتوا اياه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل
 فرس من رجل من العجم فامسكها وان القاروس ليضرر فرسه فحماقه والقوس ان يتحرك فلما
 غشينا رمى الرجل بنفسه وخلا فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو نور كدتم والله تنقذوني قالوا أين
 فرسك قال رمى بشابة فقار وشب فصرعني (ويروي) ان عراجل يوم القادسية على رسمه وهو
 الذي قدمه رزحرد ملك القوس على قتال المسلمين فاستقل عمرو رستم على فيل تقطع عرقه
 فسقط رسمه وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيدأ ربوا ألفيدار قتل رستم انهم زنت
 العجم وروي ان قاتل رسمه زعيم من فلان وأما الصرب التي حكى بها التي ارتدت اليه
 عاشوته من الرأس فلم يسمع عنهما في جاهلية ولا اسلام فحماهم الروم وعانتهم في كنيته اهلهم
 وكانوا اذا عبروا بانهم زاهيه يقولون لقينا اقواما هداضهم في رجل ابطال الروم اليها يروها
 وانما كانت العرب تفخر في هذا الباب بقول النمر بن قيس بن خصاصم سيف
 أبقى الحوادث والايام مرغر * آثار سيف قديم أثره بادي
 تظل تحفر عنه ان شربت به * بعد الذراعين والتدين والهادي
 ويصدق قول النابغة في السيف أيضا

بقدر السيف في المضاعف سمجه * ويوقد بالصفاح نار الجباب

وأين هذا من قدام الحديد بما حواه من الواس وأين القربان الذي وأين الحسام من المنجل ولولا
 كراهة التطويل لذكرنا من أمثال هذا - فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب
 المنية والرحم وشاة المنية والسهم رسل لانقوا من أوسلها والرحم أخولك وزعمنا ملك والدورع
 مشغلة للراجل ومعلقة للقارس واسم الحصن حصين والترجيح علمه تدور الدوائر

(الاب الحادي، والسقون ذكر الحروب وتديروها وحماها وأسكاها)

من حزم الملك أن لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يعزل عنه وان كان حيرا فادهم من يرغوث
 اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوكم رماك * وان كان في ساعديه قصر

فان السيف تحز الرقاب * وتجزع عاتقك الابر

وفي الامثال لا تحقرن الذليل فربما شرف بالذاب العزيز ومنزل العدو مثل النار ان تدارك
 اولها سهل اطفأوها وان تركت حتى استحكمت شرها صعب مراحمها وتضاعفت بليتها ومثله
 أيضا مثل الجرح الردي ان تدارك سهل برؤه وان أغلظته حتى تغل عظم بليته وأعبا
 الاطباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً ورتبوا فيها ترتيباً فلا يسع أهل
 سائر الاقاليم حملها اذ لكل أمة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وشرب من
 المكيدة وجنس من اللقاع والكرو والقر ونوعية المواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف

منه أسبى به تجرى مجرى المعاهد لا تكاد تختلف في انهاء أزمة الحروب زبداً أو لا بما ذكره الله تعالى في القرآن * قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فتنو له تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة فرعى أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي * وكان بعض أصحابه اذا أراد الغزو لا يتقص أظفاره و يتركها عذرة يراها قوة فأول ذلك ان يقدم بين يدي الاقامة لصلاح من صدقة وصيام ورد مظلمة وصله ورحم ودعاء مخلص وأمر معروف وتغيير منكر وأمنال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بذلك ويقول انما اتقوا تلون بأعمالكم وروى ان بريداً ورد عليه بنفق المسلمين فقال له عمر أي وقت لقيتم العدو قال غدره قال وسى انهم زم قال عند الزوال فقال عمر ان الله والمه راجعون وقام الشر لئلا يمان من غدوة الى الزوال لقد أحدثتم ومدى حدثاً وأحدثت بعدكم حدثاً والشان كل الشأن في استجادة القواد وانتخاب الامه وأصحاب الولاية فقد قالت حكيماء العجم أسديتو دأف نعلب خير من نعلب بقودأف أسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صامم القلب جريزاً رابض الجاش صادق البأس عى قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال عارفاً بوضع الفرص خبيراً بمواقع القلب والمينة والميسرة من الحروب وما الذي يجب شخه بالحناء والابطال من ذلك بصيراً بصرف العدو ومواقع الغرة منه ومواقع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه فارجعهم كأنه منسله فان رأى اتقوا العتائب وجهها والارودة الغم للزريبة (واعلم) ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وآخر ما يجب ركوبه قرع العتائب وحمل الخيوش بعضها على بعض فلتنبه أنبصر يف الحسنة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي لائقا العظيم التباد أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحمل الخنزير وروغان النعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن تغير وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أسد دخلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد يفتح الجبال والتاراً كل الحديد والماء يطغى النار والسحاب تحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح لحاجته والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والههم يمنع النوم فاشد خلق ربك اللهم فأول ذلك ان يبتجوا سبه في عسكر عدوه ويسعلم اخباره مع الساعات ويسعلم رؤساءهم وقادتهم وذوى الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعدهم وعدا جليلاً ويوجه اليهم بضرب الخدعة ويقوى اطماعهم في ان ينالوا ما عندهم من الهبات الفائرة والولايات السنية وان رأى وجهاً عاجلاً بهم بالهدايا والتحف وسألهم اما الغدر بصاحبهم واما اعتزاله وقت اللقاء وينشئ على أسنهم كتمان مداسة اليه وبينها في عسكره ويكتب على السهام اخباراً حزورة ويرى بها في جموشهم ويضرب بينهم سمعاً في الميسور من ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال والخيل واللقاء تنفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الخداع فيه

لا تحصى والحاد منهم أبصر من الغائب ولله در المهمل لما كتب اليه احتجاج يستجبه في حرب
الازافة رد الجواب فقال ان من البلاء ان يكون الراى عند من يملكه لا عند من يصره وقال
اختار لي يدين أنس حين ولاء اجزير وأمر بقنال عبد الله بن زياد امس الى عدوك براى غير
مستبد ويجزم غير متسكن ولا تركز الى الدولة فربما انقلبت واستنصر من لم يطمع في علك
ولا تسمر بقلبك واستخبر الله تعالى قبل اقدامك توفيقاً وأوصت أم الدليل العبدية بأنها الفتاك
وهو من أشد العرب ياخي لا تنشر في حرب ان ونقت شدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان
النفس أقوى شئ اذا وجدت سيد الجيلة وأضعف شئ ذابت منها وأجد الشدة ما كانت
الجيلة مدبرة لها اذ لم يكن النصر من الله تعالى نابذاها راختمت من المحارب خاصة الدتب
وطر منه طيران القربان فان الحذر زمام الشجاعة والتهور وعدو الشدة وقال أبو السرايا وكان
أحد القتل لالبنة ياخي كى بجيكتك اوتق منك بشدتك وبجذرك اوتق منك شجاعتك فان
الحرب حرب المتهور وعزيمة الحذر واعلم أن الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا
أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الافة في الجيلة وقال الحكيم اذا رزل انقضاء كان
العطب في الجيلة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة العفلة عن سنة الحذر ويعاب
الضعيف باقبال دولته كما يغيب القوى بشيء منه وقالوا سعاد الدول ونحوها متروكة
بسعود الملك ونحوه وقالوا أسمى زن على كل امرئ دولته فاذا انقضت بدت عورته وقالوا
رب حيلة أهلكت المحمل في الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكما
الابطال في القاب فانه مهم انكسر الجناحان فالعيون ناظرة الى القاب فاذا كانت رايته تتحقق
وطبولة تضرب كانت حصن للجماحين بأوى اليه كل من هزم واذا انكسر القلب غرق الجناحان
مثل ذلك الطائر اذا انكسر احدى جناحيه يرجع عوده ولو بعد حين وان سمر الرأس ذهب
الجناحان ولا تصح كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القاب ثم يرجع السارون الى القاب
ويكون الظفر لهم وقيل عسكر انكسر قلبه فافلح او تراجع اللهم الا أن يكون مكيدة من
صاحب الجيش فيخيل القلب قسدا وتعمدا ولا يعاد به كبير أمر حتى اذا توسطه العذر
اشتهل بههم وأطبقت عليه الجناحان ومن أعظم المكايدي الحرب الكماة ولا يصح كثرة كم
من عسكر استيحي يضتمه وقن عرمة بالكماة وذلك ان السارس لا يرال على حمية في الدفاع
وحى الدمار حتى يلتفت فيرى وراءه ينداسشورا أو يسمع ضرب الطبول فيندفعه خلاص
نفسه واتكن همة وراء ذلك وعليه مدار الحروب في اصطباع الشجعان واختيار الابطال
فما طمع ذوى البسالة والاقدام والجراة ولا عليك أن لا يكتروا بعيد عليك ان يكتروا ولا
تنسيت الشاعر

والناس ألف منهم كواحد • وواحد كالألف ان امرئ

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد منهم خير من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما تفضى منه
الحجب فهم في الجيش وان قلوا كما نفع في اثنين • من ذلك ما اتقى امستعين بن هرير مع الطاغية
ابن روميل النصراني حتى مدينة وشقة في نغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالنكتا فبين
كل واحد منهم مائة من ألف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل من حضر الواقعة

من الاجناد قال له يا ابا القحافة قال الطاغية بن رديم لم يفتقد قله وعمارته للعروب من رجاله
استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر
فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عتسبعة رجال قال انظر الآن من في عسكري من
لرجال المعروفة بالشجاعة ومن غاب منهم فوجدوهم غلبتة رجال لا يزيدون فقام
الطاغية ضاحكاً مسروراً وهو يقول يا يا ضحك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المدايرة بين
الفرقتين لم يول أحد منهم دبره ولا ترحل عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يبق واحد
منهم فلما كان وقت العصر نظروا اليها ساعة ثم حملوا عليها حمله ودأخلوها مدخله فقتلوا فيها
وصبر ناشطرين وحاولوا ينشأوا ويصرون ايضاً فكان ذلك سبب وهنا وضعفنا ولم نتم
الحرب الا ساعة ونحرق في خسارته معهم فاشارة قدسوا العسكر على السلطان أن ينحو بنفسه
وانكسر عسكر المسلمين وتترق بهم وملك المدومدينة وشقته فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من
جمع يحتوى على أربعة من ألف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المدودين الا خمسة عشر رجلاً
وليعتبر بثمان اعلج بالظفر واستبشاره بالغلبة لما زاد في ابطاله رجل واحد (وسمعت) أستاذنا
القناني أبو الوليد الباسي رحمه الله يحكي قال بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته
اذ رقب على نشر من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وبساره قدماء السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المعصني فقال
كيف ترى هذا العسكر أجم الوزير قال ابن المعصني أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له
المنصور ولا يهجز أن يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة واللبالة فسكت ابن
المعصني فقال المنصور وما سكونك أليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتجب المنصور
ثم انعطف عليه فقال أفيهم خمسمائة رجل من الابطال المدودين قال لا حتى المنصور ثم انعطف
عليه فقال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون من الابطال قال لا فسيبه
المنصور واستخف به وأمر به فخرج على أفتج صفة فلما توسطوا بلاد المشرقي اجتمعت الروم
وتصاف الجمعان فبرز على من الروم بين الصفتين شاك في سلاحه بكر وبقر وهو ينادى هل من
مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلي ففرح المشركون وصاحوا واضطرب
لها المسلمون ثم جعل العلي يروح بين الصفتين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل
من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلي وجعل يكر ويحمل وينادى هل من مبارز ثلاثة لواحد
فبرز اليه رجل فقتله العلي فصاح المشركون وذلل المسلمون وكادت تكوز كسرة فقبل المنصور
مالها غير ابن المعصني فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلي الكلب
منذ اليوم قال بعين جميع ماجرى قال نعم الحيلة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين
شراً قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد نشرته
أررا كهاهز الا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع
فقال له ابن المعصني ألا ترى ما يصنع هذا العلي منذ اليوم قال قد رأيته فماذا ترى فيه قال أريد
أسه الآن قال نعم فحمل القربة الى وجهه ولبس لامة حربية وبرز اليه فتجاولا ساعة فلما
الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس العلي فألقى

الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المصنفى عن هؤلاء الرجال أخبرتك انه ليس في عسكرك منهم
ألف ولا خمسةائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المصنفى الى منزلته وأكرمه
(واعلم) أن أول الحرب شكوى وأوسطها فحوى وآخرها بلوى الحرب شعناء عابسة شوهاء
كالحة حرووف في حياض الموت شهوس في الوطير تنغذى بالنفوس الحرب أولها الكلام
وآخرها الحمام الحرب مزة المذاق اذ قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها
تلف جسم الحرب الشجاعة وقلها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة
وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب
عشوم سميت بذلك لانها تنطى الى غير الخاني قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله وانى يحصرها اليوم صلى
وقال آخر رأيت الحرب يحنها الناس * وبه على حرها قوم براء
وقال آخر الحرب أول ما تكون فتية * نسي بيزتها اكل جهول
حتى اذا اضطرت وشب ضرامها * عادت بجوزا غير ذات خليل
شمطها ينكر لونها وتغيرت * مكروهة للشم والتفصيل

(قال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة
فانبشوا واذكروا الله كثيرا اعدكم نفطون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا وان الله مع الصابرين * واستوصى قوم اكن من صبي في حرب اراودوها فقال
أقلوا الخلاف على أمرائكم واعلموا ان كثرة الصياح نشل ولا جاعة لمن اختلف وتبناه وان
أحرز الفريقين الركين (وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لا صحابه الا ترون أصحاب محمد جنبا
على الركب كأنهم خرم يتلفون تلف الحيات (ورأيت) غيره واحد من ألف في الحروب يكره ورفع
الصوت بالتكبير ويقولون يذكرك الله في نفسه * واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد اوضح
لناني كتابه هذه النصر وعلة الهزيمة والقرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم يعني ان تنصروا رسوله ودينه وأما القرار فعمله المعاصي قال الله تعالى ان
الذين تولوا امسكم يوم التي الجمعان انما استلهم الشيطان بعض ما كسبوا أي بشؤم ذنوبهم
وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم رتب
الرماة يوم أحد على ثلة الجبل لينهوا قريشا أن يحز جوا علىهم كيئسا من ذلك الموضع ثم التقى
المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم فاقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الاول
فخرجت خيل المشركين من هناك وأقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة أحد * وليخف فائد الجيوش
العلامة التي هو مشهور بها فان عدوه قد بدت علم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيتمه
ابلا ونهارا ولا يبدل زيه ولا يغير خيتمه ويعمى مكانه كي لا يلتص عدوه غترته واذ سكنت الحرب
فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد انكبت عليه وعلى هذا
الوجه كسر المسلمون جيوش افرريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج
مقدم العدو يمشي خارج العسكر يتميزه اكرام المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن ابي السرح
وهو نائم في قبته فخرج فبين وثق به من رجاله وحمل على العدو وقتل الملائك وكان الفتح * ولما عبر

طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس ليقتحمها وموسى اذ ذاك باقر ببيعة خرجوا
 في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعمائة
 رجل قطع الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلائه لدريق ملك الروم
 وكان قد كتب الى دريق يعلمه ان قوما لا ندري أمن الارض أم من السماء قد وصلوا الى بلادنا
 وقد لقيتهم فانهمض الى بنفسك فأتاه دريق في تسعين ألف عنان واقبهم طارق وعلى خيله مغيث
 الرومي مولى الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من
 الشدة فقام فخصهم على الصبر ورغبتهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المقر الجرم
 ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وأنا فاعل شياً فافعلوا كفعلي
 فوالله لا قصدن طاعيتهم فاما أن أقتله واما أن أقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف
 حامية دريق وعلامته وخيمته ثم جعل مع أصحابه عليه حلة رجل واحد فقتل الله تعالى لدريق
 بعد قتل ذريع في العدو وحي الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهمز الروم فاقام
 المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام واطار طارق رأس لدريق وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى
 الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير
 المائدة التي تذكر أهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليه السلام فدفن اليه ابن أخت
 لدريق المائدة والتاج ففقدت المائدة بماتى ألف لما فيها من الجواهر التي لم ير مثلها وبهذه
 الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقتل رجاله وأباد جمعهم وكانت الروم قد جمعت
 جيوشا بقل أن يجمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كآب متواصلة
 وعسا كرمترادفة وكرايس بلو بعضهم بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا
 من الكراع والسلاح والجهانيق والالات المعدة لفتح الحصون في الحرب بما لا يحصى وكانوا قد
 قسموا البلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت
 اهم وأن نجوم السعد قد خد منهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواتر أخبارهم الى بلاد المسلمين
 واضطربت لها الممالك الاسلام فاحتشد للقائهم البارسلان التركي وهو الذي يسمى الملك
 العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قد رعليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران
 يتدائبان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يقرأى الجمعان فبات
 المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم وما المسلمون فيهم الا كآلة جافع
 في في المسلمون واجتمع لمادهاهم فلما أصبحوا صبحاح يوم الجمعة نظروا بعضهم الى بعض فقال
 المسلمين ما رأوا من كثرة العدو وقوتهم وآلاتهم فأمر البارسلان أن يهزم المسلمون فبلغوا
 اثني عشر ألف تركي واذا هم منهم كالرقعة في ذراع الحمار فجمع ذوى الرأي من أهل الحرب
 والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص صواب الرأي
 فتشاوروا برهة ثم أجمع رأيهم على اللقاء فتوابع القوم وتحالفوا وانصهوا الاسلام وأهله ثم
 أهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان سمى الله ونحمل على القوم فقال البارسلان يا معشر
 أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق
 البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفات الاقياء وعلمنا ان المسلمين قد وصلوا ودعوا لنا واصلنا

فحين علمنا أمرنا فصرنا إلى أن زلات الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وأن يربط
على قلوبهم بالصبر وأن يوهن عدوهم وأن يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق
من خيعة ملك الروم وعلا مته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يضل أحدكم أن يقبل ~~هك~~ على
وبضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل جميعهم حملة رجل
واحد إلى خيعة ملك الروم فقتلوا من كان دونهم انخلصوا إليه وقتل من حوله وأسره ملك الروم
وجهوا ليناديون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل
عمزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضروا ملك الروم بين يدي
البارسلان بجبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع لي لو أخذتني قال فهل تشك أني
كنت أقتلك فقال له البارسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به ويهوه فبين يزيد
فكان يقاد بالخيول في عنقه وينادي عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على
النعام ومما زلوا المسلمين وينادي عليه بالدراهم والفضة فلم يدفع فيه أحد شيئا حتى باعوه من
إنسان بكب فأخذ الذي كان يولي ذلك من أمره الكلب والملك وجمعهما إلى البارسلان وقال
قد طفت بجميع العسكر وناديت عليه فلم يذل فيه أحد شيئا إلا رجلا واحدا دفع لي فيه كبا قال
قد أنصف لأن الكلب خير منه فاقبض الكلب وأدفع إليه هذا الكلب ثم أنه أمر به بذلك
باطلاقه فذهب إلى قسطنطينية فمزاته الروم وتخلته بالنار فانظر ماذا أتاني على الملوك إذا عرفوا
في الحروب من الحيلة والقدرة في المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر
وقد قال تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة أبدا يصعبها الإعجاب ومع الإعجاب الهلاك وخير الأوصاف
أربعة وخير السرايا أربعة مائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولين يغلب جيش يبلغ اثني عشر ألفا
من قلة إذا اجتمعت كلتهم فاما مصانة اللقاء وهوا حسن ترتيب رأينا في بلادنا وهو أرحم تدبير
نفعه في لقاء العدو وأن نقصد الرجال بالدق الكاملة والرمح الطوال والمزاريق المسنونة
النافذة فبصقوا واصفوفهم وبركزوا أمرا كزهم ورمحهم خلف ظهورهم في الأرض وصدورهم
شارعة إلى عدوهم وهم جامعون في الأرض وكل رجل منهم قد ألتم الأرض ركبتة اليسرى
وترسبه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تفرق سهامهم من الدروع والخيول خلف الرماة
فإذا حلت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجال عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه فإذا
قرب العدو رشقهم الرماة بالثواب والرجال بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فأخذوا بمنة وبسرة
فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجال قتال منهم ما شاء الله وأخذوا حذني من حضر مثل هذه
الوقعة في بلدي طرطوشة قال صافقت الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا فينا رجل منا كان
في آخر الصف فقام على قدميه حمل عليه عجم من العدو فاصاب غرته فقتله ولما برز المقتدر بالله
ابن هود ملك الأندلس من سر قسطة في تغور بلاد الأندلس للقاء الطاغية ودعيل عظيم الروم
وكان كل واحد منهم قد احتشد بجاني مسوره قالت المسلمون والكنار ثم تنازلوا للقتال
وقصافقوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران فأنزع المقتدر
ذلك وفرق المسلمون من شدة ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن في التغور أعرف

بالحرب منه يسمى سعادته فقال له المقتدر كيف ترى في هذا اليوم فقال سعادته هذا يوم أسود
 ولكن قد بقيت لي - له فذهب سعادته زيه زي الروم وكلامه كلامهم لجوارتهم وكثرة محاسنهم
 فأنعم في عسكر الكفار ثم صعد إلى الطاغية ردميل فألقاهما كافي السلاح مكنتهما في الحديد
 لا يظهر منه الاعيان فجعل يتخيله ويتصدغته إلى ابن أمكنته الفرصة فجعل عليه قطعه
 في عينه فخرس بعاليه الدين والقلم ثم جعل ينادي بلسان الروم قتل السلطان يامعشر الروم فشاخ
 قتله في العسكر ففخازلوا وولوا منهم زمين وكان الشيخ ياذن الله تعالى * ولما استضعف الروم صقلية
 وضربوا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال إلى العرب بأفر بقلية
 ويستجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انتم على ومنكم يا أهل صقلية - مثل رجل له
 زوجتان عجوز وصبيمة فكان اذا بات عند الصبيمة تلتقط الشيب من لحية لتصبه فيزهد في العجوز
 واذا بات عند العجوز تلتقط الشعر الا - ودمن لحية تشبهه فتزهد الصبيمة فيه فيوشك ان دام
 هذا به ان يصبح أطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا أذيتهم المال إلى ولاه - ثم يوشك أن تنفذ
 أموالكم فتبقيوا فقرامضه فأتسلحكم واتسلم البلاد * ويروي انه لما هم بتحصار صقلية أمر
 أن يبسط بساط في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من أخذ منكم هذا
 الدينار ولم يطل البساط علما انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل أحد اليه فلما أعياهم - ثم ذلك
 طويلا فاجبة من البساط من عنده وأمر كل واحد أن يطوى محابيه حتى طوى البساط
 فذروا أيديهم - ثم فلقوا الدينار فحينئذ قال لهم - اذا أردتم مدينة صقلية خذوا ما حولها من
 الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى - حتى اذا ضعت أخذتموها * وكان بسر قسطة
 فارس يقال له ابن قصون وكان بناسقي فيقع خال والدي وكان أن صبح العرب والحجم وكان
 المستعين أبو المنذر يرى له ذلك ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية خمسة دينار وكانت
 النصرانية باسمها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه فيحكى أن الروي اذا سقى فرسه فلم يشرب
 يقول له اشرب - هل ابن قصون رأيت في الماء خسده نظراؤه على - ثم العطاء ومنزله
 من السلطان فأوغروا به صدرا المستعين ففزعها أيا ما ثم ان المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم
 فتوافقت المسلمين والمشركون صفوا ثم برز عجم إلى وسط الميدان ينادي هل من مبارز فخرج
 اليه فارس من المسلمين فجالا ساعة فقتله الروي وصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس
 المسلمين وجعل الروي يكر بين الصقيين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين
 فقتله الروي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل يجول بين الصقيين وينادي
 ويقول ثلاثة لواحد فلم يستجري أحد من المسلمين ان يخرج اليه وبقي الناس في حيرة ففيل
 للسلطان مالها الا أبو الوليد بن قصون فدعاه وتلفبه وقال له أمار ترى ما يصنع هذا العجيب فقال
 هو يعني قال في الحيلة فبه فقال أبو الوليد فما تريد فقال اكف المسلمين شره فقال الساعة
 يكون ذلك ان شاء الله تعالى فلبس قبض كان واستوى على سرجه بلا سلاح وأخذ يده سوطا
 طويل الطرف وفي طرفه عقدة موقودة ثم برز اليه ففجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما
 على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن قصون واذا ابن قصون متعلق برقبة الفرس
 ينزل إلى الارض لاني منه في السرج ثم طفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط في عنقه
 فالتوى على عنقه فجذب يده من السرج فاقتلعه من سرجه وجامه بجرحه فألقاه بين يدي

المستعين فعمل المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وورده الى أحسن أحواله أيها
الاجناد أقبلوا الخلاف على الامراء فلا ظفر مع اختلاف ولا جماعة ان اختلف عليه قال الله
تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق
وعباد الجماعة السمع والطاعة وانما في علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العساكر
وكن قد ظهر أهل العراق على أهل الشام وتضعفت صفوف معاوية فأحس بالشرواثة
مغلوب فقال لعمر بن العاص اذهب فخذلوا الامان من ابن هك يعني عليا فادار عمر والحيلة
فأمرهم أن يرفعوا المعاصف في أطراف الرماح وينادون نذهبكم الى كتاب الله تعالى فلبسوا
ذلك المعاصف على كفوا عن الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه أي قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق
في القوم دفاع فعصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب الحكيمين واعلموا ان من أحزم مكائد
الحرب **ب** كفاء العيون واستطلاع الاخبار وانشاء القلب واظهار السرور واثابة الحذر
والاحتراس من العدو وأن لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستامن وقال بعض
المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غصوا الاصوات وتجبيلوا السكينة وأكلوا الوثام
واحتقوا الجبن وادعوا الليل فانه أخفى للويل الليل يكذب الجبان ويصف الشجاع الليل
المدد الاعظم الحازم يحذر عدوه على كل حال المواجهة ان قرب والغارة ان بعد والكمين
ان انكشف والاستعداد اذا ولى الجهل قوة الجرعة من اعتز بقوته فقدها ليس من
القوة التورط في الهوة لكن أشد ما كنت حذرا ما كنت عند نفسك أكره قوة وعددا من
استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفريه عدوه أشعر واقلوبكم في الحرب الجرعة فانها سبب الظفر
واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والتزموا الطاعة فانها حصن المحارب اذا وقع
اللقاء برز القضاة اذا لقي السيف السيف زال الخيلار رب مكيدة ابغى من نجدة رب كلمة
هزمت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع الصبر اجعل قتال عدوك آخر حيلك النصر مع
التدبير لا ظفر مع بغى ولا تغتر بالاقوياء لفضل قوتهم على الضعفاء لا تجبئوا عند اللقاء لا تميلوا
عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغفلوا عند الغنائم زهوا الجهاد عن عرس الدنيا

(الباب الثاني والسون في القضاء والقدر والتوكل والطلب)

اعلم وفق الله تعالى ان مذهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات
منشورة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث في خالقنا في القضاء والقدر وانقضاء في
العلم وقد بين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا كل حزب بما لديهم فرحون
ولم ينفع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات
واسفار وانما نذكر في هذا الكتاب احكاما ظاهرة قريبة من العقول لتقريب الفائدة على الناظر
فيه فاعلم أولا ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر وقبح وضر وإيمان وكفر
وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطير طائر بجناحه ولا يدب حيوان على بطنه ورجله
ولا تطير بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شئ من ذلك
الا وقد سبق علمه ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والسكيب لا يتضادان وذلك
أن تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون

فهو كائن ومن خالفنا في القضاء والقدر وافتنا في العلم فرب أمر قد رآه تعالى وصوره اليك
 بغير طلب فهو واصل ورب أمر قد رآه تعالى بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب ايضا
 من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انه مأمور ان في ههنا قلنا انه ما
 لا يتناقضان وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محل القلب والكسب محل الجوارح
 ولا يتناقضان في محله به ما يتحقق العبد ان المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شيء
 فبقتديره وان اتفق فبتمسيه قال انس جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله ادعها أو توكل
 فقال اعقلها أو توكل والتوكل والاعتصام بالقدر يستمدان من العقل والطلب والكسب
 يستمدان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الائمة بما ضمنه والقطع يكون ما حكم به فمرام
 أمر من الامور ليس الطريق في تحصيله أن يغلق باب عليه وينقوض أمره الى ربه ويتنظر
 حوله ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر
 النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة به يظهر به ويختبر من العدو
 وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لائمة الحرب ويعبى الجيوش
 ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترعى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداواة وقال
 أنزل الداء الذي أنزل الدواء (فان قيل) قدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو
 أكتوى فسد برئ من التوكل (قلنا) ليس قد قال اعقلها أو توكل وظاهر بين درعين وسائرهما
 ذكرناه آنفا (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه ان استرقى واكتوى منسكلا على الرقية
 والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرج من التوكل وانما يقوله كافر يضيف الحوادث
 الى غير الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية ونهاطى تدبير الامور بنفسه وأعوانه وماله
 على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو واثق
 القلب أن ما حصل بقتديره وما تعسر بقتديره معقد في ذلك على المسبب لا على الاسباب
 فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يعتنى في ذلك كله مع الاثر ولا يسلط طريقا فيه مصيبة قلبه
 يستدوج ما عند الله بعاصيه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ابتغى أمر اجمع صيته الله
 كان أبعد للمرجا وأقرب لحيي مما اتقى ومن ظن ان الطلب والاكتساب يناقض التوكل فقد
 في بيته وأغلق بابيه منسكلا على الله تعالى في زعم كان عن العقل خارجا وفي تيسر الجهل والجهل
 ويقال له فيجت با هذا الذبعت وحضر الطعام فهو الى الطعام أحوج منه الى المعرفة وتبغى
 لاهله أن يداووا لا ترى أن الله تعالى قال لربم وهزى اليك يجذع النخلة فهل أمرها بالسكون
 ثم حمل الرطب الى فيها وهكذا القول فيمس له دابة أو يستأن يؤمر بسقي البستان وحفره
 وإصلاح شأنه ويؤمر بأن يعاف الدابة ويسقيها وأنشدوا

ألم تر أن الله قال لمريم * اليك نهزى الجذع تساقط الرطب

ولو شاء أجنى الجذع من غير هزها * اليها ولكن كل شيء له سبب

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكلنا لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
 خفاصا وتروح بطانا فلم يعمل أرزاقها اليها في أوكارها بل الهمها طلبه للغد ووارواح وقد كان
 بهيل ريس القمدمار يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون أهل زمانه من

الملوك ما حجزه عن الطلب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه وقهره على مملكته فقال له
 بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى أخلاق ذوات
 الاجرة من الحيوان كالأضب وسائر الخنثرات تشافى أجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا
 بين القدر والطلب وقالوا انهم كالعاملين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما أرحح مما حمل
 في الآخر سقط وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونفخ سفره وقت
 بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان أحمى ومقعدا كانا في قرية بقرية وضربا فلان لا على
 ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احسنا باقوتهم ما من الطعام والشراب
 فبرز الا في عافية الى ان هلك المحتسب فاما ما بهدأ اياها فاشتد جوعهما وباع الضرر منهما ما جهده
 فاجعوا رأيتهم ما على ان يحمل الاعى المقعد فيسده المقعد على الطريق يصيره ويستقل
 المقعد بحمل الاعى فيدور في القرية يستطعمان أهلها فقه لا فينجح أمرهما ولم يبقه إلا
 هلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما ما معين لصاحبه فأخذ
 جهيل في الطلب فظن بعبادته ورجع الى ملكه فكان جهيل يقول لا تدعن الطلب اتكالا
 على القدر ولا تجهدن نفسك في الطلب معقد اعليه مستهينا بالقدر فانك اذا جهدت نفسك
 بالطلب بوجوه التدبير المحجود مقصد فبالقدر نلت ما تقارول ولم تلتو عليك الامور وان علمت بذلك
 قال توى عليك أمر من مطلوبك فذلك من اعانة القدر وانك قد آتيت ذنبا فتد جوارحك
 واستكشفت ظاهرك وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب آتيت به جارحة من جوارحك
 واخرج من كل مظلة ظلمتها فاذا فعلت ذلك فابك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى واعلم
 ان هذا الاصل الذي تترناه يخرج عليه كل ما ورد في القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه
 وسلم من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتوويض له من ذلك ان سليمان الخواص تلا
 يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي لعمد بعد هذه الآية ان يلجأ الى أحد
 غير الله فلما عناه لا يلجأ الى الاسباب اعتقاد اعلمها ولكن يلجأ اليها وثقبا بان الله تعالى يفعل
 ما يشاء كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة وابس درعين الاتري ان من يطلب الزرع
 والولد ثم قد في بيته لم يأت زوجته ولا بذراؤه معتقدا في ذلك على الله تعالى وثقابه ان تاد
 امرأته من غير وقاع وتبت أرضه الزرع من غير بذركان عن المعقول خارجا ولا امر الله تاركا
 وللأمة والحكماء في القدر لذاظ بارعة على السبر والامتحان منها ما روي ان علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه سئل عن القدر فاعرض عن السائل فابى الاجواب فقال علي أخبرني أخبرت
 الله كما تشاء وكما يشاء فامسك الرجل فقال علي للعائرين آتروني يقول كما تشاء اذ والله أنضرب
 عنقه فقال الرجل كياشء فقال علي أجيئك كما تشاء أو كياشء قال كياشء قال أجيئك كما تشاء
 أو كياشء قال كياشء قال أفيضمرك كما تشاء أو كياشء قال كياشء قال أفيضمرك كما تشاء
 أو حيث تشاء قال حيث يشاء قال قم فليس لك من الامر شيء وروي ان رجلا قد ربا ومجوسيا
 تناظر افعالا القدرى للججورى مالك لا تسلم فقال الججورى لو اراد الله تعالى لاسلت فقال
 القدرى قد اراد الله تعالى ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال الججورى فانا مع اقواهما وروي
 في الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بفتح منسوب واذا طار فرب منه فقال الطائر

يا بني الله هل رأيت ثقل عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيده في فيه وأنا أنظر إليه قال فذهب عنه ثم رجع فاذا الطائر في الفخ فقال له عبالك أو است القاتل آتفا كذا وكذا فقال يا بني الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلي رضي الله عنه أ رأيت من جنبتي سبل الهدى وسلكي سبل الردى أحسن الى أم أسا فقال له علي ان كنت استوجبت عليه حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران غيلان القدرى سل فاقوى ما تكونون اذا سألتهم فقال غيلان أشاء الله أن يهني فقال ميمون أبعضي كارهها فاقطع غيلان وروى ان رجلا قال ليزرجهر تعال تناظر في القدر فقال وما تصنع بالنماظر في القدر رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن ورأيت أحق مرزوقا وعاقلا محروما فقلت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم

يحبب الفخ من حيث يرزق صاحبه * ويعطى الخي من حيث يحرم طالبه
ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له بن يزيد المذهب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدي سليمان فقال موسى ان الهد هديهم ندس الماء في الارض الفياقي ويصير القريب منه والبعيد على بعده في التقوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة والحبة فلا يصير حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهداهد كانت رائدة سليمان ابن داود عليهم السلام الى الماء فتقدم معه كره ثم تنظر الارض فتقول الماء ههنا على ألف قامة أو أقل أو أكثر فتساردا لجن تحفره فلا يلحق سليمان الاودة فداسته هذا الماء واعلموا أن الهارب محامو مقضى مقدر كالنقلب في كف الطالب وأنشد بعضهم

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فقصوه تتوجه
ولبشار طبع على مافي غير مخير * هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطي وأعطي فلم أرد * وقصر عاى أن يشال الغيبا
وأصرف عن قصدى وعلى مقصر * وأمسى وما أعطيت الا التجبعا
ولما وقع الطاعون بالكوفة فز ابن أبي ليلى على حمار له يطلب التجاة فسمع من شاذ يشد
لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
أوبأنى الحنف على مقدار * قد يصح الله امام السارى
فكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلا تن حين مهرب وأنشد بعضهم
أقام على المسيرة قد أنيخت * مطايا وغرد حادياها
وظل أخاف عادية الليالى * على نفسى وأن ألقي رداها
ومن كتبت منية بأرض * فليس يوت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجدوا في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان القدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد جهز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى في قوله تعالى وكان تحته كثرلها انما كان الكثر لو ما من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح

وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يعقل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطعن اليها
 لا اله الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ هجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره
 وهو يرى تناقض تدبيره ورجل يشغلهم غده وعالم مقنون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب
 ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما فقبضه الشرط وحملوه
 الى دار السلطان فأناب منهم في بعض الطريق وتزاحى في بئر والمدينة مسربة تحت الارض
 بأسراب يعيش الماشي فيها فأعياهم ترقها ويدور هالان في دورها آثارا على تلك السروب فإزال
 الرجل يعيش الى ان لاح له بئر ضيقة فطلع فيها واذا البئر في دار السلطان فطاع الرجل في دار
 السلطان فادبه السلطان فكان فيه المثل السائر القار من القضاء الغاب كل من شئت في يد
 الطالب وقال ابن مسعود ان الرجل يشرف على الامر من الامارة والتجارة أو غير هاذ كره
 الله تعالى فوقه مما رواه فيقول للملك اصرف عن عبيدي هذا الامر فاني ان أسير له أدخله به
 جهنم فيظلم بغير ظلم على جبرانه فيقول سبقني فلان وحسبني فلان وما صرفه عنه الله تعالى

وأنشدوا

قالوا تقيم وقد احاط بك العدو ولا تنفر

فاجبتهم والشبح ما لم يتفزع بالعلم غتر

لانت خيرا ما بقيت ولا عداني الدهر شر

ان كنت أعلم ان غيرة الله ينفع أو يضر

استأذن العقل على الجسد فقال اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا
 أحتاج اليك (وأوصى) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جذا يحمدك به ذوو العقول ولا رزقك
 عقلا لا يخدم به ذوى الجودود وكان يقال افراط العقل مضر بالجسد وروى ان رجلا خبرني امر
 فاني أن يختار وقال أنا بجدتي أو تقمى بعقلي فافرغوا وفي الامثال اسع بجدك اسع
 بجدك أو دعه جدد لا كذلك الجدل الجدل الجدل أغنى من الكد واعلم ان زمام الامور التوفيق
 ولم ينزل من السماء الى الارض أقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين
 جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جعت فيه كتابا من جلة كتابي في الاسرار هل التوفيق
 مكتوب أو موهبة بلا سبب فلا من يدعيه ومن لطيف ما وقفت عليه في مجاري القضاء والقدر
 وان المهارب من المقدور كل من شئت في يد الطالب ما نزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل
 الذي تقدم ذكره

الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك الهجم

وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول

(الاول) يشتمل على أخبار رفعت السبابة القراغس الكتاب فالحقناها (والثاني) يشتمل على
 حكم الحكيم الف من خاصة (والثالث) يشتمل على حكم الحكيم السند خاصة (والرابع) يشتمل
 على حكم الحكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة من متنبية رصفنا ذلك لتعظم في
 عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب جاويدان خرد القارص قال ثلاثة لا يصلح
 فسادهن بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في العقول
 وثلاثة لا يستقد صلاحهن بنوع من المكر والحيل العبادة في العلماء والقنوع في

المستبصرين والسخاء في ذوى الاخطار وثلاث لا يشبع منهم الحياة والعافية والمال وقال
ابن اقمان لا يه يا أبت ما الداء العيا قال رعونته وولده قال فما الخرج الدوى قال المرأة السوء
قال فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية أبو عبيد الكاتب وكان ظريفاً
أخبره قال والله الغضب أخف على من ربته وكان أسرع الناس غضباً فقبل له انما عني
اقمان ان احتمال الغضب ثقل فقال لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب
يوما على بعض أصحابه فرماه بدواة فشبهه فجعل الدم يسيل فقال أبو عباد صدق الله العظيم حيث
قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فاستدعاه المأمون وقال ويحك لا تحسن ان تقر آية من
كتاب الله تعالى قال بلى والله يا أبا المؤمنين انى لا قرأ من سورة واحدة ألف آية فضحك المأمون
وأمر بانحراجه وقيل لا نوشر وان ما العقل قال القصد في كل الامور قيل فما المروءة قال ترك
الرية قيل فما السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحق قال الاغراق في الذم والمجد وقيل
لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما اراد سوء
الظن يتفهمه لا بغيره قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذى يجمع القلوب على المودة قال
كف بذيول وبشر جيل قيل فما الاحتمياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال معاوية لزيد
حين ولاد العراق يا زيدا ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كاهنه واجعل الرجوع والنزوع
بينة من قلبك واحذر صولة الانهالك فانها توذى الى المهالك وهو مثل قول علي بن أبي
طالب رضى الله عنه أحب حبيبك هو نأما عسى أن يكون بغضك يوماً وأبغض بغضك
هو نأما عسى أن يكون حبيبك يوماً ومن ذلك قول الاول

وأحب حبيبك حبار ويدا * فليس يعرفك ان تصرما

وقال آخر ولا تأسن الدهر من حب كاشح * ولا تأمن الدهر من حبيب

وسئل بزرجهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل فما الحزم قال اتهازا القرصة قيل فما الحلم قال
العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مفرق وبغض
مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر ما لم يلفه أحد من ملوك زمانه ما الذى بلغ
بك هذه المنزلة قال عفو عند قدرى وابنى بعد شدتى وبذلى الانصاف ولوى لنفسى وباقي
في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقرا
أرشدنى لاحزم أمرى قال لا تملك قلبك محبة النئى ولا يستولين عليك بغضه واجعلها مقصدا
فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في القلب تنزع وترجع واجعل وزيرك التثبت وممرك
التيقظ ولا تقدم الابعاد المشورة فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكك قلوب رعيك ملك
استعباد قال الشاعر

وما عسى الانسان الا لانه * ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما القائد المشفق قال
حسن المنطق قيل فما العناية المعنى قال تطبيعك من لا طبع له وقال القصد لى بن مروان سألت
رسول ملك الروم عن ميرة ملكهم قال بذل عرفه وبجود سيقفه فاجتمعت عليه القلوب ورغبة
ورغبة لا ينقص جوده ولا يخرج رعيته سهل النوال حزن الشكال الرجا والخوف

معقودان في يده قلت فكيف حكمه قال برّد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذي حق حقه
 فالرعية اثنان راض ومغبط قلت فكيف هيبتهم له قال يصور في القلوب فتغضى له العيون
 قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغافى اليه واقبال غيبي عليه وكانت الرسل تنزل عندي
 فقال لترجمانه ما الذي يقول ان ملكهم ذوانا عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند
 الغالبية وذو عقوبة عند الاجترام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم تعذيبه
 فهم يقرءونه ترائى الهلال حبالا ويخافونه مخافة الموت تكالا وقد وسعهم عدله ورد عنهم
 سطوته عقله فلا تخشونه خزيمة ولا تؤيسه عقله اذا اعطى اوسع واذا عاقب اوسع فالناس
 اثنان راج وخائف فلا راجي خائب الا مل ولا انطاف بعيد الاجل قلت فكيف ربهبتهم له
 قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا تتبعه الابصار انساها كان رعيته قطا فرت عليها
 صقور صوائدها قال فحدثت المامون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهما عندك قلت انقادهم
 قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي
 الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن اف تعرف احدا من الخطباء البلقاء يحسن ان يصف احدا
 من خلفاء الله الراشدين المهديين يمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت اهلما به بشرى ألف
 دينار بمجملتها وما جعل العدة مائة مئتين وبينهما على العود فلولا حقوق الاسلام واهله لرايت
 اعطاءهم امانا في بيت المال الخاصة والعامّة دون ما يستحقونه وقال الفضل بن سهل كان عندي
 رسول ملك الروم وكان يحسن دني عن أخت للملك يقال لها خاتون قال اصابنا ناسنة احتسدم
 شواظها علينا بجراة المصائب وصنوف الآفات ففرزع الناس الى الملك فلم يدروا يجيبهم به
 فقالت له خاتون أيم الملك ان الحزم علق لا يخلق جديده ولا يمتن عزيزه وهو دليل الملك على
 استصلاح رعيته وزاجله عن استفسادها وقد فرغت رعيته اليك لفضل الجزع عن الالتجاء
 الى من لا يزيد الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما احدا ولى
 بحفظ الوصية من الموصى ولا يركوب الدلالة من الدال ولا يحسن الرعاية من الراعي ولم تزل في
 نعمه لم تغيرها اتقمه وفي رضالم يكدره سحق الى أن جرى القدر بما عصى منه البصر وذهل عنه
 الجذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعاد اليه بشكر النعم وعذبه من قطيع
 النعم فحق تنه بفسك ولا تجعل الحياء من التذلل لاه عز المذل شركا بينك وبين رعيته
 فتستحق مذموم العاقبة ولكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار بكنه القدرة
 وتذليل الاسن في الدعا بمحض الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن شئ فعل الى
 صالح على وابيعته على دؤب شكر يحوز به فضل اجر فامرها الملك ان تقوم فيهم فتذرهم
 بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ في الامر والنهي
 فقال عليهم الحول وما ينهم مفقدة قد نعمة كان سلبها ونوارت عليهم الزيادات بجميل الصنع
 فاعترف الملك لها بالفضل فقادها الملك بعده وجمع الرعية على الطاعة لها في الهبوب والمكروه
 فهذا فعل اتبعه اعدائه وضرارته منته لما شكره واعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجع وزادهم
 من فضله ما منحوه فكيف بن يوحى دونه ويؤمنون به لوصدقت نياتنا وصحت ضمائرنا وقال

الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجد في جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا ماتت الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الحيات انصهرت البركات وقال الوضاحي وجه أنوشروان رسوله الى ملك قد اجمع على محاربتهم وأمره ان يعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل أقوى من الجلد والكذب أكثر من الصدق والجور أرفع من العدل فقال أنوشروان رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك في محاربتهم بما هو عنده أخف وأقل وأوضع فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجمهر المزح آفة الجلد والكذب عدو الصدق والجور فسد الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهب هيئته واذا استعجب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم رسمه وهو أحد ملوك القرس الهزل مبغضه والكذب منقصه والجور فسد وقيل لبعض أصحاب اسفنديار رجل من الترك فأصيب في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهييب وآفة المنطق الجباية وآفة كل شيء الكذب وقيل لبعض الحكماء قيمة الصدق قال الخلد في الدنيا قيل فقيمة الكذب قال موت عاجل قيل فقيمة العدل قال ملك الابد قيل فقيمة الجور قال ذل الحياة قال وسأل ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودولته قال له الخلد في كل الامور قال فقيمة زواله قال الهزل فيه قال فمأسور الدنيا قال الرضا بما رزقت قال فقيمة ما قال الحرص على ما لعلك لا تناله وقال بزرجمهر ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن نغمها فاما السرور فالرضا بالقسم والرضا بالطاعة في النعم وفي الالهة تمام بالرزق الغد وأما النغم فخرص مسرف وسؤال محجف وتقي ما يلهم ومر به بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير متبعث وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام يا أيها الملك في الرفق به مضرة عليه قال وما مضرة قال تطول طريقته ويشتد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف حمله وبطول أكله فابغى الملك بكلامه وقال له قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب ما جور قال وقد أمرت بأبواب امنك في حشمي قال كفيت مؤنه ورزقت بهامه ونه قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان بعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يلوها قال فاستوزرته فوجده ذاريا صليب وفهم رحيب ومشورة تقع موافق التوفيق قال وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد عنف في الشرق والغرب وبلغ منه ما لم يبلغه أحد قبله **كتب** الى لفظا موحوا يقع ويردع فيكتب اليه اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمان بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الامل فاذا كر الموت فان أحببت نفسك فلا تنجها ان لها في الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء مملكا فقال له أيها الملك ان الدنيا دار عمل والاشرة دار ثواب ومن لا يقدّم لا يجدهن نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها واعلم ان زمام العافية بيد البلاء وأمن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكون في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك عرضا لسهام الهالك فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بقاية

الاستعداد اذا فكريت في نفسك وعدوها استغيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب
الاسكندرية أجل قريب في يد غيرك وسوف حنيت من الليل والنهار واذا اتهمت المدة حيل
بينك وبين المدة فاحتل قبل المنع وأكرم أجلك بحسن صحبه السابقين واذا أنستك السلامة
فاستوحش بالعطب فانه الغاية واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا
بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابي
حدثني من رأى بين اصهبان وفارس حجر مكتوب عليه العافية مقرورة بالبلاء والسلامة مقرورة
بالعطب والامن مقرورة بالخوف ولما ضرب النوشروان عنق بزر جهر لما رغب عن دين
الجهوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان
القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالنفة بكل أحد عجز واذا كان الموت
بكل أحد نازلا فالطماينة الى الدنيا حق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام
ورد عليه ملكه كعب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلاء واذا غابت السلامة نجم العطب
واذا تم الامن علق الخوف (وحفر) حفر بنارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة
أولها أيم المعافي أشهر بالبلاء والثاني أيم السلام توقع العطب والثالث أيم الآمن خذاه به
الخوف والرابع أيم المؤمن يبعد عنك العسر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمير قد أتاه أسبندها
فقال أيم الملك ان بالقدر هارجر مدفون فيه ثلاثة أسطر وجدت في الكتب ان سليمان بن
داود عليه ما السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجد انك أنت الذي نشقخر به وتعمل بما
فيه فأمر به فأخرج فاذا أول سطر منه الحزم اتهاز الفرصة وترك الوفاق يخاف عليه القوت
والسطر الثاني الرياسة لاتتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا بآمن ترك الابناء
ولم يصب من لم يحب فكان أبو مسلم يقول علم جليل به تتم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول
بيننا وبين الحذر فلم يزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعلم القدر عن الاستعانة
بالحذر فقتله أبو جعفر المنصور ولما حج أبو مسلم قبل له ان بالحيرة نصرا ايا قد أتت عليه ما تأسنة
وعنده علم من العلم الأول فوجه اليه فاني به فلما نظر الشيخ الى أبي مسلم قال قدمت بالكفاية
ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سيسكت حسك وكان قد عاينك رسولك
فبكى أبو مسلم فقال لاتبك فالك لم تنوت من حزم وثيق ولا من رأى رقيق ولا تمديد نافع ولا
من سيف قاطع ولكن ما استجمع أحد لامله الا أسرع في تقرب أجله قال فاني تراه يكون
قال اذا نواطأ الخليفة ثقتان على أمر كان والتقدير في يدي من يعطل معه التدبير وان رجعت
الى خراسان سلمت وهيمات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضي ووجه اليه من يحسنه
فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكنت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على
التيقظ في الحذر والاحتيال في الهرب على ان اسلك نفس غاية ولكل أمر نهاية (وقيل)
لجانيوس وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نهكته العلة الاتعاج فقال اذا كان الداء
من السماء بطل الدواء واذا قد رال بطل حذر المربوب وتم الدواء الاجل وبش الداء
الامل وقال بعض الفزاة قصنا حنا من بلاد الروم فرأى فيه صورة الاسد من حجر مكتوب
عليه الحيلة خير من الشدة والثاني أفضل من الجملة والجهل في الحرب احزم من العقل

والنسكر في العاقبة مادة الجزع (وقال) أحد بن سهل وجهه ملك الروم الى هارون الرشيد بثلاثة
أسياق مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب أيها المقاتل احل نغم ولا تنسك في العاقبة
فتنزم وعلى الثاني منها مكتوب اذالم تصل ضربة سيفك فصلها بالقضاء خوفك وعلى الثالث
مكتوب الثاني فيما لا يخاف عليه القوات أفضل من الهزيمة الى ادراك الامل وقال الحسن
ابن سهل قرأت في كتاب جاوريدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والهزيمة مع
التأني والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدد نجر عليه مكتوب بالحيرة
أيها الشديدا احذر الحيلة أيها الجول احذر التأني أيها المحارب تأيس من الفکر
في العاقبة أيها الطالب وجود الاقطع أملاك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى أخبرني
بأربعة أشياء لم أجدهم يعرفها وخالها عندك أخبرني ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك
الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والثاني مدرك
الامل والجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك الحكيم وأراد سقرا أو قنصا على أشياء من
حكمتك اعمل بها في سقري فقال اجعل تأنيك زمام بعثتك وحيلتك رسول شدةك وعقولك
ملك قدرتك وأناضامن لك قلوب رعيتك ان لم تخرجهم بالشدة أو تطهرهم بالاحسان اليهم
وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاوريدان خرد وهو أجل كتاب للفكر من الحيلة أنفع من أقوى
الشدة وأقل الثاني أجل من أكثر الهزيمة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان
برأيه عميت عليه المرشد وكان التجسك ان أبو زرجه رضاء القدر وضيع الحال ففهمه
المنطق فلما أنت ابر زجه رخص عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد جلست الوزراء على
كراسيها والمرابذة في مجالسها وقف جميعا لملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المروء
نقمه الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعوده في القالك حتى رفع شأنه وعظم سلطانه
وأثار به البلاد وأعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير فرعى رعيته بفضل
نعمته وجاها المؤيدان وأوردها المعشبات وذادها عن الآكيات وأفهمنا الفرق واللين
انعاما من الله تعالى عليه وتنبينا ما في يديه واسأله ان يارلك له فيما آناه ويخبره فيما استرعاه
ويرفع قدره في السماء وينمذ كرم تحت الماء حتى لا يبقى له ينهم ما نواى ولا يجعله فيما
مدانى واستوهب له حياة لاتغيب فيها وقدره لا شاذ عنها وملك لا يؤمن فيه وعافية تدب
له البقاء وتكثر له النماء وعزايؤمنه من انقلاب رعيه او هجوم بليبه فانه مولى الخير
ودافع النمر فأمر الملك فحشي فيه بنين الجواهر ورفيعه ولم يدفع حدانته سنه مع نبيل كلامه
ان استوزره وقلده خيره وشيره فكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز ما لقه
على العاقل نعمة بعد الاسلام أفضل من مبانة هذه السفلة بالقهم والعقل ولوليك هذا
ما عرف الله تعالى الا بالجهل ألا ترى ان الله تعالى خاطب أولى النبي وذوى الالباب وذوى
البصائر ويجب على العلية ان يحمدوا الله تعالى على مبانيتهم هذه السفلة بالعقول والافهام
كما يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أصرارك الى
هذا قال الاستبداد برأى لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال قلت في
نفسى هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجنديا يظهر لي من فساد الدولة قبله وهيأت

أن يقتض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان وقال الواقدي قال الفضل بن سهل لما
دعى للمأمون في كور خراسان بالخلافة جاءته ابا الملويس وراجمكان من الخلافة ووجه ملك
كابليستان شيئا يقال له ذوبان وكتب يذكرانه قد وجه به سدية ليس في الارض اسقى منها ولا
ارفع ولا تابل ولا تخرمها فحبب المأمون وقال سل الشيخ مامعه فسأته فقال مامعه شي أكثر
من على قلت وأي شيء عليك قال رأي ينقع وتدبير يتطاع ودلالة تجتمع قال فسر المأمون
بذلك فأمر بانزاله واكرامه وكتفان أمره فلما اجتمع على التوجه الى العراق لقتال أخيه
قال لذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال رأي وثيق وحزم مصيب وملك قريب فالتسبر
ماض فاقض ما أنت قاض قال له فن توجه قال الفقى الاعور الطاهر الاطهر يسير ولا يغير
قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكلم توجه من الجند قال أربعة آلاف صوارم
الاسياف لا ينتقضون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر
ابن الحسين قال وفي أي وقت يخرج قال مع طلوع القمر يجمع لك الامر ويصير الى النصر
نصر سريع وقتل ذريع وتشريق تلك الجوع والنصر له لاعليه ثم يرجع الامر اليك واليه
فظهر طاهر وكان له النصر وقتل على ابن عيسى وزير الامين واستولى على عسكره وحاز
أمواله فأمر الملك لذوبان بمائة ألف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك
لانقصك مالاك فلا تجعل ردى لنعمةك تهظا وساقبل ما بيني هذا المال ويزيد عليه قال
المأمون وما هو قال كتاب يوجد بال عراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الاتفاق من كتب
عظيم الفرس فيه شفاء النفس من صنوف الآداب بما ليس في كتاب عند عاقل
ليب ولا فطن أريب يوجد تحت ايوان بالمداين فيقاس بالذرعان في وسط الايوان لازيادة
ولا نقصان فافتر المرد واقطع الحجر فاذا وصلت الى الساجه فاقطعها لتجد الساجه ولا تلزم
لغيرها فليزملك غب ضمها فارسل المأمون الى ايوان كسرى خفرواني وسطه فوجدوا
صندوقا فيه امان زجاج عليه قتل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذا بفتيتك قال
نعم أيها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بالساعة وتقم في القتل فتنفخ فخرج منه خرقة
دياج فشرها نسطا منها أوراق فهداهامانة وورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فأخذ
الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فحتمه فسأته فقال هذا كتاب جاويدان
خرد تأليف كيجور وزير ملك ايران شهر فطابت منه شيء أفدفع الى ورفات منه وترجمها الى
الخط من على ثم اخبرت المأمون فقال اجعل الى الورقات فحتمها اليه فقرأها فقال والله هذا
الكلام لا ما نحن فيه من لي السنتنا

● (فصل) ● من نوادر برزجهر حكيم الفرس نصفي النعماء ووعاقي الوعطاء شفقة ونصيحة
وتأديا فلم يعطى احد مثل شيبي ولا نصفي مثل ذكري ولقد استأثرت بنور الشمس وضوء
القمر فلم استضيئ بشيء أضوأ من نور قابلي وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يملكني احد ولا
قهر في غير هواي وعاداني الاعداء فلم أر أعدى لي من نفسي اذا جهلت واحتزنت انفسى
بنفسى من الخلق كلهم حذر اعليما وشفقة فوجدتها اشتر الانفس لنفسها ورأيت انه لا ياتنها
الفساد الا من قبلها وزجنى المضائق فلم يزجنى مثل الخلق السوء ووقعت من ابد البعد

وأطول الطول فلم أقع في شئ أضر عليّ من لسانى ومثيت على الجرو وطئت على الرضاء فلم
 انرا أحر من غضبي اذا تمكنت منى وطالبني الطلاب فلم يدركنى مدرك مثل انساني ونظرت
 ما لاله القاتل ومن أين نالني فرجته من معصية ربي سبحانه والتست الراحة لنفسى فلم أجد
 شيئاً أروح لهامن تركها ما لا يعينها وربكت البحار ورأيت الاهوال فلم أوهو لا مثل الوقوف
 على سلطان جائر ونوحشت في البرية والجبال فلم ارضل القرين السوء وعلمت السباع
 والضباع والذئاب وعاشرتها وعاشرتني وغلبها فقلبي صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب
 وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئاً أألذن العافية والامن وتوسدت الشياطين
 والجبال والسباع فلم أخرج الامن الانسان السوء واكت الصبر وشربت المر فلم أرى شيئاً أتر
 من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوس وباشرت السيوف وصارعت الاقربان فلم أدر قراً
 أغلب من المرأة السوء وعلمت الحسبيد ونقلت الصخر فلم أرحل أنقل من الدين وتقرت فيما
 يذل العزيز ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من ذى فاقة وحاجة ورشت بالثياب
 ورجعت بالجاره فلم أر أنه من الكلام السوء ويخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت
 في الوثاق وضربت بهمة الحديد فلم يهدنى مثل ما هدى الغم والههم والحزن واصطنعت
 الاخوان واتخمت الاقوام للعدة والسدة والنايبة فلم أرى شيئاً أخير من التكرم عندهم وطلبت
 النقي من وجوهه فلم أر أعني من القنوع وتصدقت بالخائر فلم أر صدقة انفع من رد ذى ضلالة
 الى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة الجار السوء وشهدت الفجار
 لا عزيه واذا كرفلم أر شرفاً أرفع من اصطناع المعروف ولبست الكساء الفاخرة فلم البس شيئاً
 مثل الصلاح وطلبت أحسن الاشياء عند الناس فلم أجد شيئاً أحسن من حسن الخلق وسررت
 به طايا الملوك وسبأهم فلم اسر شيئاً أكثر من الاخلاص منهم

• (فصل) • ومن حكم شباباق السندي من كتابه الذي سماه منقل الجواهر للملك بن قايص
 الهندي يا أيها الملك اتق عثرات الزمان وتجنس تسلط الايام ولوم عليه الدهر واعلم أن الاعمال
 جزاء فانق العواقب ولا ايام عثرات فكان على حذر وللاقدار غيبات فاستعد لها وللزمان
 منقلب فاحذر دولته لتيم الكثرة تخف سطوته سريع الغرة فلا تأن دولته واعلم ان من لم
 يدأ بنفسه من سقام الآتيا في ايام حياته فخاب بعد من الشقاء في دار لا دوا لها ومن اذل
 حواسه واستعبد لها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نيله ومن لم يضبط نفسه وهي
 واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلها صعب عليه ضبط
 الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصي البلاد اطراف المملكة
 أبعد من الضبط فيبدأ الملك بالمطاعة على نفسه فليس من عدو اق ان يهداه بالقهر من نفسه
 ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة مئنة دون صوابها قد تأتي على النفس
 القوية الحذرة فكيف اذا اجتمعت خمس أنفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن
 شرة لبيت لا أخرى فبها تاسلم من شرهما وانما يملك الحيوان بالشهوات ألا ترى أن
 القراش يكره الشمس فيسكن من حرها ويعجبه ضياء النار فيمدنونها فتحرقه والظبي على نفاذ
 قلبه وشدة حرصه يصت للسماع الموقد الملهي فيمكن القناص من نفسه وذباب الورود

المتبع لطبيب الارواح يطالب ما يقطرون اذن القبل لطبيب رائحته فانه في طبيب رائحة المسك
 قبله به طبيب الرائحة عن الاحتراز من تحريك القبل اذنه فيتولج في أصل اذنه فتقع عليه
 ضربة الاذن فتقتله والسهمك في البحر فحمله لذة الطعم ان يتلقه فحصل الصنارة في جوفه
 فيكون فيه حنقه (وذكر الحكيم) ان خصال امه روفة قتلت بالافراط في املو كما معروفين
 فالصيد مات فيه قومه الملك والافراط في العهار مات منه سيب الملك والافراط في السكر مات
 فيه حازق الملك وشدة الحرص مات منه مهر بوق الملك والغضب أخر حنى الملك والطمع
 وائل والفرح واطبات والانفة بوليس والتواني زمير بهر واخلاق بخصال اهلك ملك ملوكا
 ان يجتنبها الملوك واعلم ان الرعة تستطلي الى الملك العادل اسقطاه أهل الجذب الى الغيت
 ويتعشون بطعمته عليهم كاتعاش النبات بما يشله من القطر بل الرعة بالملك العادل آثم
 نعمانها بالغيت لان لذة الغيت وقوامها وما وعد الملك على الدوام لا يتعين له وقت
 ويحسن بالملك ان يشبه تصاريق تدبره بطباع غشائية أشياء وهي الغيت والشمس والشمس والشمس
 والرياح والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيت فتوارته في أربعة أشهر من السنة
 ومنفعة لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطى جنده وأعوانه في الاربعة أشهر تقديرا
 لشدة السنة فيجعل رفيعهم ووضعهم في الحق الذي يستوجبون عزلة كما يسوى المطربين كل
 أكمة مشرفة وغاظة مستقل وبغير كلام مائة بقدر رغبة ثم يستجى الملك في الثمانية الأشهر
 حقوقه من غلاتهم وخراجهم كاتنضخ الشمس بجرها وشدة فعلها انداوة الغيت والامطار
 في الاربعة الأشهر وأما شبه الرياح فان الرياح طبقة المد داخل تشرح في جميع المنافذ حتى
 لا يفوت إمكان كذلك الملك ينبغي أن يتولج قلوب الناس بجواسيسه وعمونه لا يتخفون عنه بشئ
 حتى يعرف ما يتخرون به في يومهم وأحوالهم وكالقمر اذا استمل أيامه فأضاء واعتدل نوره
 على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي أن يكون الملك بهجته وزينته واشراقه في مجلسه وأمانه
 رعبه ببشره فلا يخض شريكادون وضيع بعدله وكالارض في كتمان السر والاحتمال
 والصبر والامانة كالنار على أهل الذعارة والفساد وكعاقبة الموت في الثواب والعقاب
 يكون ثوابه لا يتصر عن إقامة حد ولا يتجاوز وكالماء في لين امانه وهدمه واقلاعه عظيم
 الشجير ان حاربه واعلم أنه قد يكشف السلطان من سر الناس والأعوان على الحاجة اليهم
 من يستشع ويستسكروا كالحيات فكشف بالصدل فيقتلها الصندل بطيب رائحته وبرده
 ويسه ويتفقع الصندل اذا لا يقرب منه من يريد أن يقطعه ولكن فيك مع فاطمك تشديد البلاء
 فلا تجر أعليك فان القمر يستتار بظوه ويظهر له لكن الشمس يستظل من حرها ويكن لها
 وقد قالت العرب في مثل هذا لا تنكحن حلوا فتستتر ولا مرافقناظ اجعل لكل طبقة من
 أعدائك اشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كلما في الاذن لاحيلة في اخراجه الأبارق
 من الماء الذي هو من جنسه اذا عايدت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحدا فعسى
 تنفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الوافي ولا تطامع في الكذب والطبوع على
 الشر أن تعطفها بالاحسان فانما كالقرد كلما من باطعام الحلاوة والدم ازداد وجهه
 قبحا قد يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حر شعاع الشمس اذا كان واقفا غاية

ارضى الناس ان يقتل بهم - مع واحدا - لكن رمية عاقل ذهن تقتل الجيش بأسره والمالك الشريف العاقل لا يقدر به قدح أهل البقي من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضيء بنوره لا تطفئه - عوف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه في اصغاته الى كل قول يسمعه كان كالسراج يعمل به كل ربح يذنه ثم لا يلبث ان عصفت الرياح أن يطفأ • تدبير الملك الحمازم في سلاطانه كنهما هذا صاحب البستان يستأنه يخرج ناحل عديان وثول شجره فيحيط به على غره وزرعه ليقص من الشروا فساد كما ينتخب الملك أهل الشكيمة والشوكه فيجملهم في أقاصيه وحده رداً للمعاكسة • وايكن الملك احذر ما يكون آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر

أمانتم ريب المذون فتمت • ريب خوف مكم في أمان

قال ألا ترى ان بهرمان الملك أنامت المرأة على فراشه رجلاً فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وبأسراج الملك قتله بخلخال مسوم ودروف الملك قتله امراته بجدي خبأته في قاصها واعلم ان العدو قد علم ذلك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصد لك في حالات الأيمن والمواضع التي تظن العدو ولا يكم منها فككن أحذر ما يكون فيها وسائر حكم هذا الباب قد قدمنا في تراجم كتابنا

• (فصل) • قال غير لا ينبغي للملك ان يكثر له أيام - المومة يظهر فيها فان في ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعوق عن ذلك اليوم - ملك بهم أو بعض كسل أولاده - فتمتة في لزمه الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لامرماً نطاوات الاعناق من الرعية وكثر كلامها وقالوا مرض أو مات أو ما يشه آفة فيكيب العدو ويرأه سورا ويكسب الولي حزننا وحسنا ومنها انه قد يواعد عدوه ليوم يلتقيان فيه فلا يلم له ذلك • ولا ينبغي ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبت الرعية وعن هذا قالت الحكماء اذا كان الجبل كثير الغفر كان نصيب الذئب

• (فصل) • من نوادر كلام العرب من حكم اكنم بن صبيتي وهذا رجس كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنده حكما لطيفة والقوافيه تصانيف فن حكمه قال من قد دنت بطائسه كان كن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدا بضرته نفسه العديم من احتاج الى لثيم من لم يهتبر فقد خسر ما كل غفرة تقتال ولا كل فرصة تنال لا وفاء لمن ليس له حياء قد يشمر السراح في بعض المزاح من وفي بالعهد فاز بالجد الموت يدنو والمرو يلهو طول الغضب يورث الوصب ريب عتق شر من رقى من ام طمع قوما احتاج اليه يوما ما الكذب بهت والحلف صفت من لم يكف اذاه اقي ما ساء الحريه تقاضى لثمن نفسه والتميم يستحسن تسويته وحسبه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت مزرب نفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالجمامة لم لا تدوم له مواصلة في الاسفار يبدو الاختيار أفسد كل حسب من ليس له أدب أفضل افعال صيانة العرض بالمال ليس من حادث الجهول بنى معقول ليس للمخلف مثل الرد من جالس الجهال فليست بعد اقبل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا نقي عنك الهتان مثل البرهان لم ينج من الموت غفلة ولا تقير لا قلاله اذا أردت طرد الحزف فعه الهوان كثرة العال آية البخل

كفر النعمة أو لم وصحبة الاحق شوم ان من الكرم لير السيم بالان والخذبة فانها خلق
 لنسيم المحض أخلا النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وبسباب قد هاجم العتاب الصدود آفة
 المقت سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب
 ولا كل غائب يوجب ان من الفساد اضعاف الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب
 فحين يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل
 الطريق وعرا الجار قبل الدار غنك خير من معين فقيرك من أجدد المير ادرك المقل
 استعوردة أخيك لما يعلم فيك لا تكفر من المزاح فقد ذهب هيبك ولا من الضحك فيستخف
 بك مرأ أكثر من متى عرف به كفى بالحلم ناصرا ائمة تهدم الصنعة نعم النقي الهدية يبر
 يدى الحاجة وبما يصح غير الناصح وبما غش المنصع الكلام فيما يتبعك خير من الكون
 والسكون مما يضلوك خير من الكلام لا يفرك من جاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان
 أقرب مة تكون من النار قريبا أقرب ما تكون منها تلها ارض أهل الذممة تلمك المهابة
 دعي مجالة أهل الرب على كل حال فانك ان بسلم دينك لم تسلم من سوء المثال الكرم شكر
 البلاء واللوم كفر النعمة أكرم الصنائع الامة الصدور ان تسلم من الناس حتى يسلموا منك
 من عدم الامكان لم تزده الرواية فقها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للعيلة كثرة النوم امانة
 للقلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محاذة الحق والسند هاموث والخلق الدليل
 على الحق انجاب المرء بقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كن
 قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحذنه فليس بما حب أدب من عرف
 بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يحسد عدوه وقصر
 بنفسه اغترق في صديقك من غضب من غير حق رضى من لائى من غضب على من لا يقدر
 عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف به
 كف ظله كل انقربه هلاكه شخ الغنى فضيخته من لم يورع في كلامه اظهر فجوره كل شئ
 لا يوافق الاحق فاعلم انه صواب اذا غلبت امرأتك فجاهد ما تهاعدوك من لم يعرف الخير
 من الشر فالحق به بالهائم من طلب ما عند البعيل مات جوعا جارا الرجل الجواد كجوار
 الجور لا يخاف العاقل والجور الجليل في المقارضة هالك اذا لم تنفع بمصادقة الاحياء مات أهل
 القبور من عادى من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقوم والحريص محروم من كثر كلامه
 على المائدة غش بطنه وابغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل
 يستطعم النير والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يبرح للشاة فليس له نصيب في المرواة اذا كان
 لئلا جارا وصديق لا تنفع به فصور مثله في الحائط فانه ازين للحائط وأخف للموتة العاقل
 يرغب في الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لم الهوت لا تنطق من
 تكلفه العاقل يتم رأيه في نفسه والجاهل يقيم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه
 من أظهر محاسنه ودفن مساويه كدل عقله من غلب هواه عقله اقتنع من استشاره عدوه في
 صديقه أمره بطبعته مصادقة الكرام غنية ومصادمة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك
 التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انتطع رجائك عن صديقك فالحق به بدوك من طلب

مرضاة الاخوان بغير شيء فليصادق أهل القبور العاقل ليس في مصادقته مخادعة رأس مال
الاحق الخديعة وقائدتها الغضب والحليم رأس ماله الصمت وقائدته الحلم اذا جهل عليك
الاحق فالبس له سلاح الرفق واللفظ صديق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حقه من أنزل
نفسه عاقلا انزله الناس جاهلا من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رفاسته السكوت عن
الاحق جوابه السكوت يزين الاحق والكلام يشينه من استطال عليك بلبسه وتحلى بفضله
فلأكثر الله في الناس مثله الجواد محبوب والبخل مبغض اذا حلت البخل مؤفة أبدى لك
الحرمان والعداوة البخل يمنع ماعنده ويجعل على الجواد يجوده من طلب من البخل حاجة
فهو شر منه من بذل لبخل صلته ورفع عنه موته دامت له موته ضيف البخل آمن من
الغمة من طلب من لقيم حاجة كن طلب السمك في المنافاة عدة الكرم تقصد وعدة التيم
تسويف الكرم يواسى اخوانه في دولته والقيم يقطعهم لانتخض لقيم فانه لا يعطيك انما
الصدوق الذي يذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند الغيب ويتعقل
عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تنحس الأمير من لم يتعقل في الصداقة فعاده من غشك
في العداوة فلا تله من كان الناس عنده سواء لم يكن له أصدقاء من صادق الاخوان بالكر
كافؤه بالغدر من لم يواسى الاخوان في دولته خذل عندما منه اياك أن تبغى موته من يحسدك
فانه لا يتقبل اخاك من حسدك على علك لم يسقم حديدك الحاسد يفرح بزلتك ويعيب
صوابك اذا رأيت من يحسدك وبسر لك ان تسلم منه فقم عليه أمورك من صبر على موقة الكاذب
فهو مثله وكل شيء شيء وموقة الكاذب لا شيء من بذل يجبهله فكانته بحكم نغمه أول المرأة
طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالي ما قال والورع يتعاهد
كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوف قد تظن الى مخنة عينه من لم
يقلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان
لا تحقر الفقير السري ولا ترغب في الغنى الدنى من تشبه بالسرعة وغلبت عليه الدناءة فلا
تكرمه من أغضبته أنكرته من أغنيته أعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب به زينة
من صانع عمله لم يتحدث من طلب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم أنكره من
شجع عليك بأنه وطمع يصبره ولم يدخل عليك فضله فليمن عليك سلبه السفيه يقطع موقة
لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المرأة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجوارم
ورجال البلاء قليل احفظ اخوانك نذل اعداءك ما أجل الصبر على ما لا بد منه المحروم
من طال نصبه وكان لغره شبه لاقوى أقوى من قوى على نفسه ولا عاجز اعجز من عجز عنها
الخير في أهل غريب ما أضعف قوة من يغالب من لا يغالب

* (الباب الرابع والمستون مشغل على حكم منشورة) *

اعلم أيها المريد أن الله تعالى عظم أنبياءه وأصفياه بأعدائه ويضطر أوليائه واحباءه الى أعدائه
رفعة وتقريرا لآبائيه وتحصناته فوات أوليائه وذخرا لهم عنده وزلي لديه تعظيما لاقدارهم
وتشريفنا منازلهم وترفعنا لدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعزبه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
لعظيم ما كان يلقيه من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن

يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
 الجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تمننا في سيرتنا فيمن نحبهم ونحبنا فالبلاء على وجهين
 أحدهما الذنب والآخر رفع درجة وتوفير أجر ولذلك كان أشد الناس بلايا الانبياء هم الصالحون
 ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلان بلا مرتبة لتضعيف درجة وتخص سيرة وبلوغ فضيلة وعلو
 منزلة وبلقاء عقوبة لانها لكسرة واقتراف معصية لن تخلوا المكاره أن تكون لحادث رحمة
 فلا رغبة عما أنتم الله به منها أو سبيته عن اضاءة فلا غنى عن زاجر عنها فلا شيء ذلك مكان
 حلوا بما عظمت به المنية ووجبت للهبة النعمة (وكان جعفر بن محمد) رضى الله عنه اذا وقع في شيء
 يكرهه يقول اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان
 المؤمن في رأس جبل لفيض الله له من بؤذيه يامن ضاق صدره وخرج قلبه وساء خلقه من عدو
 ألقاه وحسد جسد طيب نفسا وقرعينا وانتم عيشنا بشم اذ الرسول لك بالايان وعدوك بالانفاق
 ينخض عن عقلمة أهملك في الانبياء اسوة أمالك في الصالحين قدوة فلو لم تلق الله عز وجل من
 الحسنات الابما افترقناه اختيارا لاقتنا الله تعالى فقرعنا من الحسنات ثقلنا من السيئات
 قال الشاعر قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويتلى الله بعض القوم بالتم
 قال بعض الحكماء الذي رأينا ما نحب فيما نكره أكثر مما رأينا ما نحب فيما نحب * وقال علي بن
 أبي طالب رضى الله عنه ما أهني ذنب امهات بعده حتى أملى ركعتين * السجون قبور الاحياء
 وشماتة الاعداء ونجربة الاعداء وأسعد الناس من كان القضاء له مساعد وكان لمساعدته
 أهلا غلب على الكرم من بدر اليه السماتة لئوم عوام الناس عدة تلواهم مجي القدر
 يسبق الحذر من مخرم شيء حاق به من غير شيء يتلى به الخلق ثم المصائب مذاكرة
 الرجال تلقح لالبابها أقل ما في طلب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه
 أعظم جرما عليها من المعاقبة عليها قرابة بغير منفعة بلمة عظيمة النعمة متعة كسنا أدبا
 لنفسك ما كرهته من غيرك الحمية شوب بالجهل الاثقة قوام السفة قل أنف لم يعقب ذلا
 الغادر كين لا يؤمن من ازدحام الكلام ضلة الصواب يغفلوا القرى قبل سوء الظن والحق
 السبة أعجب ما في هذا الانسان قلبه وله موارد الحكمة واضداد من خلافها فان سخر له الرجاء
 اذله الماطع وإن هاج به الفاع أهلكه الحرص وإن ملكه اليأس قسله الأسف وإن عرض له
 الغضب اشتد به الغبط وإن استعد بالرضا نسي التحفظ وإن ناله الخوف شغله الحذر وإن اتسع
 له الامن استلبته الغرة وإن حدث له نعمة أخذته العزة وإن امتحن بحصية فضحه الجزع
 وإن أقاد ما لا أطفاه الغنى وإن عضته فاقة أشغله البلا وإن أجهد الجوع قعبه الضعف
 وإن أفرط في الشبع كطته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد أفضل القول
 بديمه امرئ يوددت في مقام خوف أشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي هو فيه أولا
 ما أخذ الله طاقة أحد الارفع عنه طاعته من العجب ان لا ترضى عن ابتغى رضاك وأعجب من
 ذلك ان تسخط عليه زيرا لاسد يشبهه مولته علامة العلم العمل بالاعراض عند المناهضة
 لا تعادوا حتى تروا لا تغفروا حتى تغفروا لا تأنفوا حتى تظفروا أوجه الشفاعة براءة الساحة
 من لزوم العصاة والاستقامة لزمته القبلة والسلامة قصص الاولين مواظب الاخرين البعث

قوله بالاعراض عند
 المناهضة هكذا في
 النسخة التي بأيدينا
 ولم يظهر معناه فليحذر

يوضح الحق كياورى النار والقدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط
غناه (قال جعفر بن محمد الصادق) عجب لمن يلى باربع كيف يغفل عن أربع لمن ابتلى بالضر
كيف يذهب عنه أن يقول مسمى الضر وأنت أرحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجيبنا له
فكشفتنا ما به من ضر وعجب لمن يلى بالغم كيف يذهب عنه أن يقول لا اله الا أنت سبحانك انى
كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجيبنا له ونجينا من الغم وكذلك تنجي المؤمنين وعجب
لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فاقبلوا
بنعمة من الله ونفسل لم يسهم سوء وعجب لمن مكربه كيف يذهب عنه أن يقول وأقرض
أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوفاء الله سبأ ما مكرها وعجب لمن أنعم
عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
الا بالله كذا سنة الله سبحانه فمن صدق في التجاهل اليه ولم يتوكل في موامته الا عليه * اليقين
مأنة أو مذمة ألد الموارء من متلفة أو قدوم غائب بعد أن جاءت بالأيام منه الركائب
وأشر المصادر ظفر على قنوط الطبيعة مخالفة للمروءة فاصبر لحق وجب عليك وان خالف هو الذ
يماء المجلس الشريف بالرجل الفاضل اليقين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كهاء
الماقوت والاولوف في تيجان الملوك ما أنورا الهدى ما أظلم العمى ما أكرم التقى ما أخدع
ألهوى ما أسرع البسلا ما أجلد الصبا الجود أن يهضم الروح حفظ الجسد والاسراف ان
يهضم الجسد حفظ الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهم ما حفظه والشح أن تكف حفظهم
عنهما عدو ويحاف الله فيما تكره خير من صديق لا يخافه فيما يحب من العجب أن تطلب في
صحة كل علم ما ينفعنا وبكل العلم الى الله تعالى من غير بحث عن صحته لا يربك الباطل مما ترى
به ولكن احذر ان يصدع عليك بالحق فيشمد عليك عينك ووجهك من بطل رشائه بطل منعه
الراغب فقير بقدر رغبته الحق يعطى ويمنع تجاوز عن ذنوب الناس لتجع عليهم واجتنب
الذنوب لتقل مجتهم عليك الفراغ الناضل عن الحسام منسدة الحمية احدى العليين الفرق
ينسى الحجة حاي العلية في كلامك وسوي بينهم وبين السقطة في أحكامك موت في عز خير من
حياة في ذل الاكفاء من كل غلط متباغضون ماضع امر وعرف قدر نفسه الدعة الهنية
تكون به انقضاء العمل ان يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن رفعة
وعنا عن قدرة الحاسد يظهر وده في كلامه وبغضه في افعاله فاسم الصديق وه عفى العدو
الرياء يفسد العالنية والعجب يفسد عمل السريرة اذا كثرت القدرة قلت الشهوة من عرف
قدره كفالتنفسه كنى بالظفر شفيعا للمذنب الى الحليم لسان الجاهل دايل حقيقته لا ظفر مع
بغى ولا صحة مع نهم ولا شامع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره فا كفه نفسك أحق
مارد ما خاف شهادة العقل قطع ظهري وافسد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو
الناس الى جهله ينسكه وهذا ينقر الناس عن علمه بنفسه من قوى هواه ضعف حزمه من ظهر
غضبه قل كيد كنى بالظلم طاردا للمنفعة وداهيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك مروءته
الهدية نفقا عين الحكيم عفو الراى خير من استكراه الفكر من لم يؤمن بالقدر فقد كثر ومن
نود الله فقد نخر ما اكتسب بمنزل الكبر من استغنى بالله افتقر الناس اليه التفسير يخلل

عن الصواب الا فرطاً يعجزك في الخلق ثلاث خصال ما اجتمعن الا في كريم حسن المحضر
 واحتمال الزلة وقلة المالة كفي مخبر اعاني ما مضى وكفي عبرا لذرى الالباب ماجربوا التهاون
 بالاطلوب اول اسباب حرمانه الشبه ظلة لن يضيع امره و صواب القول حتى يضيع صواب
 العمل خيرا لا مورما عاجله وحسن عاقبته لا شرف مع سوء أدب ولا بروع شخ ولا اجتناب
 محرم مع حرص ولا محبة مع زهو باجالة الفكر به تخريج الرأي المصيب وبحسن الثاني تدرك
 المطالب وبالنصفة بكثير المتواصلون الفاحشة عارا لا بد وعقوبة عند السماتة تعقب الندامة
 من مختر ابتلى قال الله تعالى ان تسخر وامننا فاننا نسخر منكم كما تسخرون اذا فقد المتفضلون هلك
 المتجملون رب صيانة غرس من لحظة وحرب جنب من لفظه ما شاهد على غائب بادل من
 طرف على قلب شر المال ما لا يتفق منه أفضل المال ما صين به العرض وبالأفضال تشرف
 الاقدار الذي ~~يس~~ ون سببا لفساد نفسه أذل من يفسده عدوه أودهره لا تعذر ودبعة مالا
 الشهوة ورق الهرير يركب يعبر على الانسان اللسان وعلى المودة العينان لا شرف أعلى من
 الاسلام ولا كرم أعنى من التقوى ولا شفيح أعنى من التوبة أولى الناس بأمر من حافظ عليه
 الخير موضوع ان أراد موفورين على الله الرغبة مفتاح الطلب ومطية الحسرة الحرص دافع
 الى الحرمان التسفل بالحسنة ينفي السيئة المكافاة بالسيئة دخول فيها البغي سائق الى الحين
 اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود حق المذموم التأنيب وحق المرحوم المعونة من الجهل
 والجناء اظهار القرح عند الهزون الهزون بحقد على القرح ويشهر ~~للمكتب~~ من ظل
 السلامة تدب أفاعى الآفات أعظم الناس قدرا من لم يجعل الدنيا لنفسه قدرا ما أحدث
 يحدث بدعة الا تزلجهم اسنة عزائم الامور خيارها ومحدثاتهم اشراها الملك يكسب من انفاقه
 والعامية تتفق من تكسبها من أفنى عمره في جمع المال مخافة العدم فقد أسلم نفسه للهدم
 (قال الشاعر) ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل القفر
 من لم يقدر على جمع الفضائل فلنتمكن فضائله ترك الرذائل اذا لم تكن لها تصلح فلا تكن ذبايا
 تفقد استصلاح بعض العدو وأفضل من اهلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره ويرى في عدوه
 ما يسره خير الكتب ما اذا أعاد فآرته النظر فيه زاد حسنه أو وقف على خبره أنزل الاحمال
 من اتسعت مروءته وقات مقدرته استحي من الله بقدر قربه من عقلك وأطعه بقدر حاجتك
 اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار واعل لا الدنيا بقدر بها نك فيها
 وأعمل لا الآخرة بقدر مقامك فيها الملك يتق ليكتسب والعامية تكتسب لتنفق الطاعة بقدر
 الفاقة يفحص زوال النعم اذا زال معها التجميل أولى الامور بك واجبها عليك الدنيا العافية
 والشباب الصحة اذا قبل الامر أسرته واذا أدبر صرح اذا عدل السلطان ملكك لولب الرعية
 واذا جاز لم يلك منهم الا الرياء والتصنع الصدقة من سعة وابدأ بمن تعول اذا أضرت النوافل
 بالقرائن تركت النوافل وقدمت القرائن قدر الرجل على قدره مته وصدقه على قدر
 مروءته وشجاعته على قدر أفته ونعمته على قدر غيرته من أطاع الواسي ضيع الصديق ومن
 جعل نفسه عظما من حسن الظن روح قلبه شرمالك مالزمتك انهم مكتسبه وحرم منفعة
 انفاقه رب مغبوط بليلة قامت بوا كيه في آخرها لا ترج خير من لا يرجو خيرك ولا تأمن جانب

من لا يامن بجانبك تارك الطلب فخير الرجى للعودة من تارك خورا ثمرات الشهوات المخازى
الخصومة فترض القلب أعم الأشياء منعها فقد الاشرار من استكنى الكفاة كنى الاعداء خير
مالك ما اغتالك وخير منه ما قالك صولة الكريم سلمية ذنب أسد خير من رأس كلب يجهة العير
يفدى حافر القرس من استبد برأيه خفت وطأنه على اعدائه اغتالك من ديك ما صلت به
منزلك من أمن الزمان خانه ومن تعزز عليه اهانه كما يجب ان تكون المرأة أضواء من الناظر فيها
فكذلك يجب ان يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما لا ينبغي
ليس فى الشراسة ولا فى الخطا قدوة لن تكون لله ناصحا حتى تحب عدوك اذا أطاع الله فى
عداوتك على عداوته وتقلع عما عاد عليه وتغض وليك اذا عصى الله فى موالاتك وتترزع
عما والى علمه لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان الشقي من جمع غيره وضيق على
نفسه شر أخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن
كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند غلبه أفضل المال
ما قضيت به الحقوق البدع فخاخ مخبوءة قد علقت عليها القاطط ظاهرة رجا العامة أمنية على
ضلالة ورجاء الخاصة يمين على ثقة القليل من الملك كالكثير من غيره عطاء الملوكة زينة وسؤاله
شرف وفى الامثال جاور بحر أو ملكا اذا كذب السقيير بطل التدبير اخبت الازمنة زمن
لا يتنزهه الصواب لا تعطوا فى الفضول ما خفتم العجز عن الحقوق الاذان اقناع تؤذى
والقلوب قوايل نعى من أحب أن يسمى داهي لم يظهر دهايه لادليل اهدى من التوفيق الجلاء
البلاء من عرض نفسه للثم فلا يلوم من أساء به الظن الحفظ قيد العلم المدارس اذ كاهلهم
المقابلة احياء الفطن استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعبو والطاعة بالتألف والنصر
بالتواصل لله والرحمة بالخلق استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة اشياء تدل على عقول
أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل
مهدىها لم يحكم على العقول حاكم كالعير ولم يحكمها محكم كالخبرة من عاب سفلة فقد رفعه
ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه آحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الآخرة صرح من صمت
سرائره وسقم من سقم ظواهره بالكلام يعرف فضل العقل كبا الرسول يعرف قدر المرسل
ملاك أموركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحسن أعراضكم العلم اذا
أعطيت ما لا ترضى فارض بما أعطيت كلما ازداد الخبير كثرة كان الخارج منه اشتد حسرة
وبقدر السموى الرفعة تكون وجبة الوقعة الابقاء على العمل أشد من العمل من التوفى
ترك الافراط فى التوفى وتورث الحرمة والذمام سنة فى المروءة كما ان ورائه التركة فريضة
فى الديانة لا تمدح من امرأيا كثر من قدره فتكون مهينا للنسك كذا باعلى غيرك لا ترحن
بسطة عدوك فانك لا تدري متى يحدنهم الزمان بك من الجفاء الكلام فى الامر الجسيم من غير
مشاورة أكثر الناس مخادعة لنفسه فى أمر جسده عند الحجة وفى أمر مروءته عند الشهوة
وفى أمر دينه عند الشبهة المصائب بقتات العاقل المدر أرجى من الاحق المقبيل أشرف
الصنائع ما لم يكن مكافأة لما مضى ولا رجاء لما بق أرض النظير ثم كانه وآنس الملهى ثم استمع
منه لم تكن غواية ولا هداية الا واليهما سابق وعنه ما ناكص احسانك الى الحر يحرضه على

المكافأة واحسانك الى الخسيس يعمه على معاودة المسئلة ليس يحسن الاديب أن يكون
فاعلا للغير انما يحسن أن يكون نارا كالنسر من صنع معك خيرا فاضعه له والافلاته يزان تكون
مثله الاشراو يتبعون مساوى الناس ويفعلون عن محاسنهم كناية عن الذباب الموضع
المنغلة من الجسد ويدع صهيجه الطرف فطنة ما زجتها عبادة مع حذرو توق فاذا خلت النطنة
من التوق فصاحبها لا يستمتع به أهل المرواة واذا خلت النطنة من العبادة وقارنتها فصاحبه
فصاحبها غير طيب الطرف الا لفاظا التي يرتفع عنها أهل الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا
والمترفين في ظاهرها الحال (ومعنى القاضى) أنا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة يقول أول
من نطق به هذه الكلمة محمد بن الخطاب رضى الله عنه وذلك انه أتى بسارق فقال له أسرقت قل لا
فقال الرجل لا فقال عمرانك الطريف جهدا البلاء الاقلال والعيال ينبغي للعالم ان يتطامن
للجاهل بقدر ما رفه الله عليه العقل أنقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام
والشراب أعظم الناس غما من زالت نعمته وبعثت شهوته وضاعت حقدته قلة العيال
احد البسارين معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحياه عند الفضيحة
والصبر عند النصيحة سهلت عليه المعاشى كلها العالم مثل السراج من مزبه اقتبس منه
من تقدم بحسن النية نصره التوفيق ان تكون لله ناصحا حتى تحب أن يكون عدوك طيعا
من اذى الناس بلا سلطان كان مصيرك الى الهوان مادحك بما ليس فيك لمخاطب اغريك
خوابه وثوابه سايطان عندك المكروا والندبة في النار الاحداث تأتي من على ما منه يؤتى
الحذر المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمحمول للعدو ومن غضب على من لا يقدر على
غمه عذب نفسه واشتد غظه اطلب ما يدعيك واترك ما لا يعينك فان ترك ما لا يعينك
درك ما يعينك من انك الاشياء لعدوك انك تربيه انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء
عن الشئ خير من الاستغناء به ومن خير خبر ان تسمع بالمطر لا خير مما يزل ولا غنى فيما
لا يبقى شر العيوب ما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل
الكتب حاول الامور بالنصفة وانا زعيم لك بالتقوى من أراد جالا لا تمده له الايام فليصحب
المرواة والصيانة فهما ذرة الشرف رب امره ما بعده من سبق اليك كان له صفوه من شروط
المرواة التغاين للضعيف المرواة ترك الريبة يكاد استقصاء القوى على الضعيف أن يكون
ظلمه يكاد استيفاء الغنى من الضعيف ان يكون جورا القرآن ظاهره أبقى وباطنه عبق
أوله حكم وآخره علم الهادئة على الطعام تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض
لن تال ماتحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهاب البصر خير من كثير من النظر لان بعد العزم عزم اذا ساق غما مع الرأى الاول الوهم
النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيد لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تركية انم
الناس من كنى أمر دنياه ولم يهمل دينه الغريب من فقد اخوانه وقطرافه وان كان في وطنه
الغريب من لا يدرك له الغريب الفقير الغريب الاحق الغريب من لا ناصر له شيئا
لا يستحق العاقل منهما المرض وذو القرابة الفقير من كانت الدنيا سبب صلته فانها سبب
فطيمته فاحذر ان تجعلها وسيطا بينك وبين أحد علامة الاشرا أن من خالطهم لا يعلم منهم

ومن تركهم لا يصبروا شهرهم عنه وأما الاخيار فن خالطهم بريح عليهم ومن غالطهم تركه رشده
البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة من عتب على الزمان
طالت معتبته ستساق الى كل ما أنت لاق اذا محب الارياد الرشاد وجد المراد ما اعتق
من الذم من ملكه الجهل ولا تظفر بالعزم احتمل ما في المعصية من الذل ولا خرج من الدناءة
من صرف جميع عقله الى الدنيا اخو الظلماء مريب المسئلة آخر المكسبة ما عد من أهل
الجبى من كان من أهل الهوى ولا كان من أهل التقى من حاد عن سبيل الهدى من ذم أدنى
الاحسان لا امتناع اقصاه لم يحمد شيا منه من دواعي الهلكة اضاعه المعرفة واعجب لمن يني
داره وجسمه يهدم ولمن يبرم أمور الدنيا واموره في نفسه تحتل (قال علي رضي الله عنه) من
لم يكن معنا كان علينا والسالك اخو الرانسي الكاتم للعالم كن لاعلم له أو هو غير وائق فيه
بالصواب المرء مخبوء تحت لسانه قيمة كل امرئ ما يحسن العلم بما في المصيبة من الثواب
ينسى المصيبة شرم من المصيبة سوء الخلق منها الحكمة ربيع القلوب الخسومة تكشف
العورة وتورث المعزة بلاء المؤمن من عاقبته كالنارح يتهام من نورها قد يكون اليأس
ادراكا اذا كان الطمع هلاكا من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الذلة
مع القلة تجوع الحرة ولانأ كل بنديها موت عاجل خير من ضئى أجل الغضب عند
المناظرة منساة للجمحة الاختصار انبت المتكلم وأفهم للسامع الكلب في الحاضرة ينبع الضيف
ويذفع الزائر ويرد السائل والكلب في البداية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويذفع
السارق لا تعتبر قول الجاهل لك ان في يدك اولوثة وأنت تعلم انم ابخرة مثل الصلاة مع سائر
العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت أصيب الكل الحب
والبغض قسمة طلب المظمع حزم وطلب المؤنس عجز قد ينظر المنطق من يعنيه اذ انفسد
الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفقت وصار خوف المومر أكثر من
خوف المعسر لقاء أهل الخير عمارة القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد لنفسه الواحدة بالعمل
يحسن المطلق وبالقوة يتم العمل الفكرة مرآة من أعظم الناس من قل ماله وكثر مجده
الادب مع العقل ك الشجرة المثمرة والعقل بلا أدب كالرجل العقيم الماء أليق من القول
والقلب أقسى من الحجر وقد ينلم الماء الحجر اذا كثرت افعاله عليه اشد الاشياء اخشاء الضاعة
أولى الناس بالرجة عالم يجرى عليه حكم جاهل لم يرغب من شهد رأيه ولم يرض من بقى أثره ولم يعت
من خلد عمله وقد سبق المثل ليس بهالك من ترك مثل مالك كما انه قبيح اذا ركبنا الخيل أن
تجربى بنا حيث أرادت دون أن نذيرها ك كذلك قبيح أن يجرى البدن والنفس بالعقل حيث
أرادت من الشهوات أشق الامور معرفة المرء بنفسه عائب المجتمع عليه محجوج ليس شئ
من البر الا ودونه عقبة من الصبر ضرب الانسان عار باق ووتر مطلوب (قيل الحكيم) هل للغضب
مادة تحسسه قال نعم أن يعلم الانسان انه ليس يحب أن يكون مطاعا أبدا ولا يجب أن يخدم أبدا
ولا يجب أن يحفل خطوه أبدا ولا يجب أن يصبر عليه أبدا بل قد يطيع ويخدم ويتحمل الخطا
ويصبر على النوايب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان غضب فقليل السعيد ومن وعظ بغيره والشقي
من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا ينفع ضوء الشمس عن لا يصبر رضى بالذل

من كشف ضره بترك التورع وأزرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فخور بسترها وخرفة
الكلام وخدع المال الناس في الدنيا بالاخوان وفي الآخرة بالأعمال صديق الرجل عقله
وعدو حقه من اجتمعت اليه النعمة أدبت له الرغبة يحفظ الاجمق من كل شيء الا من نفسه
لا جود الا بمال ولا صداقة الا بوفاء ولا فقه الا بورع العليل الذي يشتهي أرحى من الصحيح
الذي لا يشتهي قلوب الرجا وحشية فن تألفها أقبلت عليه اجعلوا بينكم وبين الحرام سيرة
من الخلال اقاء الرجل احلامه - لاله لهم من لم يصلح على تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه
والاحلام فرح وهم كاذب والعامق بها كالمعتد على الظل الزائل الدنيا دول فما كان منها لك
أناك وما كان عليك لم تقو على دفعه العافية خير من الواقعة الكريمة لا ينحى من اعطاء القليل
العنفازينة الفقير الكرم حسن القطنة والاثوم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على
ميل الهوى به من حق النعمة أن يرى أثرها من كان شبعه في الطعام لم يزل جائعا ومن كان
غناه في المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده بجوأتجه الخلق لم يزل محروما ومن استعان في أمره
بغير الله لم يزل محذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخنه من دونه
ما تحب - منه وما تهمل به لا يغرك نوره وعليك بوره واجعل ما يختار المذلة في طلب ما يفتي على العز
في طلب ما يتيق من حذر لك كن بشرك الشفيح جذاح الطالب اذا أبلت الدنيا عليك فانفق
منها فانما الاتقي واذا أدبرت عنك فانفق منها فانما الاتقي قال الشاعر

فانفق اذا أيسرت غير مقدر * وانفق على ما خلت حين تعسر
فلا الجود يفي المال والحظ مقبل * ولا الجمل يفي المال والحظ مدبر
(ولغيره)

لا تبخلن بدينيا وهي مقبلة * فلن يضر بها التبذير والسرف
وان تولت فاحرقى ان تجود بها * فالتكرم منها اذا ما أدبرت خاف
الغريب في كل مكان مظلوم من سلك الحذار أسن العنار لم يحرق حساب القصد بحسب التميم
يستعمل الفقير الذي منه هرب وبوقته الكرم الذي آناه يطلبه فبعيش في الدنيا عيش الفقراء
ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء من يطل ذيله بكثرويه (وقال علي رضي الله عنه) ما يطل
فعل الله ينطق به عنك خير من سمع غيرك ان احببت ان لا يقولك ما تشتهي فاشته ما يذكرك
من قصدا سهل ومن أسرف او عر القصدا خوالج شرا السير الحقيقة بوي لنفسك في
الجهال مجلس لا يقصرك ولا تقام عنه اقطع الشرم من صدر غيرك يقطع من صدرك واخرج
المسيء باباة المحسن لكي يرغب في الاحسان ان يملك من مالك ما وعظك الخلاف يهدم
الرأى خير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفور عنده من أصبح مصرا على ذنب
مستور يصير الخلق خلقا بالاجتهاد والاعتقاد انجر العصب في البنيان رهن على الخراب ربما
شرق سحاب الماء قبل ربه رب رأى انفع من مال وحزم أوفى من رجال من استوعب الحلال
ناقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمدا الاخوان بقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال
من عرف الزمان لم ينجح الى ترجان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك ترجان
عقلك الطاعة عنيفة الاكياس عند تفريط العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج

الناس أكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عى أو حسد أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فخرها من لم يدرك در الجليعة لم يرحم أهلها كفال أدب لنفسك ما كرهته لغيرها مجالسة الاحق غرور والقيام عنه ظفر لاتسأل عما لم يكن فان في الذي كان شغل البخل جامع لمساوى العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء اذا صم القلب وصح العمل كان التوفيق احراز العواقب بالاجتهاد والاجتهاد ادر يح بصناعة التوفيق خير فائد كمال العمل التوفيق من ترفق في استقام الحظ من البغية أدركه وبلغ مقاربه الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم لا تتطراى أحدا بالموضع الذي رتبته فيه زمانه ولكن انظر اليه بقمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي أبعد الناس سفرا من سافر في طلب أخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة من البركة (وقال داود عليه السلام) ان كان ماترى من الجهل بغيظ اذن يكثر الجهل وبطول غمك (قيل ليزجره) ما لكم لانما تبون الجهل قال لانما تريد من العميان ان يبصروا العشى مرض تنس فارسة لاهمة لها اجالة الشكرة واستخراج القطنة تتبع الاسماء بالندم وتنبع الندم بالاقلع الامن بالبراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعا فقد الاشرار من يذرعداوة حصدهندامة السمعة للنساء سلمة وللرجال غفلة (قال المسيح) عليه السلام ما لم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه عبادة النوكى المحبى في غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل للحكيم) أخرج الهم من قلبك قال ليس باذن دخل من اغتر بجاله قصر في احتياله اياكم وطلب الامور من غير وجهها فبعضكم طلبها ولا تدركوا عظامها هيمة الزل فورث الحصر (قيل للحكيم) لا شئ تزوجت امرأ ذميمة وأنت وسيم قال اخبرت من الشراقة (وقيل للحكيم) ما تقول في الرواج قال لذة شهر وهم دهر فتنة عالم الى ابليس خبير من غواية ألف جاهل غنى المعاتب ولا تمنى المعاذير الموالاة في الاسلام بمنزلة الحلف في الجاهلية سب الجاهل للحكماء تشريفهم عند أهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله وكان الحكيم يتألم بعد بث الجاهل كذلك الجاهل يتألم بسماع الحكمة اغنى الناس عن الحق من عظم قدره عن المحاذاة الكبير الهممة من الرجال من كان عنف الناصح عنده الطفم موقعا من ملق السكاخ ان كانت الحدود وهى المخطوط فبال الحرس وان كانت الامور ليست بدائمة فبال السرور وان كانت الدار غدا فبال الطمأنينة (وقال الشعبي) ما رأيت الله سبحانه وتعالى أعطى عباده أجلا من الحلم (وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه شئ من أمر الدنيا والاخرة من لم تعرف الوثيقة في أرومته والدماثة في خلقه والكرم في طبعه والتبلى في نفسه والتحاق عند ربه (قال أبو عبد الله بن جدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يومالى رصافة هشام بن عبد الملك فنقل الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا فديعا هنالك حسن البناء بين مزارع وانهار وأشجار فدس له فينا هو يطوف اذ بصير برقة قد الصقت في صدره فامر بقله فاذا فم هذه الايات

أيا منزلا بالدير أصبح خالبا * قلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بضر أو ففس * ولم يتجتر في فناءك حور

وأبناء أملاك غوانهم سادة * صغيرهم وعنده الإله كبير
إذا لبسوا ادراعهم فهو أبس * وإن لبسوا ثيابهم فبدور
على أنهم يوم القضاء ضراغم * وأنهم يوم النوال مجبور
ليالي هسلم بالرفافة طامن * وفيك ابنه يادير وهو أمير
إذا العيش غض والخلافة لذة * وأنت طرب والزمان غرير
وروضك مر ناد ونورك مزهر * وعيسر بني مروان فيك نصير
بلى فسقة الغيت صوب صحائب * عليك لها بعد الرواح بكور
تذكورت قومي فيكم أنبكيهم * بشجو ومثلي بالباكاء جدير
فعزيزت نفسي وهي نفس إذا جرى * لها ذكر قومي أنه لنزير
لعل لما نأجاريوما عليم * لهم بالذي تهوى النفس يدور
فيهم سرح محزون ونيم بائس * ويصاق من ضيق الوثاق أسير
رويدك إن الدهر يتبعه غد * واسمروف الدائرات تدور

فلما قرأها المذكور كل ارتاع وتطير وقال أعوذ بالله من شره قدره ثم دعا صاحب الدبر فسأله
عن كتبها فقال لا علم لي به وأما الكتب وصفاتهم، ففضل عن الوصف ولله أحسن ابن الجهم
في قوله

سهر إذا جالسته كان مدينا * فؤادك مما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما أو يريك حكمة * وغير حرد أو مصر على الحقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل * ولا خائن عهدا على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان بأسره * يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد
يتور احيا ما بورد بدائع * أخص وأولى بالنفوس من الورد
وأشد بعض الجعم

إذا ما خلا الناس في دورهم * بنجر سلاف ونخود كعاب
وأنهم في ظلام الليال * لغير الندامى وهو السحاب
خلوت وصحبي كتب العلوم * وبيت العروس بيت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول * فدوروا على بذالك الشراب
وما يجتمع المراء في دهره * سوى العلم يجمعه للتراب
ومن ملج ما ينشد في الكتب

إذا ما خلوت من المؤمنين * جعلت المؤانس لي دفتري
فلم أخجل من شاعر محسن * ومن علم صالح منذر
ومن حكم بين أثنائها * فؤادك لتناظر المفسر
وان ضائق صدرى بأسراره * وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب لم أحسنه ولم أحصر
وان هددت من ضجيرة الهجا * وسب الخليفة لم أحذر

ونادمت فيه كرم المغيب * لتدماه طيب المخبر
فلست أرى مؤنسا ما حيت * عليه ندعا الى المحشر
وأنشدا بن حزم لبعض الأدباء

ان صعبنا الملولك تاهوا علينا * واستبدوا بالرأى دون المجلس
أوصعبنا التجار عدنا الى التفكر * وصرنا الى حساب القلوس
فلزمنا البيوت تنخذ الخبر وغلايه وحررة الطروس
لوتر كنا وذاك كاظفركنا * من أمانينا بعلق نفيس
غير ان الزمان أعنى بنه * حسدونا على حياة النفوس
وأنشده

أنست الى التفرط طول عمرى * فخالى فى البرية من أنيس
جعلت محادئى ونديم نفسى * وانسى دفتري بدل العروس
قد امتغيت عن فريسي برجلي * اذا سارت أو نعل كبوس
ولى عرس جديد كل يوم * بطرح الهم فى أمر العروس
فبطنى سفرى والخرج جسمى * وهمايانى فى أبدا وكيسى
ويبقى حيث يدركنى مسانى * وأهلى كل ذى عقل نفيس

ولئن كان الناطقون قد وصفوا الخودوا وقالوا فابلقوا فاقدموا وأجل مدوح من
استقصى فى مدحه المنتهى واستزرى فى تفریطه المتهفل وكيف لاوالكتاب نعم الايس فى ساعة
الوحدة ونعم المعرفة لبلاد الغربية ونعم القربى والدخيل ونعم الوزير والتزيل وعالم على علم
وظرف حشى طرفا وانا على مزاج وحيد ابستان يحمل فى ردن وروضة تغلب فى حجر هل
سمعت بشجرة تنوى كلها كل ساعة بألوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لاتدوى
وزهر لايتوى وغرلا يفتى ومن لك يجلس يفيدك الشئ وخلافه والجفس وضده ينطق عن
الموقى ويترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان سخطت عليه لم يحجب اكتم من
الارض وانم من الريح والهوى من الهوى واخذع من المنى وامتع من الضحى وانطق
من سبحان وائل واعبى من باقل هل سمعت بعلم واحد تحلى بحال كثيره وجمع أوصاف غزيره
عربى فارسى هندى سدى رومى يونانى ان وعظأسمع وان الهى أمتع وان ابكى أدمع
وان ضرب أوجع يفيدك ولا يستفيد منك ويريدك ويستفيدك ان جديس وان مزح فخره
فبالاسرار وحرز الودائع قيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المسكاه ومؤنس لاينام يفيدك
علم الاولين ويحجبك عن كثير من انباء الآخرين هل سمعت فى الاولين أو يهلك عن أحد
من السالفين جمع هذه الاوصاف مع قلة مؤنته وخفة محمله لا يزلك شيا من دنياك نعم الذبحر
والعده والمستغل والحرفة جلوس لا يضربك ورفيق لا يملك يطبعك بالليل طاعته بالهار
وطبعك فى السفر طاعته فى الحضر ان أدمت النظر اليه أطال امتاعك وشهد طبعك
وبسط لسانك وجود بانك ونغم الفاظك ان القنة خلده على الايام ذكرك وان درسته ورفع فى
الخلق قدرك وان حمله فوه عندهم باسمك يقعد العبيد فى مقاعد السادة ويجلس السوقة

في مجالس الملوك ما كرم به من صاحب واعز به من مرافق وقد قال فيه الاول
لناجلسا ما نمل حديثهم * الباء أمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علم ماضى * ورأيا وتاديا وعقلا مسددا
بلافتة نخشى ولا سوء عشرة * ولا تسقى منهم لسانا ولايدا
فان قلت أموات فأنت كاذب * وان قلت احياء فليست مفيدا
فهذا ما أردنا أن نغلبه في هذا الكتاب فاكتبوا ان شئتم انفا سه ان كانت الانفاس مما يكتب

* (قال المتوسل الى الله سبحانه بخير من وطني البساط طه محمود قطرية
المسبوب نشأ الى دمياط المصحح بدار الطبع أدام الله جمال
سلكه بدوام السماوات الرجوع والارض ذات الصدع) *

الها يا ذا الجنان. وبما فاذ الحكم وغالب الامر وقوى السلطان بسلطان محمدك اعترت كلمة
أوليائك وتغلبت أمرك في اهل أرضك وممالكك سبحانه ويحمدك أدلت الكون على ما رزيت
ان يكون العباد ووليت الامر من تحتك بعز يد الصلاحية والقيام بحق السداد وانطت
اقام الدين ونظام الدنيا بن أصح به لواء العزة بك مفشورا وجعلت نفوذ الكلمة ميسورا
ما كان الامر بين أهل شورى واقت أساس المنعة والباس على عماد الاستنصار بقبوم
أمرك وديوم ملكك القائم على كل نفس ولك الشكر حتى تزانق لنا به من عنايتك غرغ
الاقدار على طاعة أهل حكمك وولايتك والبراءة اليك من شر النفس الالية والعباد بك
من ذل الهوى وظلم الطبع الذي يستفز الجمية حمية الجاهلية ثم الصلاة على سيد خلقك في
الارض وامام أوليائك القائم بأمرك في الأبرام والنقض محمد سراج ملوك الهدى الخاضع
عليك وتاج ملاك السيرة الى رضاك والداعي باذكراك اليك وعلى آله رؤساء دولة الفتح المبين
وأصحابه الخاديين بآمرهم وأرواحهم عن كلمة الحق مخلصين له الدين وسلم اللهم تسليما
واهدنا بهم صراطا مستقيما هذا وان الكتاب الجليل الغني بوضوح فضله عن الاجمال في
مدحه والتفصيل المسمى سراج الملوك كتاب لم يغادر من آداب الاخلاق وبذائع النصائح
والامثال الرقاق من مقبول ولا متروك وكيف لا وهو لو احدث العصر من له في تناقب المعارف
الجمع والقصر من الى ضرب امثاله البروقى وجوشوشى الامام العلامة محمد بن الوليد
أبي بكر الفهرى المالكى الطرطوشى فلقه جادت يده بأجل كتاب جادت به يد تصنيف واقر
سفر قات الحكمة تحت ظل تبيان الوريث واجمع مؤلف ألف شمل الانبا بعد انصداها
وأودع خزان الافكار وذائع النصائح الرشاقي ثم ابداعها اشتمل بشمال الابانة عن دقائق
الحكم حيث اشتمل على رقائق مواعظ وأحسن أخلاق من سلف من ملوك العرب والعجم
فتسابقت في مضمار تنزله المحكم فرسان الزواجر والعبر وسارت الى رقة الفاظه رموز
روادع العظة فكان من احدى الكبر لعمرك الله هو اجدران يكون لطموح الصدر سراجا
مشعلا ولو فود احسان السياسة ورفق درج الراسة محلا لأهل محلى من ثم عني بطبعه
الاهمى وتقبله الارغد الاشهى من له في آى المكاد المفاخرة والخاتمة حضرة القاضل
الشيخ صالح محمد باعيسى رئيس التجار الحضارمة جزاه الله مزيد الاجر وبين له الخيط الايض

من الخيط الاسود من الفجر وكان اجراء الطبع والتخيل المصوب بالتهذيب الايق والصبط
 والتحرير الوثيق المنفرد بالاصالة ما أزدبت أمواج بحر النيل بقطعة بولاق مصر التي حطت
 عن اعتاق الاقلام وهام البنان كل عب مواصر وغرقت عليها بلابل الافادة والانتفاع
 وسطعت من سما ازيانها شمس الجلالة على صعبات الابصار والاسماع كيف لا وقد أوبت
 بها شغال مراحم ولي كل نعمة رب المآثر المنورة والحمد الجبة عزير الدنيا وهطع
 أبصارا لعلميا الخصوص بالهمة السامية والعزم الملى أفندينا اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على
 أيد الله بالصولة والمنعة دولته و بهج يجميل الذكر والكرامة طلعته وحرس اشباله والنجالة
 الذين هم انجز لوعده وأنجي له سبل الشبل الاسمي ومرتبة عدله الاهمي من به نوب العدل
 صفيق سعادة المشير الانعم محمد باشا توفيق حفظه الله وانه من الخير منه موطئة تلك
 الدار بنظر صاحب المساعي المشكورة والمكارم الغزار من به صادق الرأي يستقي سعادة
 ناظر المطبعة والكافة خاتمه حسين بك حسنى موصولة النظر بوكالة وكيله المهتدى بدلالته
 الى سواء سبله من اذا اشارت المعارف فايهاه تعفى حضرة محمد أفندي حسنى لموطئة بهودة
 ذى السعي الجميل والمقصد الاحد جناب ابي العيين أفندي أحمد موصولة التعظيم
 المستطاب والتهذيب والتنقيح الذي ملا الوطاب الى رياسة ذى الفكر الناقب والقهم
 المدوار حضرة المولى الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقي عبد القهار ولما غرطيرا الاكمال على
 غصون طبع صالح هذه الاعمال رحمت مادام مؤرخا حسن هذا الصنيع على لسان كل بصير
 بقدر اوله جميع قاتلا

بد الحمد قد ديجت طرزها * فهل من سعيد حسا كرزها
 فكتم قد را الحمد قد را مرئى * زاه حصاف النبي رزها
 وكم للسان العلاء لهجة * تنادى ان استخرجوا كنزها
 وما الناس الا امرؤان يذل * بدنياه ساقط له عزها
 والقت اليه مقاليدها * وأذنت الى سعيه حوزها
 وآخر بابي على نفسه * سما الضيم حتى يرى وزها
 بحمله الرأى ما لا يطيق * كما حلت الف همزها
 وآخر أربى عليه هواه * وأمضى لفرسته خزها
 * أقام يشبب بالتمحى * ويض الذي بالحسارها
 يقوت بذكرها ياقوت نقر * بمنعة احرزت حرزها
 اذا مارنت عانت القلب منه * فهل تحسد القلب او غزها
 وان هي ماست فيادوحة الحسن * به ساءت الدل أن هرزها
 يروعه بالفسنا حصرها الذي علمته به لغزها
 ويحجزه بالسلام العذول * يرى نفس من صارت هزها
 وبات له ناظر قد أجاد * لا يرى شهب الدبح فرزها
 يقول لتجسم السما را عنا * به عوز يجتدى عوزها

له مسك من حشا وعزاء * لنفسها ما غدا كرها
 اذا نقصد الصبر يا زيقها * وابذل الوصل يا فوزها
 اخا الولع اربع وحي رأى من * عن الولع القلب قد زها
 وهات اجل لي من سراج الملوكة * سناغرة اوضحت فخرها
 بكتاب انا باحق اليقين * فأتى النهى ما به ابتزها
 بكاد سنا برق انباهه * بحب القلوب يرى ازها
 ابان لنا زبر الاولين * وابرز من طهار مرزها
 فكفم فيه من عبدة البصير * ومن عظة تقتضي فخرها
 ومن حطة تستطير النفوس * لما قد دعي باعز بغرزا
 يورث علما بذات الصدور * ويحوبلين الهدى ترزها
 لهذا كان بالطبع من باب اولي * لتشق منه النهى تازها
 * فله در امرئ صالح * وصالحه في السهي وزها
 بقاء نجاة طبع جميل * به لا مال في قضى فخرها
 فلا ريب يميز جزاء وفاقا * ومن جاء ساكنة يجبرها
 ومذا فرغوا حلة الانتهاء * على طبعه المغتدى انزها
 اشترت على الحال ابرخ اضاء * سراج الملوكة بطبع زها
 ٨٠٢ ٢٦٤ ١٢٧ ٨٣ ١٣

س ٢١٩ الهنة

ووافق كمال طبعه المنير أواخر رمضان المحرم سنة التساريف

المنظوم من هجرة البشير النذير صلى الله عليه وسلم وعلى

آله وصحبه ومن تبعهم على القى هي أقوم

ماحن مشتاق الى البكاء واشتاق

مهجور الى ابن ذكاء

والحمد لله رب

العالمين

٢

